

سلطنة عُمان  
وزارة التراث القومي والثقافة

# هيميان الزيد الجار المعاني

للعالم الحجة  
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء العاشر

ثان



١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة طه

وتسمى سورة الكليم . مكية . إلا « فاصبر على ما يقولون » الآية . وإلا « ولا تمدن عينيك » الآية .

وعن أبي رافع : أضاف للنبي ﷺ ضيفا فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلف منه دقيقا إلى هلال رجب فقال : لا إلا برهن فأتيت للنبي ﷺ فأخبرته فقال : أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض فلم أخرج من عنده حتى نزلت : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم » .

وآيها مائة وخمس وثلاثون .

وقيل : مائة وأربعون .

وقيل : مائة واثنان وأربعون .

وقيل : مائة وأربع وثلاثون .

وكليها ألف وثلاث مائة وإحدى وأربعون .

وحروفها خمسة آلاف ومائة واثنان وأربعون .

قال ﷺ : أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى ، وأعطيت فاتحة

القرآن وخواتم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش ، وأعطيت المفصل

منافلة . والمنافلة : الزيادة .



وعنه **ﷺ** : لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا بسوطه . وعنه **ﷺ** :  
من قرأ سورة طه له يوم القيامة نواب المهاجرين والأنصار .

وقالوا : من كعبها وجعلها في خرقه حرير أخضر وقصد يريد الزوج إلى  
قوم أجابوه وتم له . وإن قصد إصلاحا بين قوم لم يخالفه منهم أحد . وإن مشى  
بين عسكرين افترقوا ولم يقاتل بعضهم بعضا ، وإن شربها وجد ما يطلب من  
السلطان . وإذا استعصت بمائها من ليست متزوجة تزوجت ، وربما بسهولة .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( طه ) أمال أبو بكر وحمة والكسائي الطاء والماء وورش وأبو عمرو

وقيل : ونافع الماء . وأخلص الهاقون للفتح . وإنما أخلص ورش وأبو عمرو ففتح

الطاء لاستعلائها وهما من أسماء الحروف

وقيل : معناه رجل ، على لغة نجد .

وقيل : على لغة عسكل .

وقيل : على لغة نبط ، وهو قول ابن جبير . قيل : على لغة القبط . وقيل :

يا إنسان على لغة القبط . وقيل بالسريانية . وقيل : لغة يمنية في حك بن عدنان

أخي معد بمعنى يا رجل .

والمراد بالرجل والإنسان النبي ﷺ

وقيل : هو من أسماء النبي ﷺ نداء له .

وقيل : معناه يا جبريل بالسريانية . وقيل : بفتحها .

وعن عكرمة : طه : يا رجل بالحشية .

وقيل : قسم أقسم الله بطوله أي جوده وبهدايته .

وقيل : الطاء من اسم طاهر ، والماء من اسم الهادي .

وبصح أن يكون الأصل يا هذا قلبت الياء طاء فخذفوا الهمزة وألفها ولا يخفى

ضمف هذا ، إلا إن كان ذلك القلب لغة قوم وأنشد الطبري في ذلك :

• دعوت بطه في النقال فلم يجب •

أي برجل أو لإنسان وبهذا .



ومثله :

• إن السقاة طه من خلائكم •

ولا دليل في ذلك باحتماله القسم .

والهاء قد مد طيبياً والطاء قد مد مشبعاً .

وقرأ الحسن طر يلمح كان الهاء وفسر بأنها أمر بالوطء ، وأن النبي ﷺ كان يقوم في تهبده على إحدى رجليه ، ثم على الأخرى ، فأمر أن يطأ الأرض بتقديمه . والأصل طأ قلبت الهمزة هاء أو قلبت في المضارع وبنى على الأصل ، أو الأصل طأ بالهمزة أو بآل عن همزة ثم ألحق هاء السكت فحذفت الهمزة أو الألف لهما وهو من يطأ بالآل فحذفت عنه الجزم وألحق هاء السكت . ويجوز أن يكون أصل طه بغير الإسكان طه بالآل بدلالة من الهمزة لها ضمير للأرض حذفت ألف هاء وأما ألف طه فحذف خطأ باتفاق ونطقاً على قراءة .

( مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ) الجملة خبر طه إن جعلنا طه بمعنى القرآن أو السورة والرابط على الأول إعادة المبتدأ بالنظر والعموم على الثاني .

وإن جعل طه قسماً فالجملة جواب أو نداء فالجملة مدعو لها . وإن جعل أمراً أو خبراً لمحذوف أو طائفة من الحروف ، فالجملة مستأنفة .

وحمزة والكسائي يميلان أواخر هذه السورة من تشقى إلى ومن اهتدى .

وورش بين بين وأبو عمرو يميل ما فيه راء نحو تترى وما عداه بين بين

وللباقون يخلصون الفتح .

وأنزل الله ذلك تخفيفاً عنه في قيام الليل ، وكان يقومه كله ولذا قال بعضهم :

هذه ناسخة لقرض قيام الليل المذكور في الزمل .



وقيل : لما رأى الشركون من قریش اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العبادة وضييق عيشه

قالوا : إن محمداً مع ربه في شقاء . سواء كان يدينهم أم لا

وقيل : قالوا : لما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقاؤك فنزلت الآية .

وقيل : كان يقوم على رجل واحدة فنزل عليه ذلك . لأنه لا يستطيع

وروى أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تروى قدماه فقال له الجبريل عليه السلام :

أبقي على نفسك فإن ما عليك حقاً وما أمست إلا بالجميعية للمهلكة .

والشقاء ألم على القلب . كقولهم عاشق من رائف المهر . وسيد القوم أشقام .

وقيل : إن أبا جهل والنضر بن الحارث قالوا : إنك شقي لأنك تركت دين

آبائك فنزل ذلك ردّاً عليهم ما بأن للقرآن سبب للسعادة . وتعرضاً بأنهم وأمتهم لما

الاستقامة الشقاوة الدائمة . لأنهم تركوا دين آبائهم

وقيل : قلعي ما أنزلنا عليك القرآن لتعيب بقرط تأسفك على كفر

قریش . وعدل عن التعيب إلى الشقاء تعرضاً بسعادته وشقاوة من خالفه .

وما مر من قراءة الحسن طه بالإسكان لا يغني ما ذكره الشيخ هود من

أنه مر طه بفتح بيا رجل لأن هذا تفسير لقراءة غيره أوله قراءتان أو هو

تفسير لقراءته بالإسكان . لأنه لا يقرأه بغيره

وبصح إرجاع الهاء للساكنة لموضع الصلاة فهي ضمير مذكر ، أمره أن يقرأ

موضع الصلاة برجليه . لأنه لا يقرأه بغيره

(إلا تذكرة) استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة والأصل إلا

تذكيراً لأن اللام صحيحة وليس بدلاً من محل تشقي ؛ لأن الشقاوة غير التذكرة

الاهم إلا أن يقال بدل إضراب تابع للمحل ؛ فإن تشقي مؤول بمصدر مجرور باللام

ومحل المجرور النصب بأنزلناه . لأنه لا يقرأه بغيره



وقرى ما نزل بالهفاء المفعول ورفع القرآن وليس تذكرة مفعولا لأجله لأن الفعل الواحد لا يقعدى لعلقين إلا بنوع كالمطف كالابن هشام .

وقال شيخ الإسلام : التحقيق جواز تعدية إليهما ، أو إلى أكثر في غير المقلبات كما هنا ؛ لأنها علامات . ولا مانع من اجتماع علامات على شيء واحد . ومنه في المقلبات للزوم المحال كالجمع بين النقصين .

ويحوز قطعاً جملة مفعولا لأجله إذا حلت اللام بمحذوف تحت القرآن أو حاله أي ما أنزل عليك القرآن المنزل لعتب قبله أو منزلاً أو ثانياً لعتب قبله لأن تذكرة حينئذ تعليل لمجموع أنزلنا عليك لتتق .

ومنع القاضى إياه سهو . وقيل : تذكرة حال من الكاف أو القرآن على تأويله باسم الفاعل أو تدبير مضاف أو مفعول مطلق لمحذوف والمحذوف حال ولام الجر واجبة في قوله : « لتتق » لأن فاعل الشقاء وفاعل الإزال متغايران .  
( لِمَنْ يَخْشَى ) لأنه للقطع به .

وعن مجاهد : ما أنزلنا عليك القرآن لتتق في الصلاة إلا تذكرة لمن يخشى . ويتوسط ويدأوم وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم . ودكروا أن رسول الله ﷺ رأى حبلاً ممدوداً بين ساريقين في المسجد فقال : ما هذا ؟

فقالوا : علاقة نصلى ، فإذا غلبت تعلقت به . فقال : لفصل ما نشطت أو عقلت ، فإذا غلبت فلتقم .

( تَنْزِيلاً ) منسوب بمحذوف أي نزلاء تنزيلاً أو هو بمعنى القرآن مفعول لمخشي وفكر تظليماً

ويحوز أيضاً في هذا الوجه أن يكون مصدراً بالفتح أي تنزيلاً  
ويحوز أن يكون تنزيلاً منصوباً على اللوح أو بدلاً من تذكرة إن جعل تذكرة



وإن جعل تعلم لا ملا؛ لأن الشيء لا يعمل بنفسه ولا بدوعه؛ فإن المعنى حينئذ ما أنزلنا عليك القرآن إلا لتنزيل أو تنزيل سورة كذا وقرى تنزيل بالرفع خبر المحذوف .  
 ( يَمُنُّ خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْاُمَلَا ) جمع عليا ككبرى وكبر . وهذا إلى الحسن تفضيم لشأن المنزل لتسببه إلى من هذه صفاته وأفعاله .

وبدا بخلق الأرض والسموات لأنها أصول العالم وقدم الأرض لأنها أقرب إلى الحسن ، ووصف السموات بالملو دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها ومن متعاقبة بقزبلا أو محذوف نبت هـ .

وفي قوله : يَمُنُّ ، وقوله : الرحمن . وقوله : الله الصفات من التكلم في قوله : « ما أنزلنا » إلى الغيبة . وذلك أن الأسماء الظاهرة من قبيل الغيبة ، وأما ضمائر الغيبة بعدها فتبع لها .

وقائدة الالفاظ الغنن في الكلام أضي سلوك فنين أى ط قين ، فإنه يفهم حسياً وقد ذكره كثير في التلخيص

وأبضا هذه الصفات تشريف مع لفظ الغيبة وأبضا أسند إزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن أولا ثم ثنى بالنسبة إلى من انحصر بصفات عظيمة مضوعف التفضيم من جهتين ومن هذه صفاته يحب الإيمان بكلامه والالتزام به .

وبحوز أن يكون أنزلنا حكاية الكلام جبريل والملائكة الغارلين معه .  
 ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) استقرى . وبسط الكلام في ذلك في سورة الأعراف والرحمن مبتدأ وجهلة استوى خبر وإن جعلنا الرحمن خبرا المحذوف على المدح فالجمله خبر ثان أو خبر المحذوف .

وقرى بحر الرحمن بدلا من أو بيان لا نبت ؛ لأن من لا نبت . وعلى الجر فالجمله خبر المحذوف ولا سمعوا على العرش - كما مررت الإشارة إليه - :

كناية عن الملك والقهر كناية مشهورة . قال : استقرى فلان عرشه أى مريره  
أى ملك وقهره . إن لم يكن له ميرر وأعقب بذكر العرش لأنه أجرى منه الأحكام  
والقنادير على ما شاء في الأزل من ترتيب وغيره .

( لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى )  
ملكنا وخلقنا وأما نفس السموات والأرض فدل على ملكه لمن خلقه لمن وفق  
ذلك دليل على كمال قدرته .

والثرى : الأرضون السبع . الأرضى قولاً ذكر أراد بها الجفيس ، فمن له وما  
تحتن له .

وقيل : الثرى : أسفل الأرض السابعة وآخرها . قيل : المراد بما تحت ذلك  
للصخرة التى تحتن .

وقيل : الأرضون على ظاهر ثور والنور على محور رأسه وذنبه المقتبان تحت  
العرش والبحر على صخرة خضراء اخضرت السماء بها ، وهى المذكورة في سورة  
لقمان والصخرة على الثرى ، ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله . ويوم القيامة يسول  
للبحر في جوف الثور .

وقيل : الثرى هذا الثرى الذى نحن عليه ، فالذى تحته هو الأرضون  
وأصل الثرى : الزاب الذى وفسر به بعضهم الآية .

( وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ) تعلى به . ( فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) تعلى فائب  
عن جواب إن . وإن شئت فقل : جوابها محذوف . وذلك تعليل بلا نية .  
وإن تجهر بكلام فاعلم غنى عن جهرك بعلمه منك بلا جهر ؛ لأنه يعلم الكلام السر  
وما هو أخفى منه وهو ما خطر في النفس أو حدثت به النفس فلا نجهد نفسك  
بالجهر في ذكر الله والدعاء . وذكر ذلك عقب ما مر لاقتران الإرادة والقدرة في



حبه سبحانه والإرادة لا تنفك عن العلم ، فأما أن علمه محيط بجليات الأمور وخفياتها على سواه . فالجهر بالذكر والدعاء إنما هو لتصوير النفس بهم ورسوخها فيه ومنعها عن الاشتغال بغير الله وعضها بالهزاع والصياح .

وعن ابن عباس : السر : ما في النفس ، وأخفى : ما سيمخطر فيها .  
وقيل : السر جميع ما قيل أو عمل في غير حضرة للناس ولم يعلموا به ،  
وأخفى : ما في النفس .

وقيل : السر : ما مره الناس . والأخفى : ما لا يظهره الله سبحانه للخلق ،  
ويتمتع عن ذلك زجر المكلف عن القبايح ظاهرة أو باطنة ، من حيث إن الله سبحانه يعلم كل ما خفي أو مر ، مما فيه ثواب أو عقاب أو مالا ثواب ولا عقاب  
له . وهذا أبلغ من قول الخازن : إن المراد ما فيه ثواب أو عقاب .

وفي الآية أيضا نهي عن الجهر كما قال : « وادكر ربك في نفسك » الآية .  
( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) لما ظهر أنه الجامع لصفات  
الألوهية بين أنه المفرد بها والتوحد بمتضاداته وفضل أسمائه على سائر الأسماء  
لدلائلها على معان في نهاية الحسن كالقنديس والربوبية . وهي كلها أحسن .  
ونعنها بالحسنى إنما هو المدح لا الاحتراز . والحسنى مؤنث الأحسن وأنث  
الأسماء لأنها جماعة .

وفي الحديث : إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة . والظاهر  
عندي أن المراد بإحصائها للعمل بمتضاداته والصيانة عن الخروج عنه . فمقتضى لفظ  
الله مثلا أن تعبد واجب الوجود سبحانه . ولا يخفى أن من عبده بأداء الفرائض  
يدخل الجنة بفضل الله .

وأول السورة إلى الحسنى خ صيغة السعادة والبركة والطاعة من كعب ذلك

في إنا. سرس أو صيني أو يلو. بك و كامور وما. ورد ومحاه بدمن بان وأصاف  
إليه شيئاً من العذير و كامور ومسح بذلك حاجبيه وجهه بنال القبول والجاه والحب  
والمر عند كل من يقابله بإذن الله تعالى .

(وهل أناك حديث موسى) أنبع ذكر نهوة عليه السلام بنصه موسى ليعتدي  
به في حل أتل للنهوة وتوليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد ؛ باب هذه  
السورة من أوائل ما نزل .

قال الشيخ هود : هل بمعنى قد والمراد التحقيق ويحتمل الوقوع فإن كان عليه السلام  
يتوقع حديث موسى فظاهر وإلا فإنه سبحانه وتعالى عظم حديث موسى حتى إن  
من شأن من سمع به مجلا أن يتوقع تفصيله .

وبعد فالحق أن هل الاستفهام القريري أي هل يا محمد بما عندك من إتيان  
حديثه أو عدم إتيانه إليك . ومثل هذا في الاستعظام كثير كما تبدأ الرجل - إذا  
أردت إخباره بأسر غريب - تقول : هل علمت كذا وكذا ثم تخبره .

(إذ رآه نارا) متعلق بحديث لأنه اسم مصدر دل على الحدث فهو بمعنى  
التحدث بل أجاز الإمامهني التعلق بنحو الحديث والدمن مما فيه إشارة إلى الحدث  
إشارة ما مع أنه غير مصدر ولا اسم ولا غيرها مما يعلق فيه الحار والظرف  
والحدث يستعمل اسم مصدر واسما كرجل ويجوز أن يكون إذ مفعولا لا ذكر  
والمراد بالغار النور ، فإنه رآه وظفه نارا . وقيل : نار حقيقة .

روى أن موسى عليه السلام استأذن شعبيا في الرجوع من مدين إلى مصر  
ليزور والده وأخاه ، فأذن له وخرج بأهله وماله في أيام الشتاء في ليلة مظلمة باردة  
مثالجة ليلة جمعة ، وأخذ على غير الطرق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل ، وهي  
في أيام الولادة لا تدري أنضع ليلا أو نهارا وتفرقت ماشيته وأجاء المسير إلى



جانب الطور الغربي الأيمن وولد له ابن في وادي طوى ، فأخذ زنده يده ولا  
مخرج نارا ، فأبصر نارا في جانب الطور عن يسار الطريق . من بعد ، وقد خرج  
عن الطريق فرأى نارا عظيمة

( قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُنُوا ) أفهوا مكانكم . وقرا حمزة بضم الهاء . قال  
الصبيان عن غيره : وهو لغة الحجاز .

( إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) أبصرتها من بعد . وقيل : أبصرتها إبصارا  
لا شبهة فيه .

وقيل : الإبناس : إصار ما يؤاس به .

( لَعَلِّي آتِيهِمْ ) اسم فاعل باعتبار أن الأصل في الإخبار الإفراد أو مضارع  
باعتبار أنه الأصل في الاستقبال على الصحيح والدلالة على التجرد وأما كونه  
الأصل في العمل فضعيف هنا لضعف تفاوت الوصف والمضارع في العمل في  
الظروف والمجرورات .

( مِنْهَا بِنْدَسٍ ) شعلة : وقيل : جرة . والشعلة تطلق على فتيلة وعود وخطاب  
أو قدت في طرفه نارا .

( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) الاستعلاء مجازي فإنه لا يكون أحد فوق النار  
ولو كان شبه للكون بجنبها بالكون عليها فاستعار لفظ على بجامع القرب والاتصال  
أو لما كان من بجنبها مستعليا على ما يقرب منها أطلق أنه استعلى عليها ، أو  
الاستعلاء حقيقي ، فإن من كان بجانب النار يستعلى عليها الاستعلاء ولا سيما في  
تلك الأمثلة . وأبضا هر مشرف عليها في الجملة ولو بلا اصطلاء .

ويحتمل أن يريد بالاستعلاء عليها ملكها . وأنشد ابن هشام رفره :

• وبات على النار الندى والحق •

بالاستسلام المحاري والمراد املى أجدا عند النار هداية إلى الطريق ، أو إلى أبواب الدين ، أو إلى الكل فتصح أن تكون على بمعنى مع . ولا بُعد في إرادة الكل أو إرادة أبواب الدين ؛ فإن أفكار الأبرار مائلة إلى الدين في كل أحوالهم وجود الهداية : دخولها له .

وقدر بعضهم هدى بهاديا وبعض هذا هدى . ولما كان الإيفاس محققا مقطوعا به أ كده لهم بأن لقرطن أنفسهم .

وأما الإتيان بالنفس ووجود الهدى فمتردبان ، فجاء بلعل طمعا وإطامعا ولم يقطع اعدم دليل القطع ، فلو قطع استراحت أنفس إلى القبس والطريق استراحة كلية . فإد لم يجد ما قصد انزلت تلك الاستراحة حزنا عظيما لشدة عدم ما وطئت للنفس على وجوده . كما ظهر لي .

روى أنه لما وصل إلى النار وجد ما يخرج من جذع شجرة شديدة الخضرة يقال لها : المليق . وقيل : الموسج . وقيل : سمرة . وقيل : شجرة المنساب . والنار يصام عمت أجزاء الشجرة تسكاد تخطف البصر ، طمعة . ووقف ينظر متحيرا ، ولعل شيئا يسقط . فمال عليه ذلك ، فأخذ صفتا من حطب رقيق ليمس به ، فمالت إله كأيما تريبه . وما زال يحيي لها ويذهب حتى خمدت واستقرت في أصل الجرع ، فزد تعجبا ونحيرا فصار يطوف يمينا وشمالا . وقيل : نار خضراء .

وروى أنه كان غيورا فصار يمشي ليلا بأمله لا نهارا . ولما ذهب إلى النار تباعدت منه ومشت ، فرجع نقيته ، وهكذا ، فتبين أنه أمر خارق .

( مَلَمَّا أَتَاهَا ) أي النار . ( نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ) بكسر الهمزة لتأويل النداء بالقول .



وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتحهم: اتقذير حرف الجر وهو الباء وسكن  
غير نافع وإن كثير وأبي عمرو للياء ولاء إني آنست وباء إني أنا الله وسكن  
الكوميون ياء على آتيكم.

ولا يخفى ما في الكلام من التأكيذ بأن وأنا ، فقد روى أنه نودي : يا موسى .  
فقال مسرعاً : إنيك إنيك سمعت كلامك : وأين أنت ؟  
فقال : إني أنا ربك فرقك ويمينك وشمالك وأمامك وخلفك ووالأرضين  
وأقرب إليك من جبل الوريد .

ولما انتفى الخطاب والصرف من الوادي تعرض له إبليس - أبعد الله عنه -  
فقال له : لعلك تسمع كلام شيطان .  
فقال : أنا عرفت أنه كلام الله سبحانه وتعالى بأنني أسمع من جميع الجهات  
وبجميع الأعضاء .

وروى أنه لما أتى النار وجد تسبيح الملائكة ، فإذا قرب منها بُعثت ، وإذا  
بُعد قربت ، ولم يختلف الصوت .  
وإن قلت : كيف تحقيق المسألة على مذهبنا ؟

قلت : إن الله - سبحانه وتعالى عما تقول المشبهة - خلق كلاماً في الشجرة  
أو في الهواء أو على لسان ملك كما أرل على لسان جبريل : « إنا نحن نزلنا  
الذكر وإن له لحافظون » ونحو ذلك ولم يقوم أحد أن المراد بالمرسل الحافظ  
جبريل وإما قل : سمعه من كل جهة وكل عضو دفناً لما يوسوس إليه أنه  
كلام شيطان .

( فاحمل مع تمليك ) مظان المقام ، كما نُحْمَدُ للمسجد ونحوه تواضعاً ، ولتعال  
قدماء بركة المقام وكاننا من جلد بقرة مذكاة .

وقيل : لأنهما من جلد حمار ميت .

وروى أنه غير مذبوغ ، ولما خلعهما ألقاهما من وراء الوادي .

( إِنَّكَ ) تمليل للخلع للأمور به ( يَا وَادِي ) في الوادي ( الْمُقَدَّسِ ) المطهر  
المعظم المبارك .

قيل : قدس مرتين .

وقيل : المراد المقدس عن اشتغال القلب بالأمل والمال والوادي فالمراد بجمع الفعلين  
الكفاية عن تفرغ القلب عن الاشتغال بذلك .

( طَوَى ) اسم للوادي بدل أو بيان ممنوع من الصرف للتأنيث باعتبار الهمزة  
مع العلية .

وقيل : هو كشف من الطي بمعنى مرتين مفعول مطلق ليردى أو المقدس ،  
أى نردى نداءين ، أو قدس مرتين . والصحيح الأول .

قال ابن هشام : وأما طوى فيمن منع صرفه فالمعبر فيه للتأنيث باعتبار  
الهمزة لا العدل عن طوى ؛ ولأن العدل قد أمكن غيره وهو التأنيث فلا وجه  
لترك العدل .

ويؤيد اعتبار التأنيث أنه يصرف باعتبار المكان فلو كان للعدل معتبرا  
فيه لما انصرف إذا اعتبر فيه المكان انتهى .

وقرأ ابن عامر والكوفيون بالقنوين باعتبار التذكير ؛ لأنه واد ؛ ولأنه  
موضع وذلك وادي الطور .

وقيل : واد مستدير عميق مثل الطور .

وقيل : إن طوى اسم واد بالشام ، وهو عند الطور الذي أقسم الله به في  
القرآن .



وقيل : إن طوى بمعنى طارجل بالعبرانية . وقيل : معرب ممناه ليلا .

وقيل : طوى بمعنى طويت لك الأرض مرتين .

قال الجوهري : لما قيل لموسى : استمع لما يوحى وقف على حجر ووضع يمينه

على شماله وألقى دونه على صدره ، ووقف بسمع وكان كل لباسه صوفاً .

واعلم أن الصحيح أن أمر موسى عليه الصلاة والسلام انقضى تلك الليلة .

وزعم بعض عن ابن عباس أنه أقام في ذلك الأمر حولا .

( وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ) رسالتى وليكلامى . وقرأ حمزة وأنا اخترتك بتشديد

للهمزة . وقال أبو عمر الداني : إن الكسائي قرأ أيضا مثله .

( فَاسْتَمِعْ ) إما بوحى ) ما موصول اسمى أو حرفى . والأول أولى ؛ لأنك

إذا قلت للوحى وأردت المعنى المصدري صُغف المعنى ؛ لأن الاستماع للوحى أولى

منه للوحى . وإن أولت الوحى بالوحى فجعل ما موصولا اسميا مفعى عنه نعم

لاضعف على تعليق اللام باختيارك ؛ فإنه يجوز تعليقها به . فجملة استمع معترضة

وتعليقها باستمع ، ولا يبعد التنازع . وفي الكلام نهاية الهيبة والجلال له ، كأنه

قيل : لقد جاءك أمر عظيم بتأهب له .

( إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ) وحدى ، وذلك مستأنف من

نفس للوحى .

وادعى للفوضى أن إننى أنا الله الخ بدل من ما ورد أنه أن الهمزة مكسورة

فلو كان ذلك بدلا لفتح لنية اتصالها بسلام الجر . اللهم إلا أن يقال : المراد

لفظ إننى أنا الله الخ . وأفاد هذا الكلام أن الموحى إنما هو توحيد هو منتهى

العلم ، أمر بعبادة كاللعمل .

( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ) إبت بها مستقيمة خصها بالذكر وأفردتها بالأمر لعظم

شأنها ؛ لأن فيها تذكر المعبود وشغل القلب واللسان به . ( اذِ كَرِي ) لتذكُرني  
بها ذكر قلب ولسان ، بحيث لا تُرائي بها ولا تشوبها بذكر غيري ، أو لتكون  
لي ذاكرة غير فاس ؛ فإن المخلصين يحملون ذكره على بال ويقصرون همهم به .  
واللام للتعليل والمصدر مضاف للمفعول اصطلاحاً

وقيل : لأنى ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأد كرك بالثناء وأجعل  
لك لسان صدق أو لأد كرك لي عليين بها فاللام للتعليل والمصدر مضاف لفاعل ،  
أو لأوقات ذكرى بتقدير مضاف ، وهو موافقت الصلاة ، أو لك صلاتي  
بتقدير مضاف أيضاً . ويدل له ما روى عن أبي عبيدة عن جابر بن ريد : من  
نسى صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها . وفي رواية تقديم الغوم . وفي رواية :  
فليقضها بدل فليصلها

وروى أنس : من نسى صلاة فليصل إذا ذكر لا كفارة لها إلا ذلك . وعن  
فسر الآية بذلك قاعدة .

وروى مالك وأبو عمرو الإمام الأندلسي أن النبي ﷺ لما قال ذلك ذكر  
الآية تفسيراً لها بذلك واللام في الوجهين الآخرين للترقيت .

وإن شئت نقل للحضور والمصدر على الأول من الوجهين مضاف للمفعول  
اصطلاحاً وفي الثاني المحذوف نائب عنه مذكور لا فاعل ولا مفعول .

وإن شئت فلا تقدر مضاعفاً في الثاني لأنه إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله ،  
ولأن فيها ذكره ، ولأن الذكر والنسيان من الله . وقيل : لا كرى بعد غفلة أى  
تقم الصلاة الفارلة إذا تذكرت حبي لها وأمرى بها وقرئ بإسكان الياء .  
وقرئ لا كرك .



(إِنَّ السَّاعَةَ) يوم القيامة (آيَةً أَكَادُ أَخْفِيهَا) عن الناس فلا أذكر لهم أنها آتية ولولا الصف وقطع العذر ما أخبرت بإتيانها .  
أو المراد بإتيانها قربها فلولا ذلك ما أخبرت بقربها أو أكاد أخفيها بأن لا أجعل علامات ودلائل . وذلك لفرط إرادتي إخفاءها أو أخفي مضارع أخفى الذي همزته للسلب ، أي أكاد أزبل خفاءها ، بأن أظهرها .  
ويؤيده قراءة أبي الدرداء وسعيد بن جبير . قيل : وابن كثير وعاصم يفتح الهمزة على أنه مضارع خفاء الثلاثي المنعوج الفاء الذي بمعنى أظهره . وقد ذكر هذا المعنى أهل اللغة وبعض شراح اللامية .  
وقيل : أكاد أخفي عن نفسي فكيف يعلمها الخلق . وذلك مباغاة على عادة العرب إذا بالغوا في كتم شيء . وإلا فلا يمكن كتم الشيء عن النفس . وروى هذا عن ابن عباس ونسب الأثر كثيرين . قيل : وهو باطل لعدم دليل على ما حذف فيه .  
قال جار الله : والذي غرم أن في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي . وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها .  
وقالت فرقة : أكاد بمعنى أريد . فالأصل أن أخفيها حدثت أن وارتفع الفعل واستشهدوا بقوله :

\* كادت وكدت وتلك خير إرادة \*

(اتَّخِذْ زَيْ كَلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) من خير أو شر وما أمم موصول أو حرف موصول واللام متعلقة بآتية .  
وإن فسرنا الإخفاء بالإحضار تعلقت به أي أكاد أحضرها لتعجزاء وإنما أخفاهما وسترهما تهويلا وتغنيا ؛ لأنهم إذا لم يعلموا أن ما مررنا ما كانوا على حذر في كل وقت كما أخفي وقت موت الإنسان .

( فَلَا يَصُدُّكَ ) بصرك ( عَنْهَا ) أى عن الإيمان بها والامتناع لها أو  
عن الصلاة ( مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا )

اعلم أن النهى فى ظاهر العبارة من لا يؤمن بها . والمقصود نهى موسى عليه  
الصلاة والسلام عن أن يؤثر فيه صد الكفار به عنها وعن لين الشكيمة الذى هو  
سبب إقائه الصد فكأنه قال : لا تكذب بها ، فذكر الصد الذى هو سبب  
الكذب ، أو لا تلن شكمتك . فذكر الصد الذى هو سبب عن لينها أى كن  
صلها حتى لا يطمع الكافر فى صدك . تقول : لا أربك ما هذا . ظاهره نهى نفسك  
عن ربه ما هذا . ومطاه نهى الخطاب عن الحضور الذى هو سبب روثك إياه .  
وذلك تأكيد ؛ فإنه ~~ولو لم ينه الله سبحانه~~ يختار الإيمان والرسوخ  
فى الدين .

وقال النقاش : الخطاب فى لا يصدك لبيدنا ~~عليه السلام~~ وهو بعيد .

( وَأَنْتَبِعَ هَوَاهُ ) أى الكبر بها وللمامى ( فَتَرَدَّى ) فتهلك جواب للنهى  
أى لا يؤثر فىك صدته فتهلك .

( وَمَا نَلَكَ بِيَمِينِكَ ) أى . لظرفه أو الإصاف . والاستفهام للتقرير  
يتضمن استيعاظا لما يرتب على عصاه من المعجزات ونسبة ، اثلا بذهله ما يكون  
من أسرها كذا ظهر لى . وسماه الحيوطى فى الإتيان إيفاسا .

وحص اليمين ولم يقل : وما نلك بيدك لما ذكرت من الثبوت لأنها فى يمينه  
مكأنه قيل له : انظر إلى ما فى يمينك وثبتت فلا يهولك ما يصير منه .

وقال أبو عمرو عثمان بن خليفة - رحمه الله - : فإن قيل : لِمَ قل يمينك ولم يقل  
بيدك لاشتبه عليه أيهما أراد والله لا يابس على خلقه ولا على رسوله ولا على أمته  
لأنه أرسل بالبيان والرحمة والحجة انتهى . والله . معطلة بمخالف وجوبها حل من تلك



سواء جعلت حبرا وما مهتدا أو بالمكسر ؛ لأنه اسم إشارة وفاعل الحال معنى الإشارة . وعلى قول الكوفيين يجوز أن يكون ذلك اسما موصولا ، وبمعنىك معطوف بمحذوف صلة له ذكره ابن هشام والشيخ خالد .

( يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ ) ما بعد هذا زيادة في الجواب عما كان السؤال عنه ، كقوله عليه السلام - لما سئل عن ماء البحر - : هو الطهور ماؤه الحل ميتته . وللصحاح من الجواب أن يكون مطابقا للسؤال أو أعم منه لا أضيق ولا مغايرا إلا للحكمة .

ويحتمل أن يكون فهم من السؤال أن المراد تعذيب الذم ، فأجاب بما يطابق .

وإنما ذكر للسند إليه وهو قوله : هي مع أنه معلوم ؛ لأنه في مقام يكون سماع السامع مطلوبا للمتكلم لمظنة السامع ، وهو هنا الله ، فبسط الكلام بذلك بذكر السند إليه .

وقرأ الحسن عصى بكسر الهمزة اعتبرا أن أصابا للسكون فكسرها للاحقاء الساكنين . كذا ظهر لي وسكنها ابن أبي إسحاق .

والشهور عصى بكسر الصاد وتشديد الهمزة قلب الألف باء . وأدغمها وكسر ما قبلها وهي لغة هذيل . وحكاها الواحدى في البسيط عن طي .

قال الشيخ خالد : قرأ عاصم الجعدي وابن إسحاق ودينار بن هرم عَصَى ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم قاله الشاطبي .

قال ابن هشام : ندر كسر باء الإضافة بعد الألف في قراءة الأعشى والحسن هي عَصَايَ .

( أَنْوَكَا عَلَيْنَا ) أهدمها عليها إذا عبيت ، وعند الذي والوثوب ، وعند الوقوف على رأس النطيع ، أعنى عند الرعى .

( وَأَهَشْ ) أخبط الورق من الشجر .

وقرأ النخعي أهش بكسر الهاء ، وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته . قال لقمان بن عاد : أكلت حقا وابن لبون وجدا وهششت نخب وسيلا . وقع والحدقه من غير شوم . ووقف على المنصوبين المنونين بالإسكان ونخب : واد قريبا من الطائف كثير السدر وذلك لقوته وعظمته . وقالوا : الجزور أكلة لقمان والفلة جرعة .

وقرأ بكرمة بالسین المهملة وضم الهاء أو كسرهما أى أقبل بها على اللغم زاجراً للغنم .

( بِهَا عَلَى غَنِي ) وزعم بعضهم أن الواو في وأهش واو الحال : وأهش : الزجر . وهو ضعيف من جمعين : الأولى أن المضارع المثبت الواقع مع مرفوعه حالا لا يقرن بالواو .

وأجاز بعضهم إن فصل عنها فيحتاج هنا إلى تقدير المبتدأ . والأصل هدم الحذف . والثاني : أن في جعل الواو عاطفة إفادة معنى بقوله : أنوكا عليها ، ومعنى آخر بالهش .

وإذا جعلنا الواو للحال كان الهش الذي هو الزجر قيداً للتوكؤ . فيفيد أنه يتوكأ عليها في حال الزجر . وذكر حاجقين مما يعمل بالعصى ولما ذكر حاجة إلا إن جعلنا التوكؤ لفه الزجر وجعلنا الهش بمعنى الزجر وجعلنا الحال مقدرة أى أنوكا عليها عند الإعياء مثلاً مقدراً لزجر الغنم بها إذا احتجبت . فقول : اسم المعنى نهمة ولها ألف معبرة .



( وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ ) جميع ما روية سهمزة بها كقصة وقد تطلب ألفاً وتثابيث الرام  
بعض حاجة وإنما قال : ( أُخْرَى ) ولم يقل : أُخْرَى بضم الهمزة وفتح الخاء لتأويل  
المآرب بالجماعة أو بالجملة .

ومن تلك المآرب : أنه إذا سار القاصد على عاتقه واعتمد عليها بيده فيستريح  
ويحمل عليها ما يحتاج إليه من طعام أو ماء وغيرها كالإصلاح . وكان في رأسها  
شعبةان يقدح بهما للنفار . وإذا آذاه الحر ألقى عليها كساء واستظل . وقيل :  
يركزها وتعود شجرة يستظل تحتها . وإذا قص حبله وصله بها بل إذا لم يكن  
عنده حبل أصلاً أو كان أدلاها في البئر فتطول على طول الدثر وتصلبه الشعبةان  
دلوها وإذا تعرضت للسباع نفضته قاتل بها . وإذا ظهر له عدو قاتل بها أو نضات  
عنه وحدها .

وروي أنه يحمل عليها وتمشي وحدها كالإدابة وتحدثه ويركزها فينبع الماء .  
قيل : والطعام . وإذا اشتوى ثمرة ركزها وأثمرتها . وإذا رفعها زال الماء والطعام  
وكانت تقبه من الهوام وكانت تشمر له ما يحتاج إليه ، وتخرج له من ماء وطعام  
ما يحتاج إليه في اليوم ، وتضيء له بالليل كالسراج . وكانت قبل من شجر الريحان  
وهي العصي التي أخذها من بيت عصي الأنبياء من عند شعيب عليه الصلاة والسلام  
حين اتفق معه على الرعوية . وهي عصي آدم هبط بها من الجنة .

وعن بعضهم أنه ذكر المنافع المتعلقة بالعصي تفصيلاً بالخش والتقو كؤ وإجمالاً  
بقوله : ولي فيها مآرب أخرى كأنه أحس بما يحدث بها بعد السؤال من أمر عظيم  
فقال : ما هي إلا عصي تنفع نفع نبات جنسها أو أراد الله تعديد المنافع واستكثارها  
ويريد عقب ذلك الآية العظمى كأنه يقول : أين أنت عن هذه المنفعة العظمى التي  
تنفس عندها كل منفعة .

وروى أنه سأه ليطس منه ويقتل به .

وقيل : أجل موسى لبسأه عن تلك المآرب فهزید فی إكرامه .

وقيل : انقطع لسانه بالهبة فأجل . وكان إلقاء للمصی اعوجاج فی رأسها إذا

طال الفصن جهاه به ، وإذا طلب كسره لواه بالشميتين .

( قَالَ ) الله ( أَلْقِهَا ) اطرحها . ( يَا مُوسَى ) قال وهب : ظن موسى أنه

أمر بإلقائها على وجه الرفض ( فَأَلْقَاهَا ) على وجه الرفض ثم نظر إليها ( فَلَمَّا ذَا

مِنْ حَيَّةٍ ) أشقر ذكر ( تَنَسَّى ) على بطنها بمرحة صِفراً على قدر للمصی ثم

صارت أعظم ما يكون من الحيات ، ولذا عبر عنها في الآية الأخرى بالثعبان

في العظم

وأما التفسير في غير ذلك بالجنان وهي الحية الصغيرة فباعتبار حال انقلابها

فإنها انقلبت صغيرة دقيقة على قدر للمصی .

وقيل : أقل عظمة في أسرع وقت . وعبر في هذه الآية بالحية لأن الحية اسم

لذكر والأنثى والصغير والكبير .

وقيل : عبر في الآية بالحية عمومها وبالأخرى بالثعبان باعتبار العظم وفي

غير ذلك بالجنان باعتبار سرعة الحركة فيصح أن تكون من أول حال الانقلاب

عظيمة وكان لها عُرف كعُرف للفرس وبين لحبيها أربعون ذراعا وهما للشميتان

والحجن عنق وعنهاها تققدان ناراً ونمر بصخرة كجمل فتبلعها وبالشجرة العظيمة

فما يسمع إلا وقع أضرارها عليها بصوت عظيم فلما رأى ذلك هرب ثم ذكر ربه

فوقف استحياء منه .


وقيل : لما أمر بإلقائها ألقاها لا على وجه الرفض ولما رأى منها ذلك هرب

وما رجع إلا بأسر الله تعالى بالرجوع ، رجع خائفاً وما سكن خوفه إلا بعد قوله

« وَجَلَّ لَهُ » لا تخف .



( قَالَ خُذْهَا ) بِيَمِينِكَ .

( وَلَا تَخَفْ ) منها . وعن بعضهم : إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم  منها . ولما قال له : لا تخف بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده اليمنى في لحيتها وأخذها وانقلبت عصي في يده في شمتها وها الموضع الذي يسكنه حين يمكث . وروى أنه كان عليه مدرعة فهرب وقطعها فيها . لما قال له : خذها لف طرفها بيده ، فأمره الله أن يكشف يده فكشفها .

وروى أنه لما ألقاها قول له : أرايت لو أدن الله بشي . أتعلمك المدرعة ؟

قال : لا ، ولكنني ضعيف من ضقاء الخليفة فكشف عنها .

( سَفِيرٌ دُخَانٌ سِيرَتَهَا الْأُولَى ) وقتها وحالاتها السابقة وهي كونها حية تسمى تفعل تلك الفعلات ثم بعد الإعادة تكون عصي . والسيرة فظة بكسر القاء لهيئة من السير . يقال : سار فلان برجليه سيرة حسنة ثم اتسع فيها فقلت إلى مصي الذهب والطريقة والهيئة .

والدصب على نزع الخافض ، أي إلى سيرتها ، أو في سيرتها ، أو بدل اشتغال منها ، أو مفعول مطلق لمخدوف ، أو مفعول مطلق لنعيد ، بمعنى سهر بها أيضا سيرتها ، أي تسير سيرتها الأولى لا ظرف مكان اعدم الإبهام إلا ما تكاف .

ويجوز أن يراد بالسيرة الأولى كونها عصي إذا قبضتها رددناها عصي وضمائر للقائيث للعصي بدليل للسيرة الأولى . نفى قوله : خذها تسهيل أي خذ عصاك ولو كانت على غير صورة للعصي فإني لا أعصاك ، ومع ذلك قال قلب تعويق لا تخييل إلا ضمير تسفي فإنه للحية

ويجوز إرجاع ها من خذها للحية قبل .

ويجوز أن يكون نعيد من طاده بمعنى طاد إليه فيتمدى إلى اثنين مع الهمزة فيكون سيرة مفعولا ثانيا .

( وَاضْمِ يَدَكَ ) البني ( لِي جَنَاحِكَ ) جندك تحت المضميد الأيسر والمراد

الإبط الذي هو تحت الكتف والمراد بالضميد الأيسر

روى أن كل مريض من طلبة ونحوها فإنه إذا ضم يده إلى جناحه  
فتر رعبه ، فجمع الله تعالى سبحانه لموسى فتغير الرعدة مع الآية في اليد وهي

خروجها بيضاء

واليد : الكف ؛ فإنها الخارجة بيضاء . وإن أيد الكف والذراع قدّر

المضاف في قوله : ( تَخْرِجُ ) أي يخرج كفها أو يكون فيه جهاز مرسل بأن أطاق

ضمير اليد بمعنى الذراع على بعضها وهو الكف أو يكون فيه استخدام حيث

أريد ضمير الظاهر ما لم يرد بالظاهر من غير اعتبار الكفاية أو البعضية كذا

ظهر لي والله الموفق

والجناح أصله جناح الطائر ؛ لأنه يخرج عند الطيران ، أعني يهلها ، استعمل

لجانب الإنسان وجانب العسكر

( بَيْضَاء ) حال من ضمير تخرج قال الحسن : أخرجها والله كأنها مصباح

وعن ابن عباس : تضيء كالشمس والقمر أيلا أو نهارا وهي أكبر آياته

ولون موسى عليه السلام الأدمة وضوء يده يفتش البصر

( مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) مطلق ببيضاء أو محذوف حال من ضمير بيضاء أو من ضمير

تخرج . والسوء : البرص ، وكفى عنه بالسوء الخمار للطباع عنه وهو أبغض شيء

إلى العرب . وكان جذبة صاحب الزباء أبرص فكفوا عنه بالأبرص ، وكان

جديراً أن يكفى عنه . ولا ترى أحسن من كتابات القرآن ، فهي تضيء إذا أراد

وإذا أراد انطفاء ضوئها ردها تحت إبطه .

( آيَةً ) حال من ضمير تخرج أو من ضمير بيضاء أو منقول لخذ أو لدونك

الذي هو اسم فعل بمعنى خذ محذوفاً لداهل



ودفع ابن دشام عمل اسم الفعل محذوفاً والمصحيح الجواز لدليل .

( الْخَرَى ) غير آية للمضي ، والله اعلى صدقك .

( إِنْزَاكَ مِنْ آيَاتِنَا ) متعلق بنرى .

( الْكُبْرَى ) أى الآية الكبرى مفعول نرى ، أخر للفاصلة . ومن الابتداء .

وإن جعلت لامة مبيضت بمتعلق محذوف حال من الكبرى وعده الكبرى هى آية

اليد ونرىك متعلق بحد أو بدونك المتدر .

ويحوز أن يكون الكبرى نعتاً لآياتنا فمفعول نرى محذوف أى بعضاً من

آياتنا الكبرى . فمن آياتنا نعت المحذوف .

وقيل : من آياتنا فى مقام المفعول ومن جعل من التبعيضية اسماً هى المفعول

ويحوز تعليق اللام بمحذوف أى نعمنا ذلك انرىك .

( ادْعُ إِلَى رِعْوَةٍ ) فهو دأيل للتقهاء على أن الإمام يقصد فى الداء إلى

التوحيد ، رئيس القوم وبدعائه يحل دماء القوم إن لم يجب .

واختلاف فى اليهودى ، فتيل كذلك . وقيل : يدعوهم موحداً .

والمراد ذهب إلى فرعون وقومه . وخص فرعون بالذكر لأنه أعنى وأكفر

كما قال عز وعلا : ( إِنَّهُ طَافَى ) جاوز الحد عصى وتكبر وادعى الربوبية وكان

مقبوعاً فدعاؤه أحق من دعاء غيره ، وإلا فهو موسى عليه السلام مبعوث إلى الكل ،

فأمره بالهداب إلهية بالآيتين .

قال ابن منذر : قال الله تعالى لموسى : اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق

برسالتى وإناك بعينى وسمعى ، وإن معك يدى وبصرى ، وإلى أنفك جهة من

سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى . بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى

وأمن منكى حتى جمع حتى وأزك . يوبى . وإلى أقدم بمرزنى لولا الحجة

التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ، ولكن هان عليّ وسقط  
من عيني فهلغه رسالتي وادّعه إلى عبادتي وحذرته نعمتي ، وقل له قولاً أيضاً لا يفتر  
بلباس الدنيا ؛ إن ناصبته يهدى لا يطارف ولا يتنفس إلا بعلمي ومومني ساكت  
فجاءه ملك فقال : أجب ربك فاعلم أن ذلك رسالة وفهم قدر التكليف فدعا الله  
في المونة ؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كما قال الله عز وجل حكاية عنه :  
( قَالَ رَبِّ ) يارب . ( اشرح ) وسع لعمرك أنقال النبوة ( لي صدرى )  
قال ابن عباس : يريد حتى لا أخاف غورك .

وذلك أن موسى خاف فرعون خوفاً شديداً لشدة شركته وكثرة جنوده  
فسأل ربه أن يوسع قلبه حتى يعلم أنه لا يقدر أحد على ضربه كأنما ما كان . وإذا  
علم ذلك لم يخف فرعون .

( وَبَشِّرْ لِي ) سهل لي . ( أُمِرِي ) ما أمرتني به من تبليغ الرسالة

وقيل : شرح الصدر : جملة ما يرد من الأمور .

وفائدة « لي » في الموضعين إيهام الكلام أولاً ورفعاً ثانياً بذكر الصدر  
والأمر بمبالغة وتأكيده لطلب الشرح والتيسير .

وقيل : يسر لي أمري تأكيده لإشرح لي صدرى .

( وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ) هي العقدة التي كانت له بوضع جرة في لسانه .

روى أن موسى عليه الصلاة والسلام قدم في حبر فرعون فدبده إلى لحبته  
فتزع منها خصلة وهو طفل فغضب فرعون وأراد قتله وقل لا امرأته آسية : إن  
هذا عدوى .

وروى : أنه أطم فرعون ونزع من لحبته .

وروى أنه كان كثيراً ما يمد يده إلى الحية ، ولما أراد قتله قالت آسية : إنه صبي ولا يقتل .

وروى أن أم موسى لما نظمت رده إلى فرعون ، نشأ في حجره وحجر امرأته واتخذاه ولدا ، فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب يضرب به رأس فرعون فهم بقتله فقالت آسية : إنه لا يقتل جرأه إن شئت . فجاء بطستين في أحدهما حجر وفي الآخر جوعر ، فوضعهما بين يدي موسى ، فأراد أن يأخذ الجوعر فصرف جبريل يده عنها ، فأخذ جرة بيده ولم تعد على اليد ، فوضعها على لسانه فاحترق . وصارت فيه عقدة ، فزال غيظ فرعون .

وقيل : لما أخذها بيده أحرقتها فحولها إلى لسانه . واجتهد فرعون في علاجها ولم تبرأ . ثم لما دعاه إلى الله قال : إلى أي رب تدعوني ؟

نقال : إلى الذي أبرأ يدي ، وقد عجزت عن إرائها .

وروى أنه أدخل الجرة في فيه فأحرقت فيه لسانه ، ولم يخرج إليها لسانه .

وروى أن يده لم تبرأ أثلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة تنفقد بهما حرمة المؤاكلة .

قيل : ولعل تبييض يده كان لضربه بها فرعون ونقف لحيته . « ومن لسانى » معلق بأحبال أو صفة لعقدة . وعلى الأول فمن اللابعداء ، وعلى الثاني ظرفية .

واختلف في زوال العقدة . فقيل : زالت بجملة ما لقوله : « قد أوتيت سؤلك يا موسى » .

وقيل : بقي بعضها لقوله : « وأخى هارون هو أفصح منه لسانا » ، وقوله : « ولا يكاد يبين » .



وكان في لسان الحسن بن علي رتبة فقال رسول الله ﷺ : ورثها من عمه موسى عليه السلام وأصل الأرت إنما يكون في شيء . دام إلى موت صاحبه .  
وأجيب بأنه لم يقصد حل عقد لسانه مطلقاً بل عقدة تمنع الإفهام حتى إن بعض أهل العلم « من لسانى » نعمتاً لعقدة وجعل من للتبويض أى عقدة من عقد لسانى بدليل إجابة الدعاء بقوله : ( يَفْقَهُوا ) يفهموا ( قَوْلِي ) ولم يطلب للفصاحة الكماله بدليل الإمراد والتشكيك في عقده وأن الأرت في الحديث بمعنى أنه وقع له ما وقع لموسى ﷺ والمكن إنما يحسن التبليغ من التبليغ اللهم إلا أن يقال : إن إرادة تلك العقدة بوصله إلى البلاغة ( وَاسْمُكَ لِي وَزِيرًا ) معينا على ما كلفتنى به من الوزر بكسر الواو وإسكان الزاء ؛ لأنه يحمل الثقل عن أموره أو من الوزر بفتحهما وهو الملقب ؛ لأن الأمير يلتجئ إليه في أموره . ويقرب إليه ما قيل :  
لأنه من المؤازرة وهي المعاونة ، وأن أصله الحمزة قلبت واوا .  
وقيل : إن أصله أريز من الأزر وهو القوة قلبت الحمزة أيضا واوا وزنه فمائل بمعنى مفاعل بضم الميم وكسر اللين أو فتحها كمشير وجليس وقعيد وخليل وصديق وتديم وقلبا حمزة نظرا إلى قلبها في يؤازر وموازر وموازرة .  
( مِنْ أَهْلِ هَارُونَ ) مفعول أول ووزيرا ثان قدم اعتناء بأمر الوزارة ولى مطلق بأجل أو حال منه أو لأمه للتعوية وتكون راجعة إلى قوله وزيرا ، ومن معاملة بأجل أو بمحذوف نعت لوزيرا ، ووزيرا مفعول أول ، ولى مفعول ثان وهارون بدل من وزيرا بدل معرفة من نكرة بناء على جواز ذلك ولو لم تخصص النكرة . وإن جعلنا من أهل نعمنا لما نقد خصصت .  
وإجار جار الله كونه عطف بوان عطف معرفة على نكرة ، لإجازته ذلك ، وعطف نكرة على نكرة عطف بيان .

(أخى) بدل أو بهتان من هارون أو من وزيره قبل به أو مبتدأ خبره  
 (اشدد) قرء (به أزرى) ظهري إخبارا بالطلب ويجوز أن يكون لي مفعولا  
 أول ومن أهل ثانياً به مفعولاً ثانياً لـ (اشدد) وقرأ ابن عامر أشده بهمة قطع مفتوحة مضارعاً مجزوماً في جواب الطلب  
 وسكن ياء أخى ومعهما .

قال أبو عمرو الداني : سكن غير نافع وأبي عمرو ياءات لذكرى ، ويسر لي  
 أمرى ، وعلى عيني ، ولا برأسي .

وسكن غير ورش وحقق ولي فيه .  
 وفتح ابن كثير وأبو عمرو أخى أشدد .  
 وسكن الكوفيون وابن عامر لنفسى اذهب وفي ذكرى اذهباً محذوف  
 للساكن . وسكن غير نافع وابن كثير يا حمرتي .  
 وأثبت نافع وأبو عمرو ياء ألا تتبعني في الأصل وأثبتها ابن كثير ما كنه  
 في الأصل والوقف .

وكان موسى أقل من هارون سنّاً وجمالاً . وكان هارون أبيض وموسى آدم .  
 وروى أنه أكبر من موسى بأربعين سنة . وقيل : بسنة . وقيل : بثلاث سنين .  
 (وأشركه في أمري) أجعله شريكاً لي في الرسالة حتى نتعاون .  
 وقرأ ابن عامر وأشركه بضم الهمزة على أنه مضارع منطوف على أشده  
 المجزوم في جواب الطلب في قرأته .

وقرى بالانصب في جواب أشدد وبالرفع .  
 وقرأ ابن مسعود أخى وأشده ، وأبي بن كعب أشركه في أمري وأشدد به أزرى .

( كُنْ نُسَمِّعَكَ ) نزهك باللسان والقلب نصيبها ( كَثِيرًا ) وقيل : المراد بالتسبيح الصلاة .

( وَنَذَرَكَ كَثِيرًا ) مطلق الذكر تنزيه أو غير تنزيه .  
( إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ) علماً بأحوالنا وأن لنا عوناً مما يصلحنا وأن  
هارون نعم للمعين لي فيما أمرتني به .

وقيل : المراد بالذكر للثناء على نعمة الإرسال وغيره . وأجيز كون كَثِيرًا  
في الموضعين ظرفاً زمانياً .

وقيل : معنى إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا أَنَّكَ عَالِمٌ بِنَا فَأَنْعَمْتَ بِالرَّسَالَةِ .  
( قَالَ قَدْ أُرِيتَ ) أعطيت ( سُؤَالَكَ ) أى سؤالك كالأكل بضم الهمزة  
بمعنى المأكول والخبز بمعنى الخبز ( يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى )  
أنعمنا عليك في وقت آخر .

( إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ) إذ حرف تعليل أو ظرف بدل من مرة  
والمعنى إذ أوحينا إلى أمك ما لا يعلم إلا بالوحي وأوحينا إليها ما ينبغي أن يوحى  
ولا يخل به اعظم شأنه ؛ إذ فيه مصلحة دينية ودنيوية .

والإيحاء إلهام أو وحي منام أو على لسان نبي في وقتها أو ملك لا على وجه  
النبوة كما أوحى إلى مريم . وقيل : هما نبيتان .

( أَنْ أَقْذِفَ فِيهِ ) أن مصدرية إن بنينا على جواز دخولها على الأمر أى بأن  
أقذفه أو تفسيرية ؛ لأن الوحي فيه على معنى القول دون حروفه . زعم بعضهم أنها  
تفسيرية تفدر للباء معها والقذف والرمي يقالان للإلقاء والموضع نحو : « وقذف في  
قلوبهم الرعب » وقول الشاعر :

• غلام رماه الله بأحسن وإنما •

أى وضع فيه الحسن ( فِي الثَّابُوتِ ) للصندوق .



( كَانْذِفِيْ فِي الْيَمِّ ) بحر الغم

( فَذُلِقَ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ) شاطئ البحر . واللفظ دون المضي أمر في الظاهر

وفي ذلك مبالغة أو اللفظ والمعنى معاً أمر من حيث إن إلقاء اليم إياه إلى الساحل أمر لا بد من وقوعه لسبق الأزل لذلك فجعل البحر كأنه ذو عقل يأمر إذا أمر فأمره بالإلقاء والهاء في قوله بالساحل بمعنى في .

( يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِّى ) هو فرعون والتعكير للتحقير أو التعتيم المداوة

وتكثيرها .

( وَعَدُوٌّ لَهُ ) لو قال : عدوى وله لصح ولكن أعاد لفظ عدو مبالغة في

المداوة أو لتخالف العداوتين . إن عداوة الله واقعة وعداوة موسى متوقعة

والضمان كلها لموسى . وفي رجوع الهاء من اؤذنيه ويلقه ويأخذه للتأبوت ،

ورَدُّ الباقي إلى موسى هُجْنة تشتمت للضمائر فيقنأف للأياف الذى عو أمر إيجاز

للقرآن الواقع عليه التحلى ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر . ولا يخفى أنه ولو

كان المذوف في اليم الملقية لليم بالساحل الذى يأخذه العدو وهو القابوت لكن

ذلك للقابوت بالذات ولموسى بالعرض ولا ضير في قولك : ألقى موسى في اليم

في جوف القابوت وألقاه اليم في جوفه بالساحل وأخذه فرعون من جوفه .

دوى أنها جعلت في القابوت قطعاً محللاً فوضعت فيه وسدت الخلال بالخص

والانظر ان ممزوحين وألقاه في البحر وجاء به الموج إلى بركة في بستان في دار فرعون

دأته في أقرب الماء لحافة البركة أو ألقاه في الحامة .

ولا ضير بتسمية طارف البركة ساحلاً . وكذلك يجوز تسمية ماؤها بحراً

وذلك للشبهة ولأن ماءها من البحر . ويجوز أن يراد ساحل فيه فم البركة ثم أوصله

الماء إلى البركة وفرعون مع زوجته آسية رضى الله عنها ينظر من الساحل أو من

موضع في الدار رأسه فأخرج منه صبي أصبح للناس وجهاً مباركاً .

وسمى النشاط. ساحلا لأن الماء يسجد أى يقشره فهو فى الأصل إما فاعل  
بمعنى . فمفعول وإما من باب تسمية المحل وهو النشاط . باسم الحال وهو الماء .

( وَأَلْقَيْتُ فَلَيْكَ حَبَّةَ مَنَى ) فى قلوب الناس وكل من رآه أحبه ولما رآه  
مرعون - أمه الله - أحبه حباً شديداً ولم يتألك

وروى أن كل من رآه أحبه للملاح فى وجهه وعينه .

وقيل : المراد بالحببة القبول الذى يضعه الله عز وجل فى الأرض من نوار مياهه  
وكان حظ موسى منه فى غاية الوفرة .

فيل وهو الأصح ومعنى متعلق بالقيت ، أى من نفسى أو بمحذوف امت لحة  
أى محبة كائنة منى .

ويجوز أن يكون المعنى إني أحبك ومن أحبه الله أحبته القلوب ولا يختص  
هذا للمنى بتطبيق من بالقيت كما ادعى القاضى فهما لجار الله .

( وَلِتُصْنَعَ ) تبنى ويحسن إليك فى التربية والمطف على محذوف أى ليتطف  
عليك أو ترأى ، أو متعلق بمحذوف أى وصلت ذلك لتصنع .

ويجوز تقديره مؤخرأ عن عيني وعلى اللطف على محذوف هو متعلق بما تعلق  
به المحذوف .

وقرى بالبناء للفاعل بفتح الفاء والنون أى وليكون عليك وتصرنك على  
عيني فلا تخالف أمرى .

وقرى بالجزم وإسكان اللام وكسرهما على أن اللام للامر .

( عَلَى عَيْنِي ) على رعايتى وحفظى لك فالعين كناية عن الحفظ ولا عين  
هناك وإن شئت فقل : مجاز مرسل من باب إطلاق اسم الآلة على ما يعمل بها

ولا عين أيضاً كذا ظهر .

(إِذَا تَمْشِي أختك) مريم لتتعرّف خبرك وقد أحضروا مراصع ولم تقبل  
من واحدة وصادقهم الأخت في حال إحضار المراضع وطلبن، وهي غير أم عيسى  
فقال ما قال الله .

(مَقُولٌ) الخ ، وإذا معلقة بالقيت أو تصنع ، أو بدل من إذ قبله ، على  
أن المراد بهما وقت منسج ويجوز كونها تمليلاً لأوحينا أو قذف الأول  
أو الثاني .

(هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) أي على امرأة ترضعه ويقبل عنها ، ومن  
واقعة على المؤنث والتذكير نظراً للفظ ، يقالوا : نعم فجاءت أمة تقبل عنها كما  
قال الله عز وجل .

(فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ) وفاء بقولنا : « إنا رادوه إليك » (كَيْ تَقَرَّ)  
هي . (عَيْنُهَا) بملقائك ودؤبتك .

(وَلَا تَحْزَنْ) هي بفراقك فالفاعل مستقر جوازا أو لا تحزن أنت على  
فراقها فالفاعل مستقر وحوبا وموسى عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت ولو كان  
صغيراً جعل الله فيه من العقل ما يفرح به ويحزن ، أو المراد لا تحزن إذا وصلت  
خداً بمكذك فيه الفرح والحزن .

وإن قلت : كيف يقال : لا تحزن بفراقك وقد حزنت بفراقك ؟

قلت : المراد لا تحزن بعد أي ليذهب عنها الحزن .

تكملة

روى أن موسى هو موسى بن عمران بن بصير بن قاسم بن لاوي

ابن يعقوب .

روى أن يعقوب ولد لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم إن



لاوى نكح ثابة بنت حاوى بن يسئب ولدت له عرشون ومزى وقاىث بن  
لاوى وولد لاوى قاىث بعد اذ مضى من عمره ست وأربعون سنة فنكح قاىث  
ابن لاوى قاهى بنت تاويب بن تركيا بن يفتشان بن إبراهيم ، فولدت له بصهر  
بعد أن مضى من عمره ستون سنة وكان عمر بصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فولد  
عمران ونكح عمران بن بصهر نجها بنت اشموئيل بن تركيا بن يفتشان بن إبراهيم  
فولدت له هارون وموسى .

وقيل : اسم أمها ناجمة . وقيل : لوحا وهو المشهور . وكان عمر عمران مائة  
وسبعا وثلاثين وولد له موسى . وقد مضى من عمره سبعون سنة . وعاش موسى  
مائة وعشرين سنة . وموسى أمم مريانى  
وعن مكرمة عن ابن عباس : سمي موسى لأنه ألقى بين شجر وماء فالما  
بالقبطية مو والشجر سا .

وقال المناوى : أصله موشى بالقبطية مو الماء وشا الشجر .  
وروى أنه لما أراد فرعون ذبحه لظنه أنه الذى يهلك على يده أسفوهة منه  
آسية فوجه لها فقال : سميت باسمته موسى .  
وكان طويلا وهارون أطول منه . وكان على أرنبة ولسانه شامة .  
وكان موسى آدم جعدا كأنه من رجال شدوة رقى طرف لسانه شامة سوداء  
وهارون أخوه شقيق كامر .

وقيل : لأمه . وقيل : لأبيه . ومات قبل موسى .  
وروى أنه ولد قبله بسنة ، وصغر خلافه . ورآه سيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء .  
ونصف لحيته أبيض ونصفه أسود فكاد لحيته تضرب إلى مرتة من طولها .  
قلت : يا جبريل من هذا ؟

قال : الحبيب فى قومه هارون بن عمران .

وعن بعض أن معنى هارون بالبرانية المحب .

( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) هو القبطى بمصر فاقتممت لقتله من جهة فرعون وخوفاً من عقاب الله وكان موسى وقت القتل صاحب اثنى عشرة سنة .  
( فَتَجَنَّبَاكَ مِنَ الْغَمِّ ) غم القتل وغم الخوف وعقاب الله بأن استغفر  
تغفر له .

( وَفَتَنَّاكَ ) ابتليماك بالإيقاع في غير ذلك وخلصماك منه . وقيل : اختبرماك  
والمصدق واحد .

( فَتُونًا ) مصدر كالشكور أو جمع فتن أو فتنة مفعول مطلق أى ابتليماك  
ابتلاء وابتليماك ضرباً من الابتلاء بخلصماك مرة بعد أخرى .

سأل سعيد بن جبير ابن عباس - رضى الله عنه - عن ذلك فقال : خلاصماك  
من محنة بعد محنة : ولد في عام يقتل فيه للصبيان ، فهذه فتنة يا ابن جبير . وهم  
فرعون بقتله ، فهذه فتنة يا ابن جبير . وقتل قبطياً ، وهم فرعون بقتله ، فهذه فتنة  
يا ابن جبير . وأجر نفسه عشر سنين ، فهذه فتنة يا ابن جبير . وضل الطريق ،  
فهذه فتنة يا ابن جبير . وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة ، فهذه فتنة يا ابن جبير . ومشى  
حافياً جائعاً بأكل للبهل ثمانى ايسال إلى مدين حين قتل القبطى ، فهذه فتنة  
يا ابن جبير . وفارق الأحباب والوطن ، فهذه فتنة يا ابن جبير ؛ فالفقون إجمال  
لما لقي في سفره وغيره قبل ؛ أو لما لقي فيه فقط . ومن ذلك منه الرضاع إلا من  
تدى أمه

( مَلَئْنَاكَ ) أمت ( سِنِينَ ) عشر سنين برعى غنم شعيب مهر زوجته وثمانى  
عشرة بعد ذلك بلارعى ، وذلك ثمان وعشرون سنة أقامها مع شعيب  
وولد له

وقيل : عشر سنين فقط . والأول قول وهب .

وقال الشيخ هود - رحمه الله - : عشر من سنة  
( فِي أَهْلِ مَدِينٍ ) ملأه على ثمانى مراحل من مصر . وزعم بعض أنها على  
ثلاث مراحل .

( ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ) هو القدر الذى يذكر مع القضاء . فى كتب  
الفتى ، أى جئت على ما سبق فى قضائى وقدرى ، من وقت مخصوص غير مقدم  
أو مؤخر أو كلاك فيه واستنبطك . وهو الوقت الذى أوحى فيه إلى أنبيائى وأرسل  
وهو تمام أربعين سنة . فلك أن تقول : القدر - بفتح الدال - : القدر المحدد  
بسكونها . وهو ذلك الوقت . وفسره بعض بالقدرة .

وفى الآية تلويح إلى تمثيل حاله بحال من يراه بعض الملوك أهلاً لقرب للنزلة  
والإظاف للمقام لجمه الخصال . ويرشح ذلك قوله : ( وَاصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي ) اخترتك  
لنفسى وجعلتك محل الإكرام .

وبمعنى أن يكون التمثيل فى قوله : « وَاصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي » أى اتفقتك على  
وحيى ورأيتك وجعلتك خائفتى حتى كأنى الذى أقت عليهم الحجة ، خاطبتهم :  
( اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ ) إلى الناس ( يَا بَنِي ) معجزاتى للسمع وقيل :  
جميع ما أنزل الله عليه ، وما أحرى عليه .

( وَلَا نَذِيرًا ) لا تضيق ولا تنصرا . ويقال : ونى أى تروى وتشل أو أبطأ .  
وقرأ ابن مسعود ولا تهما وقرأ بعضهم بكمم الناء .

( فِي ذِكْرِي ) أى تسبيحى ودمائى . والثناء على وتبليغ رسالتى . فالصدر  
مضاف لما هو متناول اصطلاحاً ولا يخفى أنه إذا بلغ الرسالة فقد ذكر الله سبحانه  
وأما أمرها بمداومة الذكر أى يكون الذكر معرفة .

وعن بعضهم أن المعنى لا تنيا فى ذكرى بالإحسان إليكما أو من ذكر  
النعمة : شكرها .



( اذنبنا إلى فرعون إنه طغى ) أمر موسى وحده في قوله : اذهب أنت وأخوك ه وأمره هنا وأخاه فلا تكرر .

وقد روى أن الله عز و علا أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يلتقي بموسى .  
وقيل : سمع بإقماله إلى فرعون فاستقبله . وقيل : ألم . ولما التقى موسى أخبره بما أوحى إليه .

( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَئِنَّا ) قال ابن هشام : قولاه : هل لك إلى أن ترى وأهدبك إلى ربك فتخشى . وإنما كان لئنا لأنه استفهام ومشورة وفيه تمريض بالفوز للعظيم وتلميح الكلام بحجة عظيمة قال عليه السلام : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ونقض من أساء إليها .

وعن سهل في القول اللين : أنه إذا دخل عليه قال : يا أبا مصعب قل : لا إله إلا الله وأنى رسول الله .

وقيل : القول اللين : التمكنية قبل دعائه مثل يا أبا مصعب أو يا أبا العباس أو يا أبا مرة أو يا أبا الوايد فله أربع كنى لا ثلاث كما قال جار الله . ولكن العدد لا يفيد الحضر .

وقيل : القول اللين : أن بقولا : إن لك على قبول الإيمان شهابا لا يهرم وملاكا لا ينزع منك إلا بالموت وبقاء لذة الطعام والشرب والمكح إلى المات والجنة بعد الموت . فقال له ذلك فأجبه . وكان لا يقطع أمرا دون هاتين .

ولما جاء هاتان قال : أردت أن أقبل منه ما قال لي وهو كذا وكذا .

فقال له هاتان : ليس ذلك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا

وأنت تمهد تريد أن تمهد قلبه على رأيه .

وإنما أمر بالتلميح المداراة لئلا يسطوا ، والرفق والاستعجاب .

وقيل : لما له من حق التربية في موسى كحق الأب . والظاهر أن التلمين إنما هو لذلك كله .

وعن ابن العربي من علماء الأندلس : وفي الآية دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالين لمن معه القوة .

وفي الإسرائيليات أن موسى أقام بهاب فرعون سنة لا يجد من يبالغ كلامه حتى لنفوسه حين خرج فجرى له ما قص الله علينا من خبره وكان ذلك تسليمة لمن جاء بعده من المؤمنين في سدهم مع الظالمين . انتهى .

ولا يخفى على النصف من كان يقضى بلا تقييد يلين له وإن كان لا ينتهي إلا به غلط عليه إن قدر عليه وإلا لين له كسراً لشكيت . ومن لا يعرف حاله لين له . وقد يجب التلمين لمحق كحق الأبوة والتربية .

( أَمَلَهُ بِقَدَرٍ أَوْ يَخْشَى ) يعظ أو يخاف فيسلم ؛ فإنه إن خاف أن الأمر كما تقولان أسلم إن شاء الله .

والترجي مصروف إلى موسى وهارون ، أي اذهبا على رجائكما أو قولاً قولاً أيضاً على رجائكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو أن يجد ما يريد نصار يجتهد في أسباب وجوده .

ويحتمل « لعل » التعليل ، وهو مصروف أيضاً لموسى وهارون ؛ لأنه سبحانه قد علم أنه لا يؤمن ولكنه أرسلهما قطعاً لعذره وإظهاراً للآيات الواقعة في ذلك وكل من الترجي والتعليل - كما علمت مما ذكر - عائد إلى قوله : « اذهبا » أو قوله « قولاً » .

قال القاضي : التذكر للتحقق والخشعة للتعظيم ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق عنده صدقكما ولم يذكر فلا أقل من أن يعظم به فيخشي .

قال يحيى بن معاذ الرازي - لما قلوت عنده الآية وبكى - إلمى هذا رفقتك  
 عن يقول : أنا الإله فكيف رفقتك بمن يقول : أنت الله ١١

( قَالَا ) موسى وهارون : ( رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ) . أن يعجل  
 بالعقوبة قبل تمام الدعوة وإظهار المجزة . ومنه : للفارط والفراط : الذي يسبق  
 إلى الماء يهيئه لأصحابه . وقول المصلي على الطفل : اللهم اجعله لنا فراطاً .  
 وفرس فراط : يسبق الخيل . والمراد بالعقوبة : القتل أو ما دونه .

( أَوْ أَنْ يَطْفَى ) . يجاوز الحد في الإساءة بأن يعذبهما ثم يقتلها أو يقتلها  
 شر قتلة أو يعذبهما عذاباً شديداً بلا قتل ، أو نخاف أن يعاقبنا بشيء أو أن  
 يقتلنا أو المراد بالطغيان : أن يقول في الله تعالى ما لا ينبغي لجرأته وقسوته .  
 وفي التمهيد عن لفظ ما يقوله بالطغيان أدب وتنزه عن النطق بالمظيمة .

وقرى ' يُفْرِطَ ' بالهتاء المفعول من أفرطه غيره ، أى نخاف أن يحمله حامل  
 على المماثلة بالعقوبة من شيطان إنسى من التبط أو غمهم أو جف أو من نفسه  
 لجرأته واستكباره وادعائه الربوبية وحب الرئاسة .

وقرى ' يُفْرِطَ ' بضم الياء وكسر الراء مبنياً للفاعل من الإفراط اللازم بمعنى  
 المبالغة في الأذى والطغيان بعده أشد .

( قَالَ ) الله عز وجل : ( لَا تَخَافَا ) معه . وعمل هذا بقوله : ( إِنِّي مَعَكُمْ )  
 بالحفظ والنصر والمون .

( أُنِيعُ ) أعلم قولكما وقوله .

( وَأَرَى ) أعلم ما تفعلان وما يفعلن ، فلا يصلحكما معه ما يضر كما فلا تنهما ،  
 فحذف المفعولين لئلا تطول الفاصلة ، ولئلا يكون آخر الفاصلة غير ألف إن قدر  
 مفعول أرى بعده



ويجوز أن تقدر المفعول عامًا أي كل شيء  
ويجوز أن لا يكون لها مفعول أي من شأنى السمع والرؤية أي العلم فليس  
يخفى عنى حالكم .

( فَأَنبِأَهُمْ قَوْلًا أَنَا رَسُولَا رَبِّكَ ) أرسلنا إليك ربك  
( فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ) أطلقهم يأتوا إلى الشام معنا  
( وَلَا تَعِذْهُمْ ) وكانت يمدحهم بالأفعال الشاقة ، كالخفر والبداء وقطع  
للصخر وحمل الأتقال ، وقتل الأولاد الذكور ، واستخدام النساء ، ومن لم يقدر  
على العمل ضرب عليه الجزية .

قال القاضى : وتعتيب الإتيان بذلك دليل على أن تخايص المؤمنين من  
الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان ويجوز أن يكون للتدريج في الدعوة  
( قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ) تدل على صدقنا في ادعاء الرسالة . قال :  
وما هي ؟ فأخرج يده لها شعاع كالشمس .

فآية آية الهدى .

وقيل : آية الهدى والمعنى ؛ وإنما أفرد لأن المراد ما ثبت به الدعوى شيء  
أو شيئين أو أكثر ، كأنه قيل : قد جئناك بما يدل على صدقنا وليس الغرض  
اتحاد الحجة أو تعددها والجملة مقرونة لقولها : « إنا رسول ربك » ودعوى الرسالة  
لا تثبت إلا بالبينة فقد لا تتحقق أو لا تتوقع

( وَالسَّلَامُ ) السلامة في الدنيا والآخرة ، أو سلام الله أو الملائكة وخزنة  
الجنة .

وزعم بعضهم أن المراد السلامة وأنه لا يصح أن يراد التحمية . ( قَلَى مَنْ  
اتَّبَعَ الْهُدَى ) .

وقيل : يعمل أن يكون ذلك آخر كلام فيقوى أن يكون السلام بمعنى  
اللاحقة جرأ على اللزوم في التسليم عند الفراغ من القول .

ويعمل أن يكون في درج القول السابق واللاحق فيكون خبرا بالسلامة .  
وقد قالت مرفقة بالاحتمال الأول وفرقة بالتاني . وكان رسول الله ﷺ إذا  
كتب : سلام على من اتبع الهدى

( إنا قد أوحى إلينا أن المذاب ) في الدارين وتوبيخ خزنة النار .  
( قل من كذب ) ما جئنا به أو ما جاء به غيرنا من الرسل ( وتوأي ) أعرض  
عنه .

ومنه في السياق السابق أن يقولوا : والمذاب على من كذب وتولى ،  
وعلا عن ذلك إلى قولها « إنا قد أوحى » الخ تأكيد وتهديدا ولو اكتفيا  
عن ذلك بقولها : « والسلام على من اتبع الهدى » على سبيل التبريض لكفى ،  
لكنهما أرادا التأكيد والتعريض بالوعيد ؛ لأن التهديد في أول الأمر أم وبما  
وقع على الغير أو يقع بسبب فعله أليق .

( قال ممن ربكم يا موسى ) قال ذلك بعد ما أمراه بما أمراه بدليل  
الحال ، فكانه لما قال له : آمن بربك واعبده قال لها : فمن ربكم هذا الذي  
تقولان مؤمنان به وتعبدانه ؛ فإن المطيع إذا أمر بشيء فعله .

ولما خص موسى بالنداء لأنه الأصل وهارون وزيره وقابله ، أو لأن في  
لسانه رتبة باقية ؛ أو لأنه غير بالغ فصاحة هارون فطمع أن يفهمه .  
( قال ربنا ) خبر محذوف أي هو ربنا . ( الذي ) نعت أو خبر ثان أو  
ربنا مهذأ والذي خبره .

( أنطى كل شيء خلقه ) كل مفعول أول وخلقه مفعول ثان ، أي أعطى

كل شيء صورته التي سبق علمه بها التمييز بها عن غيره ، التي تطابق المنفعة المتعلقة بها فأعطى للرجلين المهمة التي ما عليها المطابقة للشيء ، وأعطى العين الشكل الموافق للإبصار ، وهكذا . أو أعطى كل شيء من الحيوانات نظيره في الخلق والصورة ، فأعطى للرجل المرأة ، والجلد للفاقة ، وهكذا . ولم يزوج شيئاً من غير جنسه إلا ما شذ .

وصح أن يكون كل مفعولاً ثانياً وخلفه مفعولاً أول بمعنى اسم مفعول ، أى مخرجات ، وأفراد لأن لفظه مصدر ، أى أعطى خالقة كل شيء يحتاجون إليه . وقدم المفعول الثانى لأنه المقصود بالذات ؛ لأن تفرض ذكر المن .

وقرى خلقه بفتح اللام ، فالجمله نعت كل أو نعت لشيء ، لجواز نعت المضاف إليه لىكن نعت المضاف أولى .

وزعم بعض أن نعت المضاف إليه شاذ والمفعول الثانى محذوف أى أعطى كل مخلوق ما يصلح له .

( ثُمَّ هَدَى ) أى هداه لهداه . وقيل : هداه إلى معرفة كيف يأنى الأنتى وحذف المفعول للانفصال . فإذا كان هو المعطى لكل شيء الخالق له الهادى له الميسر له كيف تبقى له المنفعة وتكمل ، فهو للفنى بالذات المحتاج إليه كل ما عده وهو جواب عظيم مفهم . ولذلك بهت فرعون ولم يجد له ردّاً ، نصرف الكلام إلى ما حكى الله تعالى عنه بقوله :

( قَالَ فَمَا بَالُ الْفُرُومِ الْأُولَى ) كقوم نوح وقوم هود وقوم لوط وقوم صالح فى عبادة الأوثان . أى ما حالهم عند ربك ؟ وللبال : الحال

( قَالَ عَلَيْهِمْ ) أى علم بهم . فالضمير للبال ؛ لأنه بمعنى الحال والحال يجوز تأنيته ، أو للفرعون على حذف مضاف ، أى علم بالها .



( هِندَ رَبِّي ) فبهمهم ويحاسبهم على المعاصي وعبادة الأوثان .  
 ( فِي كِتَابٍ ) في اللوح المحفوظ خبر ثان ، أو متعلق بما يتعلق به عند ،  
 ويقدر المحذوف ثابت أو مثبت أى مثبت في اللوح المحفوظ ، أو يقدر مكتوب  
 والكتابة إنما هي ليروا أعمالهم يوم القيامة مكتوبة فلا يمكنهم الإنكار ،  
 ويمكن أن يراد بالكتابة التمكن في العلم  
 وقيل : المراد ما حال القرون في السعادة والشقاوة فأجاب بأن الله عز وجل عالم  
 بهم يجازي الحسن بالإحسان ويعاقب للعي .

وقيل : معنى جواب موسى رد العلم في ذلك إلى الله وأنه لا يعلم وإنما نزلت  
 للقرارة بعد هلاك فرعون وقومه ، وهو باطل ، لا قطع بأنه ﷺ عالم بأن من  
 أحسن سعيد ومن أساء شقي ، إلا إن أراد القائل أن فرعون سأل عنهم بأعيانهم  
 أى أخبرني من كان منهم سعيداً ومن كان منهم شقيماً ، وأن موسى أجاب بأنه  
 لا يعلم إلا ما علمه ربه .

وقد يجوز أن يكون سؤاله عن سائر أحوالهم في الدنيا بقتضيلها شيئاً تممتا  
 وخروجاً عما فيه كلام موسى لإخفائه . فأجاب بأني لا أعلم ذلك . ولما نزلت  
 للقرارة وجد فيها بعضهم أحوالهم .

وأجار بعضهم أن يريد : ما بال القرون الأولى لم تبعث لها ؟

وقول : ما بهم ماتوا ولم يبعثوا ؟

( لَا يَضِلُّ رَبِّي ) الضلال : أن يخطئ شيئاً في مكانه ولم يهتد إليه ، تعالى

عن ذلك . وفي معنى ذلك : لا يغيب عن شيء .

وقرى : بضم الياء أى لا يضيع شيئاً من أضله الرباعي .

( وَلَا يَنْمَى ) النحمان : ذهاب شيء عن بابه ، تعالى الله عن ذلك كما

يضل البشر وينسى .

( الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ) الخطاب لطاق الناس الحاضر

والغائب . والحضور يغلب على الغيبة .

وقيل لفرعون وقومه . ومعلوم أن غرض مناهم . والمراد : القراش أو جمع

مهد ، ويدل له قراءة الكوفيين مهدياً أي جعل ما لكم مثل الهد الذي يهد للصبي .

والذي نعت لربي أو خبر لمخدوف أو منصوب بمخدوف على المدح .

( وَسَلَّكَ ) سهل أو أوجد . قيل : أو جعل . قلت : أو أدخل بمعنى ما ذكر .

( أَلَكُم فِيهَا سُبُلًا ) طرقاً أدخلها بين الجبال والبراري والأودية تمشون

فيها للمفانكم .

( وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) هذا تمام كلام موسى . ثم قال عز وعلا تعجباً لما

وصفه به موسى وخطاباً لأهل مكة : **النباتات** .

( فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ) أصناماً مختلفة الألوان والطعوم

والروائح والمفامع ، وبعض لكم ، وبعض لدوابكم . سموت أزواجاً لازدواج مضها

ببعض أي لاقتان البعض بالبعض . وشق ألفه لتأنيث جمع شتوت . ومن نبات

نعت لأزواجاً ومن للبيان . وشق نعت أزواجاً للهوكيد ، قيل : أو نعت نبات

ولو كان جمعاً ؛ لأن نهاها في الأصل مصدر يصلح للواحد فصاعداً .

وقيل : النباتات أصله لما ينبت واستعماله مصدراً خروج عن ذلك وتشتت

الأمس : تفرق فهو شتيت : متفرق .

وتعلم مما سر أن كلام موسى تم عند قوله : **ماد أنه لا التفات** .

وإن قلنا : إن كلامه لم يتم عند ذلك ففي الكلام التفات من الغيبة

إلى التكلم بحكاية كلام الله وإما للتنبية على ظهور كمال القدرة والحكمة

والإيدان بأنه مطاع تنقاد له الأشياء المختلفة ، فكما يدل عليها التعبير بالكلام

بدل التعبير بالغيبة فليسا سبياً للالفاظ كما قيل . ثم الدلالة عليهما باقية كالم اقوى  
من حيث ان الكلام حينئذ نص . ان الله على انسان موسى لا كلام من موسى  
عن الله فانهم .

( كُلُوا وَارْزُقُوا أَنَا مَكْمُومٌ ) مفعول لخال محذوفه وصاحبها ضمير أخرجنا  
أى قائلين : كلوا الخ ، ولكن هذا القول عبارة عن الإذن وعدم النع . أراد أن  
بعض المذنبات لكم ، وبعضه علف لدوابكم .

وأصل العبارة : هي صالحة للأكل والرعى . وأخرج الكلام إلى الأمر ؛  
لأنه أمر للنفوس ومضمن الآن في الأكل والرعى .

قال بعضهم : من نعمة الله أنه جعل ما يخرج عن طعامنا كغوى التمر علفاً  
لدوابنا ولا يضيع . والأنعام : الإبل والبقر والغنم .

( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ) لأصحاب العقول الناهية عن اتباع  
الباطل أو النهي جمع نهية وهي العقل نهيه عن القبح كغرفة وغرف .  
وزعم بعضهم أن النهي : الورع .

( مِنْهَا ) من الأرض ، وقدم حصراً واعتناء .

( خَلَقْنَاكُمْ ) لما كان التراب أصل مواد أبداننا لأن أبانا آدم خلق منه قال :  
خلقناكم منها ، أو يتدر مضاف أى خلقنا إياكم ، وما صدق الوجهين واحد ،  
أو معنى خلقه إلفانها : ما روى أن الملك يأخذ من التراب الذى يدفن فيه  
الإنسان يبسده على اللطفة فهو من تراب ونطفة ، فالقديم للاعتناء قط أو  
للحصر الإضافى أى ما خلقناكم إلا من تراب أى مع نعمة ولم نخلقكم من غير  
التراب مع اللطفة .



وإن أريد بالخلق منها كونهم فرعاً من خلق منها كما هو وكون نطفهم مخلوقة بقرب مدافهم كان جماً بين الحقيقة والجاز ، أو من عموم الجاز .

وإن أريد خلط اللطف بالتراب مع تقدير المضاف فليس فيه الجمع بين الحقيقة والجاز المختلف في جوازه ؛ لأن حذف المضاف مجاز بالحذف لا مجاز مرسل ولا بالاستعارة .

( وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ) قدم الظرف للحصر والاعتناء ، أى ما تقبرون إلا فيها . وذلك تمديد لما تفاق بالأرض من المنافع : جعلها فراشاً لهم ، وجعل لهم فيها مسالك ، وأثبت فيها أقواتهم وعلوات بهائمهم ، وهى أصنام الذى تفرعوا منه ، وكفأهم إذا ماتوا . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : تمسحوا بالأرض فإنها بكم برّة . إشارة إلى أنها أم برة بالولد .

( وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ) بالبعث بقايف الأجزاء المفتقة الثانية على الصورة السابغة ورد الأرواح إليها ( نَارَةً ) مرة . ( أُخْرَى ) مقابل لقوله : « منها خلقناكم » فإن خلقهم منها هو الإخراج الأول منها .

( وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ) أبصرناه . والضمير لفرعون ، أو المعنى عرّفناه . وعلى كل فهو من رأى المتعدى لواحد ، تعدى لاثنين لدخول الهمزة . ( آيَاتِنَا كُلِّهَا ) أى عرّفناه حجة آياتنا .

ويجوز أن يكون أرى من رأى التعدى لاثنين تعدى لثلاثة لدخول الهمزة والثلاث محذوف ، أى أعلمناه آياتنا صحاحا .

والفأکید بكل إما لشمول الأنواع ؛ فإنه ولو أراه نعم آيات فقط لكان هذه للنعم شاملة بالاضمين لغيرها .

وإما شمول الأفراد التي هي اللعن المذكورة : العهد والمعنى وفارق البحر  
والخبر والجراد والنمل والصفادع والدم ونفق الجبل .

وإما لشمول الأفراد كلها ، بأن يكون موسى عليه الصلاة والسلام  
عليه الآيات الواقعة الانبياء ، فالإضافة على الأول والثالث الاستفراق لكن  
على الأول إنما صح الاستفراق باقتضائهم ، وعلى الثاني للعهد وعد بعضهم مكان  
نفق الجبل والطوفان . ( فَكَذَّبَ ) أي : ( وَأَبَى ) المتعنع من توحيده الله وطاعته ،  
أو كره الفوحيد والطاعة .

( قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا ) أرض مصر . ( يَسْحَرُكَ يَا مُوسَى )  
روى أن فرعون كانت فرائصه ترتعد خوفا لما جاء به موسى ؛ لعله أنه حقق  
تفقاذه الجبال لو أرادها بشيء ، وأن مثله لا يُخلد ولا يُذل ، وأنه غالبه . وما  
قال أجنقنا الخ لا تخيرا ؛ لأنه لا يخفى أن الساحر لا يقدر أن يخرج ملكا مثله  
من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر . والاستفهام لا قوبيل ولا عهد .  
( فَلَمَّا بَيَّنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ ) وجعل يجمع السحرة وهو يعلم أنه رسوله  
واسكنه طمع أن يضيف ويخاف ، وأن يجد فرصة في إلقاء شيء يتكلم به الناس  
من جابه على موسى .

( فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ) مصدر ميمي بمعنى الوعد لقوله :  
( لَا تُخْلِفُهُ خَنْجٌ وَلَا آتٌ ) فليس باسم زمان أو مكان ؛ لأن الإحلاف إنما  
يناسب معنى المصدر وهو الوعد كل المناسبة ، لكنه قد يصح أن يكون اسم زمان  
أو اسم مكان ؛ لجواز أن يقال : خلف زمان الوعد أو مكانه بمعنى تخلف عنه  
وتركه ولا يقال : لو جعل اسم زمان أو مكان لبقى قوله : ( مَسْكَا سُوَى )

بلا ناصب ؛ لأننا نقول : هو غير منصوب بموعد ولو جعل مصدراً ميمياً ؛ لأنه قد نعت بحملة لا تخلفه ، والمصدر المنصوب لا يعمل ، ففاصله فعل محذوف دل عليه الموعد أى تعد مكاناً سوياً ونصبه على المفعولية لا الظرفية ؛ لأنهم فى زمان إثبات الموعد ليسوا فى ذلك المكان للسوى ، ولا أرادوا أنهم يمشون إليه ويعينون فيه الموعد إلا على تضمين تعد مكاناً سوياً نلقى الوعد فيه من موضعنا . وقيل على نزع فى وكما يدل الموعد مصدراً على ذلك المحذوف يدل الموعد مكاناً أو زماناً ؛ لأن اسمى الزمان والمكان المهمين معناهما المكان والحدث ، والزمان والحدث . والحدث هذا هو المصدر .

نم دلالة المصدر على المحذوف المذكور أدلى ؛ لأن معناه الحدث فقط فهو بكليته يدل على المحذوف .

وظاهر جار الله أن مكاناً منصوب بموعد وموعد مصدر ، وهذا بناء على جواز عمل المصدر المنصوب . وفيه بحث بسطته فى البحر وابن هشام منع عمل المصدر الموصوف قبل العمل .

قال ابن عقيل فى شرح التسهيل : ويجوز بعده . ويجوز كون مكاناً بدلاً من موعداً . أما على جهة الموعد اسم مكان فواضح . وقد مر أن الإخلاف يناسب المكان والزمان مناسبة دون مناسبة المعنى المصدرى ، خلافاً للقاضى وجار الله فى قولها : إنه لا يناسبهما .

وإن جعلنا الموعد مصدر ميمياً قدر مضاف أى مكان وعد ، ويطابق هذا جوابه فى قوله : ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الرِّبَّةِ ) فإن يوم الرينة يدل على مكان مشهور باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم . وإذا جعلنا الموعد الثانى اسم مكان لم يصح الإخبار عنه بيوم فيقدر مضاف



أى موعدكم مكان يوم الزينة ، ولا تحتاج لتقدير نادى بعد نطق مكان المقدر كما قدره القاضي .

وإن جعلنا الموعد الثانى اسم الزمان فواضح ، ولا تقدير لكفه لا يطابق الموعد الأول إلا إن جعل الأول اسم زمان أو جعل اسم مكان وقدر مضافان ، أى مكان يوم موعدكم يوم الزينة أو جعل مصدراً وقدرت الإضافة أى موعدكم وعد يوم الزينة .

وقرأ الحسن بنصب اليوم على الظرفية مخبراً به عن موعدكم . وعلى هذا القراءة فموعدكم مصدر ومضاف إليه وعليها ترجع مصدرية الموعد الأول ولا تحب خلافاً لبعض ، ولا يتمتع عليها خلافاً لبعض أن بحل الموعد الثانى زماناً لجواز ظرفية الزمان الخاص وهو هذا الزمان الذى يقع فيه ما يريد كل منهم فى العام ، وهو هنا جملة اليوم كقولات ساعة الإجابة فى يوم الجمعة . كذا ظهر لى فى تحقيق المقام وعليك السلام .

ويجوز على قراءة الحسن كون خبر الموعد ضحى ، أى ضحى من ذلك اليوم ، على أن موعدكم زمان .

وقرى مجزم مخاف فى جواب الأمر وبضف كون لا داعية والنول مقدر ، أى مقولاً فيه : لا تخلفه .

وقرى بعدم تدوين سوى ، وقرى بضم السين مع التدوين وتركه . ووجه عدم التدوين وتركه الوصل بنهية الوقف ، أر جرى الوصل مجرى الوقف .

ونص أبو عمرو أن عاصماً وابن عامر وحزمة قرءوا بالضم والباقيين بالكسرة ، وأن أبا بكر وحزمة والكسائي وقضوا على سوى .

وقرأ أيضا بالضم يقسوب . ومعنى سوى على القراءات : نسوى مسافة  
إليها وإليك . قال مجاهد .

وقيل : مستو غير منخفض ولا مرتفع وليس بمعنى فهو ؛ لأن سوى بمعناها  
لا تتجرد عن الإضافة خلافا لمن قال : هو بمعناها أى لا نموضه مكانا سواه .  
وقراءة كسر اللين شاذة ، من حيث إنه جمع سوى بفتح اللين وكسر الواو  
وتشديد اللام الذى أصله سَوَوَى بوزن صهور اجتمعت الواو والياء . والسابقة  
سا كذا قلبت الواو ياء وأدغمت وقلبت ضمة الواو قبلها كسرة وفعل بفتح  
الفاء لا يجمع على فعل بكسر الفاء وفتح الميم ، ونظيره عدو وعدا بكسر العين .  
قالوا ولا ثالث لهما . هذا حاصل ما حلت عليه كلام بعض ، لكن لك أن تقول :  
سوى مفرد وكذا سوى بالضم . سلمنا أن المكسور جمع لكن لا نسلم أن سواه  
أصله بوزن صهور بل أصله بوزن فعل .

ويوم الزينة هو يوم طشوراء ، يوم فرح لهم ، يوم عيد في كل عام ووافق  
أنه كان يوم السبت وأول سنة . وقيل : يوم سوق . وإنما أضيف الزينة لتزينهم فهو .  
وقال النعماني : وقيل : هو يوم كسر الخليج الهاقي إلى الآن .  
( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ) عطف على اليوم ، أى وعدكم وعد يوم الزينة  
وحشر الناس ، أو على الزينة ، أى يوم الزينة . وحشر الناس وضعى مقامق  
بيحشر .

وقرى بالهداء للفاعل ونصب الناس ، وفي يحشر حينئذ ضمير مرعون إما  
النفقات من الخطاب للضيعة ، وإما على طريقة خطاب الملوك كما تقول بحضرة الملك :  
يفعل لك كذا . ففيه بعض من التلميح للأمور به . وإما على الخطاب في

موعدكم لا تقوم دون فرعون ، والتكلم في قوله يحشر عائد لفرعون أو في يحشر  
ضمير اليوم .

وقرى بالقاء والبناء للفاعل خطابا لفرعون والناس هم أهل مصر أو هم  
وغدهم .

( قَتَوْنِي فِرْعَوْنُ ) أدبر ( فَجَعَلَ كَيْدَهُ ) ما يكيد به موسى عليه السلام  
وهو السحرة وآلاتهم : ( ثُمَّ أَتَى ) بهم الموعد .

( قَالَ لَهُمْ مُوسَى ) قال للسحرة وهم اثنان وسبعون ساحرا ، مع كل واحد  
حمل وعصى . اثنان من القبط ، وها رأسان لـ سبعين والسبعون من بني إسرائيل .

وقال الكلبي : الرأسان مجوسيان من أهل نينوى .

وقيل : رئيسهم شمعون ويوحنا وهو قول مقاتل .

وقال ابن جريج : كانوا تسع مائة .

وقال السدي : هم مئتا ألف - في رواية عنه - .

وقال أبو ثمامة : سبعة عشر ألفا .

وقيل : هم أربع مائة .

وقيل : اثنا عشر ألفا ، وهو قول كعب .

وقال ابن إسحاق : خمسة عشر ألفا .

وقال عكرمة : سبعون ألفا .

وقال محمد بن المنكدر : ثمانون ألفا .

وقال السدي : بضعة وثمانون ألفا . وعنه : بضعة وثلاثون ألفا ، مع كل

واحد حمل وعصى .

وروي أنه جمع سبعين ألفا ، واختار بضعة آلاف منهم ، واختار من الضميمة



آلاف سبع مئة ، واختار منها سبعين فالضمير للسحرة المعلومين من المقام أو المشهورين في القصة أو للكيد المذكور باعتباره وقوعه على السحرة نكط لا باعتبار وقوعه عليهم وعدّ آلانهم ، فذلك شبيه بالاستخدام

ويحوز أن يراد بالكيد للسحرة ، فالضمير لهم بلا إشكال وإنما أضاف ضمير الجمع للكيد في الوجهين نظراً لما أريد به

ويحوز أن يراد بالكيد المعنى المصدى ، والضمير للسحرة الذين يدل عليهم الكيد ، أو يقدر مضاف . أى فجمع ذوى كيدهم وهم للسحرة ، فالضمير للمضاف المحذوف .

ويحوز رجوع الضمير لقوم فرعون ، فإنهم ما بين ساحر وراعى بالسحر مصدق به مراد غالبية .

( وَبَلَكَكُمْ ) أى هلاككم ، أو عذابكم ، مفعول مطلق عامله محذوف وجوبا من معناه .

ومن أثبت الفعل للويل قدره من لفظه والأصل : أهلككم الله هلاكاً أو عذبكم تعذيباً على سبيل الدعاء ، ولما حذف العامل أضيف المفعول المطلق للمفعول أو مفعول المحذوف أى ألزمكم الله الويل ، وهو العذاب ، أو الهلاك ، أو واد في جهنم .

( لَا تَفْتَرُوا ) لا تحدثوا ( عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) مفعول تفتروا . وإنا يستعمل الافتراء بمعنى مجرد الإحداث دلالة كذبا على أنه إحداث في الكذب ، وإلا فأصله إحداث الكذب مطلقاً أو للمظيم .

ويحوز استعماله بمعنى الكذب ، فيكون كذباً مفعولاً مطلقاً ، نهام عن ادعائهم أن آيات موسى سحر أو عن إشرائهم بالله غيره أو عن الكل .

(فَيُضْحِكُكُمْ بِمَذَآبٍ) بفتح الميم . قاله الحسن . والمصدر الضحك  
بفتح اللام . وذلك لغة الحجاز .

وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بضم اللام . وكسر الحاء والمصدر  
الإسحاح بكسر الهمزة وهو لغة نجد وتميم .

(وَوَدَّ خَابًا) خسر الدنيا والآخرة .

(مَنْ افترى) كذب على الله ، أو ادعى إلهاماً مع الله ، أو قل في الآيات :  
لأنها سحر أو أدمى الربوبية .

وعلى كل حال فذلك تعريض لفرعون وقومه ؛ لأن فيهم تلك الخصال وكان  
يفترى ويحتمل إيهام الملك عليه ولم ينفعه .

(فَتَنَازَعُوا) أي السحرة أو قوم فرعون (أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) في أمر موسى  
وأخوه ، حين سمعوا قوله : لا تفترخوا الخ وما لهم هذا التحذير منه . فقال بعضهم :  
هو محق ، وما هذا كلام ساحر . وقال بعضهم : مبطل .

(وَأَمَرُوا النَّجْوَى) والإسرار - بكسر الهمزة - : الإخفاء . والنجوى :  
الكلام الخفي خفاء ، أي بالغوا في إخفاء الكلام مخافة أن يتبين لفرعون فيهم  
تمحير وضعت .

ويحتمل أن يكون النجوى بمعنى مطلق الكلام تسمية للعام باسم الخاص .  
فاللغني أخفوا الكلام ، وهذا الكلام الذي تفاجوا به هو قولهم : إن غلبنا موسى  
اتبعناه . قاله ابن عباس .

وقال قتادة : إن كان ساحراً فسخط عليه ، وإن كان من السماء فله أمر .  
وهن بعضهم : أن تفازعهم وإسرارهم كان في معنى واحد فسرّه بقوله :  
(قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ رَّانٍ) الخ زوروا هذا الكلام خوفاً من غلبتهما فيتمهما

الناس وتشاوروا فيما يفلحون به موسى ، والإشارة لموسى وهارون ، وهذه قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي .

وقد أطال ابن هشام في إعرابها في شرح الشذور ، وأطلت في حاشيته وإعرابها أيضاً في المعنى وغيره .

وروى عن عائشة أن ذلك وقوله : والصابئون بمد إن ، وقوله : والقيمين الصلاة قبل قوله والمؤتون خطأ من الكاتبين .

وعن عثمان أن ذلك لحن مكعوب لتستصلحه العرب بالسكتها .

قال السيوطي : كيف يظن بالصعابة وهم الفصحاء أن يلحنوا في الكلام ، ولا سيما القرآن الذي تلقوه عن النبي ﷺ ، وأمرُوا بالصون له ؟ وكيف يجهلون على الخطأ ثم كيف لا يرجعون عنه ؟ وكيف يكلونه إلى إصلاح العرب باللسان ويتركونه مكتوباً ؟

وما روى عاماً أن في الكتاب لحناً مستقيمه العرب محمول على نحو الحذف كالكتب والصبرين ، بإسقاط الألف في الخط وعلى نحو الزيادة مثل ولا أوضوا ولا أذبند .

وكيف يتركون الخطأ في الكتاب لمن يقيمه مع أن غيرهم إنما يقتدى بهم . وروى أن عثمان لما عرضت عليه المصاحف بمد الفراغ منها قال : أرى شيئاً مستقيمه ، ومراده ما كتب بغير لغة قريش كما كتبوا التابوت القابوه وقد أقامه بلغتهم فلم يبق شيء .

وروى عن ابن جبير عن عثمان أن فيه لحناً سيقام . ومراده بالالحن اللمة والقراءة للكاتب . ومعنى قول عائشة خطأ من الكاتبين أنهم عدلوا عما هو أولى .



وعن النخعي : إن هذان ساحران بالآلف مكان الياء والصابثون بالواو مكان الياء والمقيمين بالياء مكان الواو .

قال ابن أشته : مراد به يقرأ هذان بالياء ولو كتب بآلف . وهكذا كما كتب للصلاة بالواو ويقرأ بآلف .

ورد بأن للكتاب هذان بآلف مثلاً يقرؤه بالآلف وقد تبين أنه لا لحن .

وإن قلت : فما الإعراب ؟

قلت : هذان اسم إن على لغة قصر المثني .

وقيل : الألف ألف المفرد وياء النصب محذوفة أو اسم إن ضمير الشأن وهذان مبتدأ واللام زائدة أو للابتداء دالة على مبتدأ محذوف أي لهما ساحران . ويرده أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف .

وقيل : ها اسم إن .

ورُدَّ بحذف ألفها واتصالها بالذال وانقصال إن ، أو الألف بدل من الياء المناسبة يريدان كما نوّن سلاسلًا مناسبة أغللا .

وقيل : إن بمعنى نعم ، وهذان مبتدأ واللام زائدة في غيره ، وقد بحثت في تلك الوجوه في الحواشي للنحوية .

وقرأ أبو عمرو إن هذين ساحران بالياء على الجهة للظاهرة المكشوفة .

وقرأ ابن كثير وحفص إن هذان ساحران بسكون النون ، على أن إن مخففة واللام للفرق بين النفي والإثبات ، أو إن النافية واللام بمعنى إلا .

وقرأ أبيّ إن ذان إلا ساحران بالإسكان .

وقرأ ابن مسعود - رضي الله عنه - وأمرؤا النجوى أن هذان ساحران

بفتح الهمزة والتشديد على الإبدال من النجوى .

وعن ابن كثير إن هذان الساحران بالإسكان وتشديد تون هذان ومد الله .

( رُيْدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ) إلى غيرها ، أو المراد بالإخراج منها الاستيلاء عليها ؛ فإنه إذا كان الحكم لما فكأنهما أخرجوه منها ( بِسُحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ ) بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب ، كما صرح بالفضل بقوله : ( الْمَثَلُ ) فإنه تأنيث الأمثل بمعنى الأفضل والأشرف . ومرادى بالمذهب هذا الدين تبعا للتعبير بالطريقة .

ومعنى ذهابهما بطريقتهم إزالتها وإظهار دينهما قال : إني أخاف أن يبدل دينكم .

وقيل : الطريقة سادات القبط سموا طريقة من حيث إنهم قدوة غيرهم متبوعة كما يتبع الطريق . تقول العرب : فلان طريقة قومه أي سيدهم وصاحب العقل منهم .

واسمظهر بعضهم أن الطريقة الماسكة أو السيرة .

وقيل : المراد صرف وجوه الناس عنكم .

وقيل : الطريقة المثلى : بنو إسرائيل ؛ لأنهم أهل علم ومال وعدد ، أي بأهل طريقةكم . وإنما نسبتهم للطريقة من حيث بنواؤها عليهم من كل ما احتاجوا . وبطابق هذا قوله : « أرسل معي بنو إسرائيل » .

( فَأُجِبُوا كَيْدَكُمْ ) بقطع الهمزة وكسر الميم من أجمع بمعنى أحكم وأتقن أي اضبطوا كيدكم وقوروه ولا تخفلقوا عليه .

وقرأ أبو عمرو فأجهموا بوصل الهمزة وفتح الميم ، من جمع بمعنى ألم أي ضموا كيدكم بعضه لبعض . والضمير في قالوا إن كان للسحرة فهو قول بعض لبعض ، وإن كان لهم ولقرعون فهو قولهم لأنفسهم .

( ثُمَّ انْتُوا ) لاسكان الموعود ( صفاء ) مصطفين ؛ لأن ذلك أهيب وكانوا  
 قيل : سهمين الفامع كل واحد جهل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة ، وصفاء  
 حال .

وعن أبي عبيدة : الصف : المصلى لأن الناس يحتمون فيه ليدوم ، صلاتهم .  
 والمراد مصلى معين أو مصلى من المصليات . وعلى هذه الرواية يكون مفعولا به .  
 ( وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ) أى فاز الغالب فوزا محققا . واستعلى بمعنى  
 علا لاسكن فيه التأكيد بالزوائد والجملة قبل معترضة وفيه نظر .

( قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى مَفْضُولٌ مَحْذُوفٌ ، أى اختر إما إلقاءك أولاً .  
 ( وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ) وإما كوننا أدل ملق أو خير لمحذوف  
 أى الأمر إما إلقاءك أولاً ، وإما إلقاءنا . لما اتوا صفاء . خيروا موسى استعلا  
 للأدب وتواضعا .

والمراد بأن تلقى : أن تلقى ما به تسحر أى إما أن تستعمل سحرك وتظهره  
 أولاً .

وقيل : مرادهم أن تلقى عصاك على أنهم علموا أن عمله يكون بها .  
 ( قَالَ ) موسى : ( بَلَى أَلْقُوا ) أنتم أولاً . قال هذا مقابلة لهم بأدب ،  
 واعدم مبالاته بسحرهم ، وإسعاها إلى ما أوهوا من الليل إلى الهدى بذكر الأول  
 في إلقاءهم دون إلقاءه ؛ إذ قالوا : « أن نكون أول من ألقى » ولم يقولوا :  
 إما أن تلقى أولاً ، مع أنه مرادوا لاسكن استقطوا اللفظ أول ، وبغير النظم إلى  
 وجه أبلغ ؛ إذا لمطابق لقولهم : « إما أن تلقى » أن يقولوا : وإما أن تلقى . والمراد  
 في الشقين الإلقاء أولاً . وأيضا أكرم موسى بالإلقاء أولاً لأنهم إذا بدأوا بالإلقاء  
 واستقصوا مجهودهم فسلط الله المعجزة على سحرهم ومحققه كان أنخر من أن يبدأ



موسى فيسلطوا سحرهم على معجزته فلا يبطلها أو يخيلوا تخيلا من غير تسلط  
عليها وقد أعلم الله موسى بأنه غالب فاطمأن أو أطمأن ذلك إلهاما

وإن قلت : كيف قالوا : « أول من ألقى » بالمضى ؟

قلت : هو بمعنى المضارع وعبر بالمضى للانفصال ، أو اعتبروا وقوع الإلقاء  
ومضيهما والفراغ منهما ، حتى إن الخبر ليقول : هم أول من ألقى

وإن قلت : كيف أمرهم بإلقاء السحر وهو كفر - رضى الله عنهم ؟

قلت : إنما أمرهم به نظرا إلى محنته بمعجزته وفي محنته إعلاء الدين .

( وَإِذَا حَبَّ إِلَهُمَّ وَعَصِيَّتُهُمْ ) جمع عصا ، وفي ذلك محذوف تقديره : فأنقوا

فإذا الخ . وإذا للنجاة حرف عند الأخفش وابن مالك .

قال ابن هشام : ويرجعه قولهم : خرجت فإذا إن زيدا باب بكسر إن لأن

إن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، وظرف مكان عند الميرد وابن عصفور ، وظرف

زمان عند الزجاج وجار الله القمل : للعتيقية أنها للكائنة بمعنى الوقت للطائفة

ناصبها لها ، وجملة تضاف إليها ، حُصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا

مخصوصا وهو فعل المفاجأة . والجملة اسمية أى ففاجأ موسى تخيله وقت تخيل سمى

حَبَّ إِلَهُمَّ وَعَصِيَّتُهُمْ . قال ابن هشام : ففاجأ موسى تخيله وقت تخيل سمى

قال ابن هشام : وذلك زعم لغة ، بل ناصبها الخبر المذكور ، أو المقدر

بمذاهبها وأطلقت الكلام في النحو .

وأصل عصمهم عضوهم بناء على أن ألف المعى عن واو و - وهو الصحيح

أدغمت الواو في الواو وقلبتا ياءين وكسر ما قبلهما ، أو أصله عضوهم بضم الهمزة

والصاد وإسكان الواو قلبت ضمة للصاد كسرة وقلبت الواو ياء لسكونها بعد

كسرة وأدغمت في الياء ، أو لما اجتمعت مع الياء وسكنت قلبت ياء وأدغمت

وكسرت الصاد بعد ذلك . وأما كسرة اللام فتقع لكسر الصاد . وكذا ظهر لى  
وزنه فقول : .

وقرى بضم اللام تركا للإقباع . وفيه للتصريف والوزن المذكوران . ثم  
رأيت بعض ذلك للسير على غيره .

( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ ) من للتعليل . ( أَنَّهَا تَسْمَى ) نائب بخيل .  
وقرى بكسر الهمزة الثانية . أى بأنها تسمى والفاعل ضمير يعود إلى الله  
عز وجل .

وقرأ ابن ذكران عن ابن عاصم تخيل بالفوقية والهماء للمفعول والنائب ضمير  
الجهال والهمى واقعا أنها تسمى بدل اشتمال منه .  
وقرى بالفوقية والهماء للفاعل الذى هو ضمير ذلك ، وأنها تسمى مفعول ،  
ونسب لابن ذكران عن ابن عامر .

وقرى تخيل بفتح الفوقية وفاعله ضمير ذلك ، وأنها تسمى بدل منه وأصله  
تخيل حدثت إحدى التائين .

روى أنهم صنفوا الجهال والهمى بالزئبق ، ولما طلعت عليها الشمس  
اضطربت فى رؤية اللام كأنها تتحرك ، وكانت قبل أخذت ميلا لكل جانب .  
( وَأَوْجَسَ ) أضمر . ( فِي نَفْسِهِ خِيَةً ) نوعا من الخوف ( مُوسَى ) ظن  
أنها حيات نقصه . ومثل هذا مطبوع فى البشر لا يمداد يخلو منه كائنا ما كان .

وعن بعض أن الإيجاس للضرف إضمار بعض منه قليل .  
وقيل : إنما خاف من أن يخالج الناس شك ملا يتبعوه .  
( فَلَمَّا لَا تَخْتَفِ ) ما توهمت .

( إِيَّاكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ) تعليل لانتهى وتقرير لعلقه مؤكدا بالاسفئناف ،

وحرف التحقيق وهو إن ، وبشكل الضمير ، سواء جمل بدلا من الكاف أو  
توكيده أو لا محل له أو مبهما ، وبالضمير بتعريف الطرفين ، وبصفة القنضول  
من لفظ العلو ؛ فإنه لو قيل : إنك غالب أو قال : غير مطلوب لكفى ، مع أن  
قولك : غير مطلوب يحتمل التكافؤ ، فعدل إلى الأعلى لذلك وللفاصلة ، كما أنه آخر  
موسى - مع أنه فاعل أو جس - للفاصلة ، وعاد الضمير إليه مما قبله وهو في الآية  
بعده . والأصل خوفاً قلبت الواو ياء للكسر قبلها .

هذا ولا يخفى أن لفظ العلو لا يفي ولو أفاد للظهور أو الضمير لكن لفظ العلو أولى منه .  
( وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ) أى المصى . وإنما أبهمها تحقيراً لكيدهم بقضريهما .  
مخرج التحقير ، أى لا تبال بما رأيت من سحرهم ؛ فإنه مع كثرة إنما تحقه عصا  
صفرة ، ولا تبقى منه أثراً ولا عينا ، أو أبهمها تعظيماً لما أى لا تزال بسحرهم ؛  
فإن في يدك شيئاً عظيماً يدمنه .

( تَلَقَّفْ ) تبالغ بقدره الله عز و علا . وأصله تعلقف حذفت تاء الماضى أو تاء  
المضارع . وتاء المضارع إما للأنيث مراعاة لمعنى « ما » لوقوعها على المصى والمصى  
مؤنث ، أى تعلقف عصاك ، فضمير تعلقف عائد لما وما بمعنى المصى ، وإما خطاب  
لموسى تجوز في الإسناد إذ أسند التعلقف إليه مع أنه للمصى ، لأنه له فيه تسبب  
وهو الإلقاء أو المجاورة .

وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال المقدرة ، أى أنها وهى في قوة التعلقف ،  
أو على الاستئناف .

وقرأ حفص بالجزم وإسكان اللام فلا تشدد القاف من لفتته بعدم التشديد  
بمعنى تعلقته ( مَا صَنَعُوا ) من السحر .

روى أن فرعون جلس في علية له طولها ثمانون ذراعاً وللناس تحفه في بسيط



فجاء سبعون ألف ساحر ، فأقروا وقر ثلاث مائة مرة ، فألقى موسى عليه السلام  
حصاه فانه حبات ثعباناً وجعل ينمو حتى عبر في البحر . وقيل : البحر بذنبها .

وروى أن ذلك في الإسكندرية . وكان ذنب الثعبان من وراء بحر الروم

عرضاً ، وسدت الأفق .

وروى أنها كالجبل .

وروى أنه طال حتى جاز مدينة البحيرة وأن ذلك في الإسكندرية .

وقيل : إنه بمصر وأنه طال حتى جاز بذنبه بحر القلزم . قيل : هذا قول

بعيد من الصواب ، ففرط الإغراق ، أي المبالغة . وفرعون في كل هذا بضحك ،

ويرى أنه قال : ثم أقبلت على الحبال والمعصى فأكلها فأفنتها ثم ففرت فأما نحو

فرعون ففرع ، فاستغاث بموسى ، فمد يده إليها فكانت عصا .

( إنما صَنَعُوا ) ما موصول اسمي اسم لإن أو حرفي واسم إن مصدر صفع .

( كَيْدٌ سَاحِرٌ ) خبر إن .

وقرى بنصب كيد مفعولاً لصنعوا وما كاهة .

وإذا جعل ما اسماً لأن فالكيد أصله مصدر بمعنى ما وقع به الكيد ، وإلا

فهو باق على معنى المصدر . وإذا كانت كافة جاز المنيان .

وقرأ حمزة والسكاكي كيد سحر على حذف مضاف ، أي كيد ذي سحر ،

أو ذوى سحر ، أو على تسميته الساحر سحراً مبالغة ، أو على إضافة للبيان ،

كقولهم : علم الله وعلم نحر وعلم بيان .

وذلك أن الكيد يكون سحراً وغير سحر ، فبين أنه كيد سحر كما أن العلم

يكون علم الله وغيره فبين أنه علم الله .

وإنما قدرت المضاف مفردا مطابقة لساحر في القراءة الأولى ، وقد درته جمعا  
باعتبار الواقع ، فإنهم جماعة ، لكن لفرض الحقيقة لا الأفراد ، كما أنه واحد  
للساحر في القراءة الأولى ؛ لأن المراد مطابق الجنس لا معنى للمدد . ولذلك قال :  
( وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ ) أى هذا الجنس . وكذا المراد في قوله : « كيد  
ساحر » لكن نذكر فيه لأجل أن يبقى كيد على التنكير ، أى كيد سحري ،  
يوصف كيد بسحري . ومن ذلك قول العجاج :

يوم ترى للفسوس ما أعدت فى سعى دنيا طال ما قدمت

أى سعى دنيوى .

ويحتمل أن يكون التنكير للتحقير ، أى ساحر حقير الشأن ودنيا حقيرة .

ويحتمل الوجهين قول عمر - رضى الله عنه - : إني أكره أن أرى أحدا

لا فى أمر دنيا ، وقوله : ولا فى أمر آخرة يحتمل الأول ، ويحتمل للعظيم .

( حَيْثُ أَنَى ) قال ابن عباس : حيث كان أى إذا أقبل إلى موضع وقام

فيه للسحر فلا يفلح ، أى لا يبال مرغوبه . وهذا تفسير معنى . وحيث ظرف

مكان أو فسرهما بعض بالحين .

( يَا أَيُّ السَّحَرَةِ ) أى ألقاهم تلقف المصطفى الذى هو معجزة دالة على الله

( سَجْدًا ) لله تعالى على الأرض بوجوههم توبة وتعظيما للمعجزة جمع ساجد .

وإنما أسفدنا الإلقاء للقلق لأنه السبب ، أو الأصل : ألقاهم الله سجدا

بسبب القلق .

قال جاز الله : سبحان الله ما أعجب أسرم ! ألقوا حبائهم وعصيهم للكفر

والجحود ، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود . فما أعظم الفرق بين

الإلقاءين .

وروي أنهم لم يرفضوا ردهم حتى رأوا الجنة أو ثواب أهلها ، والذار وعقاب أهلها .

وعن عكرمة : لما خروا سجدا أمام الله سبحانه في سجودهم فزارهم التي يصيرون إليها في الجنة .

( قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) قدم هارون لكبريته أو لفاصلة ، أولأن فرعون ربي موسى في صفر سنة ، فلو اقتصروا على موسى وقدموه فربما توم السامع وقتئذ أن المراد برب فرعون - الله الله ، وأن ذكر هارون استتباع ، أو تميم لربوبيته . وهذا تحقيق الكلام في هذا المقام .

( قَالَ ) فرعون : ( آمَنْتُمْ ) بهمزة الاستفهام والالف بعدها هو همزة آمن يؤمن ، فلبت ألما . وأما الف آمن فمحذوفة وكتبت حمراء إعلاما بأنها قد كانت لا تقرأ . كذا قيل . والحق أنها كتبت لتقرأ لأن تمد الهمزة مدا مطولا في قدر القين .

وقرأ حفص وقنبل بهمزة وألف واحدة ، على الإخبار على جهة الإنكار ، أو على تقدير همزة الاستفهام .

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بهمزتين مختلفتين مدحا ألف ( لَهْ ) أي به ، أو للام على أصله ، فيضين آمنتم معنى خضعتن ، أو صرتم له أتباعا .

( قَبِيلَ أَنْ آذَنَ ) أنا . ( لَكُمْ ) أي الإيمان به .

( إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ ) عظيمكم في السحر وأعلمكم به أو أسفادكم ( الَّذِي هَلَكَ السَّحَرُ ) وأهل مكة يقولون لعلمهم القرآن أو غيره : كبير . يقولون : أسرنى كبيرى . وقال لى كبيرى .

وروي أنه قال لهم : قد تواطئتم على ما فعلتم .

( فَلَا فُطْمَنٌ ) التشديد لتأكيده .

وقرى بفتح الطاء غير مشددة وإسكان القاف وفتح الهمزة ( أَيْدِيَكُمْ )  
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ ( الْوَدِ الْيَمْنَى وَالرَّجُلَ الْيَسْرَى ) وكل واحد من المضمومين  
خالف الآخر ؛ لأن هذه يد وهذه رجل والود يمين والرجل شمال ومن الابدناء ،  
لأن القطع مهتداً وناقشاً من مخالفة العضو الآخر لاسيما رفة إياه ، متعاقبة  
بأفطن ، أو بحذوف حال من الأيدي والأرجل وهما جسمان قلة ، وأراد بهما  
الكثرة . والأصل أيديكم بضم الدال كسرت لتلا تقلب الياء واواً ويجوز كون  
من المصاحبة .

( وَلَا صَلَافٌ لَكُمْ ) بالتشديد لتأكيده .

وقرى بكسر اللام غير مشددة وإسكان الصاد وفتح الهمزة . وهو أول من  
قطع الأيدي والأرجل وصلب ( فِي جُذُوعِ النَّخْلِ )  
قال ابن هشام : « في » للاستعلاء بمعنى على . انتهى . وإيضاحه أنه شبه  
الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة بجامع التمكن فصرى التشبيه بجزئيات كل  
فاستعمار لفظ « في » لمعنى على وهو استعلاء جزئى استمارة نهمية لتحقيقية هذا  
بمذهب الكرونيين .

وقال الهاربون : « في » هنا لظرفية . شبه المصلوب لتمكنه من الجذع  
بالحال فيه ، على طريق الاستمارة بالسكناية ، أو شبه الجذوع بالظروف بجامع  
التمكن في كل على طريق الاستمارة بالسكناية . و « في » على الوجهين تخييل  
ومن أراد تحقيق ذلك فعليه بشرحى على شرح عصام الدين .

وعن أبي حبان : حفر لهم في الجذوع فالظرفية حقيقة . وقد يقال حقيقة بلا حفر  
باعقبار أن الجذوع قد ألقوا بها ، وفضلت عنهم أطرافها بل أر لم تفضل فانهم .



( وَلَقَدْ عَلَّمْنَاهُ آيَاتِنَا ) أنا أو موسى ، أو أنا ورب موسى . وعلى الأول نفى الكلام رفع قدره بما اعتاده من الظهور بالعذاب وتحقير موسى واللهكم به ، حيث أثبت له التعذيب مع أنه لا يقدر في ذلك المقام على تعذيب أحد بل يقدر على سبيل المعجزة ، ولكفه ليس من التعذيب في شيء . قال جار الله : اللام مع الإيمان في كتاب الله غير الله كقوله : يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ( أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ) عذابا . وقيل : أبقى عقابا وهو أعم ، وكذا قول بعضهم على المخالفة .

( قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ ) ان نختارك ( عَلَى مَا جَاءَنَا ) الضمير المستتر لما . ولا يجوز أن يكون لموسى ، ويقدر الرابط أى ما جاءنا به موسى ؛ لأن هذا الرابط مجرور بما لم يجز به الموصول ، ومعلق بما لم يشبه ما تعلق به جار الموصول . كذا ظهر لى وأجازه اللغاضى .

( مِنَ الْبَيِّنَاتِ ) بيان لما ، أو ضميره المستتر ، أو لاماء القدرة - على ما قال اللغاضى .

( وَالَّذِي فَطَرَنَا ) خلقنا . والمطاب على ما . ويجوز أن تكون الواو للنسم وجواب محذوف دل عليه « نِ نُؤْثِرَكَ » كذا فسرت كلام اللغاضى ، ولكن قول ابن هشام : تلقى النسم بلن ولم نادر جدا كقول أبى طالب :  
والله انى يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيذا

وأجازه بعضهم بلا تدوير .

( فَأَنْضِ مَا أَنْتَ فَاظٍ ) افعل ما أردت أن تفعله . وهذا الأمر يسميه علماء الأصول تفريضا . وكذلك سموا الأمر في قوله : « أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ » لاحتراز سحرهم بالنظر لمعجزة موسى التى أعلم موسى أو ظن أنها تكون .

وبصح أن يكون الأمر « ما للإنداز مثل : « قل تمتعوا فإن مصيركم إلى الدار » ويسمى تهديداً ، كأنه قيل : من وراء فملك الآخرة لنا بالرحمة ولك بالذاب .

وبعضهم يفرق بين التهديد والإنداز بذكر الوعيد مع الإنداز . وعلميه فالأمر تهديد ، والرابط محذوف مضاف إليه ، أى قاضيه ، أو مفعول به ، أى قاض إياه ، أو مجرور بلام التقوية ، أى قاض له ولام التقوية زائدة أو كزائدة فلا يبحث بأنه كيف يحذف العائد المجرور بالحرف مع أن الموصول لم يجر . مثل الجار له .

قال ابن هشام : ويجوز حذف العائد المجرور بالإضافة ، إن كان الضاف وصفاً غير ماض نحو : « فاقض ما أنت قاض » .

قال خاله خلافاً للكسائي : وإن قلت : كيف أجزت تقدير قاض إياه بالانفصال مع إمكان الاتصال ؟

قلت : لأن انفصاله على المفعولية واتصاله على الإضافة فلم يكن الاتصال إلا على جهة غير جهة الانفصال ، ولأنه إنما يمنع الانفصال مع إمكان الاتصال في الاستعمال لا في التقدير .

قال ابن هشام في حاشية التفسير : « ما » هذه يحتمل أن تكون مصدرية أى اقض قضاءك أو مدة قضائك ، بدليل قوله تعالى : ( إِنَّمَا تَخَيَّرَ حَيَاتِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) .

وإنما أجاز ذلك لأن الجملة الاسمية بعدما ، الخبر فيها شق ، أى المعنى افعل ما شئت ، إنما تفعل ما تهواه في الدنيا ، والآخرة خير ، فإنما تنفى الخ كتمهيد لما بعده وتعليل لما قبله وتهديد له ، أى تفعل لليوم تجازى غداً

وهذه ظرف زمان لوصفه بالمصدر الدال على الزمان أو لإبدال المصدر

الذکور منه ، أو عطفه عليه عطف بيان . تقول : كان كذا وكذا حياة فلان ،  
أى فى حياته .

وقيل : منصوب على نزع فى . وقيل : متعلق بـ ( إنا آمنا ) .  
وقرى : تُقْفَى هذه الحياةُ للدنيا ، بالبهاء المفعول والرفع ، كتولاك : صيم  
يوم الجمعة .

( إنا آمنا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايانَا ) كباثرنا وصفائنا .  
( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ) عطف على خطايانا . ويؤخذ منه أنه  
خير للإنسان أن يموت ولا يسحر ولا يقتله ؛ فإنهم طلبوا الغفران لما فعلوا من  
السحر وتعلمه وهم عليه مكرهون . كذا ظهر لى .

وإن قلت : كيف أكرههم وهم جاءوا مختارين ؟  
قلت : قيل : أكرههم أولا على تعلم السحر . فالمراد على هذا بالإكره  
على تعلم السحر . قيل : كانوا اثنين وسبعين : اثنان من النبط ، وسبعون من  
بنى إسرائيل .

وقيل : قالوا لفرعون : أرنا موسى قائما نقبل ، فرأوا عصاه تحرسه .  
فقالوا له : ما هو ساحر . الساحر إذا نام بطل سحره ، فأبى إلا أن يعارضوه  
ويستعملوا سحرهم .

( وَاللَّهُ خَيْرٌ ) ثواباً . ( وَأَبْقَى ) عقاباً . وفيه رد لنول فرعون : « إنا أشد  
عذاباً وأبقى » وقيل : خير منك يا فرعون ومما تدعونا إليه .

واختلفوا : هل أنفذ فرعون وعيده فيهم ؟  
ويدل على أنه أنفذ قوله ﷺ : كانوا أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء .  
رواه الشيخان . رحمه الله ، وذلك آخر السحرة .

وقيل : ما يأتى أيضاً من كلامهم ، وعظوا به فرعون .

( إِيَّاهُ ) أى الشأن ( مَنْ بَاتَ رَبَّهُ مُجْرِمًا ) أى يموت على شركه

أو نفاقه .

( بَإِنْ لَهُ جَهَنَّمٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا ) فيستريح ( وَلَا يَحْيَى ) إما على حذف التثنية

والمنعوت ، أى حياة نافعة ، أو على تشبيه حياته بعدمها ، لعدم ما وجد

من المنافع ، والقريضة قوله : لا يموت

( وَمَنْ يَأْتِهِ ) بالهاء بعد الهاء لعدم الاعتداد بالهاء المحذوفة قبلها .

وقرأ قالون بالاختلاس اعتداداً بها فى رواية عنه فى الوصل وأبو شعيب

بإسكانها فيه ، وتلك روايات عن نافع ، والمشهور للهاء .

والشهور عن قالون عنه الاختلاس ، وروى عنه للهاء .

ومنى العرب من لا يمد الهاء بقاء أو واو مطلقاً ، ويحتمل أن يكون هذا هو

معمد المختلس كذا قول .

والحق أن معتمده الساكن المحذوف كما مر .

( مُؤْمِداً ) مات على الإيمان للكمال وهو حال .

( نَدَى عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ) الفرائض والنوافل فى الدنيا حال أخرى وصاحب

الحالين ضمير بات ، فهما مترادفتان ، أو صاحب الثمانية ضمير مؤمناً فقد اختلفان .

والثمانية مؤكدة ؛ لأن المؤمن اسم الموحى الموقى بالعمل للصالح ، وإن جعل هذا

بمطابق الموحى مؤسدة .

( فَأَوَائِكَ أَهْمُ الدَّرَجَاتِ ) المنازل ( الْعُلَى ) الرقيقة جمع عليا مؤنث أدلى

كالكبرى .

( جَنَّاتُ عَدْنٍ ) بدل من الدرجات ، أو خبر المحذوف على المدح . والعدن :

الإقامة .



( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى )

تطهر من الذنوب .

وقال ابن عباس : قال : لا إله إلا الله وقد مر أمراط العمل للصالح وهو

فعل ماض كما مر ظاهر وخالدين ناصبه معنى الإشارة ، أو الثبوت في قوله :

« لهم » وه تجرى من تحتها الأنهار » نعت لجنان ؛ لأنه هنا نكرة أو حل لجنان

الإضافة لمدن وإن تكلف له تعريف تعينه الحالية .

( وَنَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى ) هذا باتفاق من كلام الله سبحانه لسيدنا محمد

ﷺ ( أَنْ ) تفسيرية لأن في الوحي معنى القول دون حروجه . من أجاز دخول

المصدرية على الطلب أجاز مصدريتها أى أوحينا إليه الأمر بالإمراء أو بالأمر به .

( أَمْرٍ مَبَادِي ) بنى إمرائيل من مصر . والإمراء : المنى ليل . وهو

هذا بمعنى السرى وهو أولى من أن يحمل همزة ماضيه للمصدرية لأدائه إلى كون

اللهاء زائدة .

وقرى أن أمر بكسر اللون ووصل الهمزة من سرى .

( فَاضْرِبْ لَهُمْ ) بالمعنى ( طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ ) أى فاجعل لهم كقولك : ضرب

له في ماله سهماً أو فامخذ لهم ، كقولك : ضرب المين أى اتخذها بأن عملها

( يَبْدَأُ ) مصدر كاليس بضم فإسكان كاعدم وللمدم والسقم والسقم وصف به

مهاولة ، أو أقاويل بعباس أو بذى يس والمصدرية وصف به المؤنث والنفية

والجمع بلنظ واحد نحو شاة يس ، أى جف لبنها .

وقرى : يابساً إما على أنه وصف كسر المكان فهو شاز ، أى خشن ، أو

ارتفع أو غير ذلك ، أو على أنه مخفف من ليس بكسر اللباء كيتظ فهو بقط ،

ويتظ ، بكسر اللقاف وإسكانها ، أو على أنه جمع يابس كراكب وركب وصف به

المفرد مبالغة ، كقولك رمى جيعاً ، فمى واحد الأعمام ، وجهاع جمع جائع ، وصف به مبالغة في الجوع ، أو وصف به المفرد لتهذره معنى ؛ فإنه جعل اسكل سبط طريقاً .

قال الشيخ هود : قال الحسن : أتاه جبريل على فرس ، فأمره فضرب بعصاه للبحر ، فصار في البحر اثنا عشر طريقاً ، لسكل سبط طريق ييس . وأجاز للقاضي كون ييساً بفتح فإسكان مخففاً من ييس بنعمتين . قلت : الذي حفظناه أن تخفيف فعل بفتح الفاء والعين بالإسكان نادراً وضرورة ، وإنما يخفف فعل بفهم العين أو كسرهما . ولى في ييساً في الآية بحث في شرح اللامية .

( لَا تَخَافُ دَرَكَاً ) اسم مصدر بمعنى الإدراك ، أى لا تخاف أن يدركك فرعون وجنوده من ورائك .

وقرأ أبو حيرة بسكون الراء ، وهو كالدرك بالفتح والجملة صفة من طريقاً ثانية والرابط محذوف أى فيه وإن جعلنا في البحر صفة ، فذلك ثلاث صفات ولك أن تجعل الجملة حالا من ضمير ييساً وييساً حالا من ضمير مستتر في قوله : « في البحر » إن جعل صفة لا إن عاق باضرب ، لأنه لا ضمير فيه حينئذ .

وقرأ حمزة لا تخف بالجزم في جواب الأمر أو بالهوى .

( وَلَا تَخْشَى ) عطف على لا تخاف : وأما على قراءة جزم تخاف . فجملة لا تخشى مستأنفة أى ومن شأنك أنك آمن لا خاش ، أو معطوفة على لا تخف وثبت الألف الفاصلة ، أو جاء على لغة ذكرها بعض النحاة أن بعض العرب يثبت حروف الالة في الجزم . وعلامة الجزم على هذه الالة حذف الهمزة المقصورة على الحرف .

قال القاضي : أو حال بالواو ، أى على حذف المبتدأ ، أى وأنت لا تخشى ؛ لأن الحال الذى هو جملة المضارع المنفى بلا ومرفوعه لا يقرن بالواو ، قاله ابن هشام خلافا لابن محمد بن مالك والمراد لا تخشى غرقا من البحر أمامك .

( مَا تَتَّبِعُهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ) خرج موسى بعباد الله أول الليل فأخبر فرعون بذلك ، فقص أثرهم وأتبع لموافقة لجرد ، أى تتبعهم والباء المصاحبة أو معاقبة لهمزة التعمدية متعلقة بأتبع . ويجوز على المصاحبة تعلوقها بمحذوف حال .

ويؤيد ذلك قراءة بعضهم فتبعهم أو الهمزة . للتعمدية والمفعول الأول محذوف ، أى أتبعهم نفسه ، والباء المصاحبة ؛ أو المفعول الأول هو جنود زيدت فيه الباء .

وإنما قلت : المفعول الأول نفسه أو جنود أى وللتأني الهاء قبل الميم قدمت لأنه وجنده فاعلان معنى لأنهما تابعان . وفي خروج فرعون تخريضا لجنده . وقال ابن هشام : زيادة للباء في مفعول ما يتعدي لاثنتين قليلة .

( فَفَشَّيَهُمْ ) أى أصاب فرعون وجنوده . قيل : أو الضعيف لجنوده . ( مِنْ الَّيَمِ ) بحر القلزم . وزعم بعضهم أنهم غرقوا في بحر النيل . ( مَا غَشَّيَهُمْ ) أبهم للصلة تهويلا ومبالغة . وفي الكلام اختصار ، أى أى أصابهم ما سمعت قصته وهو للفرق ، ولا يعرف كنهه إلا الله سبحانه وكانت جنوده قيل أربعين ألف ألف .

قال ابن هشام : شرط الصلة أن تكون معروفة أى للمخاطب إلا في مقام التهويل والتفخيم فهذه من إبهامها نحو « ففشهم من اليم ما غشهم » وقال الروداني : الصلة أبدا تكون معروفة إما خارجا وإما ذهنا . والآية

من تعريف الحقيقة في ضمن كل فرد نص من العهد الذهني . ويجوز أن تكون من الخارجى أى الذى يعرف في الخارج أنه غشيم ؛ فإن المهود خارجا يجوز كونه مجلا كما يكون مفصلا . ومن للابعدا ، أو للظرفية ، وأجيز كونها للبيان من ما فملاق بمحذوف حال منها .

وقرى فغشام من اليم ما غشام بالتشديد ، أى نظام وعليه فالفاعل ما كافي للقراءة الأولى .

ويجوز كونه على القراءتين ضميرا مستترا لله سبحانه ، أو لقومون الله ؛ لأنه سبب هلاكهم . وعليه فما مصدرية ، والمصدر مفعول مطلق ، أو اسم واقع على المصدر مفعول مطلق . وعلى التشديد يجوز كونه مفعولا أول ، أخر بقا . على أن التشديد للتعدي لا التوكيد .

( وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ ) إضلال دين ؛ إذ دعاهم لعبادته ، وإسلال الدنيا ؛ إذ وصلهم هذا الموصل الهزى

( وَمَا هَدَىٰ ) أى ما هدام لصالح دين ولا دنيا وذلك رد لقوله : « وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد » وتهكم به وذلك من التلميح للبدى وهو أن يشار في أثناء الكلام إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره ؛ فإن « وما أهدى » إشارة إلى ادعائه ، إشارة قومه مثل أن يدعى زيد أنه يبالغ في النذل . فإذا لم يفعل قلت له : ما بالفت في القتال ، وحذف المفعول للفاصلة وهكذا في مثله مع العلم به والاختصار .

( يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ) خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر ، وإغراق فرعون ومن معه ، على إضمار قلنا أو خطاب للذين منهم ، في عهد النبي ﷺ بما فعل آبائهم ، فلا يقدّر القول . والأول أولى ، وإضمار القول كثير



(فَذَانِجَيْنَاكُمْ) وقرأ حمزة والكسائي قد أنجيتكم (مِنْ عَدُوِّكُمْ) فرعون وقومه . (وَوَاعَدْنَاكُمْ) وقرأى وواعدتكم (جَانِبَ) وقرأ بعض وواعدناكم ، وبعض وواعدتكم (الطُّورِ) الجبل . (الْأَيْمَنَ) نعت جانب ، لقول موسى للقراءة فيه ، للعمل بها ، وللمناجاة .

وإنما وعد المواعدة على بنى إسرائيل أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ، مع أنها أوسى أوله والسمعين المخفارين لكون موسى والسمعين منهم وفهم وأمود ذلك إليهم وذلك الطور هو طور سيناء .

وقرأ بجر الأيمن ، مع أنه نعت للجانب ، لجواره الخفوض ، وهو الطور ومعنى كونه مجروراً أنه على صورة الحرور ، وإلا فكسرة ليست إعراباً ، كما أنها لم تكن بقاء ، ولكننا للمناسبة ونصبه مقدر .

ويجوز على هذه القراءة أن يكون نعتاً للطور لما فيه من اليمن ، أو لأنه على يمن من يمشى في الجادة .

(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُْ الْمَنَّاءَ) المُنْجِبِينَ ينزل عليهم مثل العسل في محلهم في التيه من طلوع النجم إلى طلوع الشمس (وَالسَّلْوى) الظاهر المسمى للسماء بالنصر .

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) وقرأ حمزة والكسائي ما رزقكم . والطيبات : الحلال ، أو اللذائذ . والإضافة للبيان أو لتعويض ، فإن من الرزق ما هو حلال وما هو حرام . هذا مذهبنا معشر الإباضية .

(وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ) أى فيما رزقناكم ، أى لا تجاوزوا الحد فيه بالإسراف ، ومنه عن مستحقته ، وللتكبر ، وعدم الشكر ، واستعماله في الماصى ، والتفوى به عليها .

وقيل : لا تدخروا وقيل : كانوا لا يأخذون لحد لأنه يفسد ، ولا يوم الجمعة  
ويوم السبت ، لغفر غفرهم للمعبادة .

قول : لولا بدو إسرائيل ما اختير للطعام ، ولولا حواء ما خانت آدم  
زوجها .

( فَيَحِلُّ ) أى يجب ( عَلَيْكُمْ غَضَبِي ) من حَلِّ الدِّينِ : إذا وجب أدائه  
وقرأ للكسائي بضم الحاء ، بمعنى ينزل .

( وَمَنْ يَحْمِلْ ) بجم . وقرأ للكسائي بضم اللام ، أى ينزل . ( عَلَيْهِ  
غَضَبِي فَذَٰهُوَىٰ ) هلاك وتبيل : وقع في الهاوية .

( وَإِنِّي أَغْفَارُ ) كثير الغفران وعظيمه ، ففيه ترجية ( لِمَنْ ) لدنوبه ،  
فهو بتقدير مضاف . ويحتمل بيان إن لا تقديرا ، أى لا أظهره على رؤوس  
الأنعام بالفضيحة ، ولللام للتقوية عائدة اغفار .

( نَابَ ) من الشرك ( وَآمَنَ ) وحَّد الله . وفيه تأكيد ؛ فإن من تاب من  
لشرك قد آمن .

( وَعَمِلَ صَالِحًا ) أدى للفرض الذى هو عمل الواجبات ، وترك المحرمات  
( ثُمَّ أَهْمَدَىٰ ) علم أن ذلك توفيق من الله تعالى .

وقيل : لزم ذلك إلى الموت .

وقيل : علم أن لذلك ثوابا

وقيل : أقام على السنة بإزالة الاعتقاد الفاسد عن قلبه ، كما طمع في دخول  
الجنة بمجرد الإيمان دون العمل ، وكادعا رؤية الباري . والله أعلم بمراده . وهذه  
شروط الغفران أيضا للكبائر التى ليست بشرك .

ويحتمل أن يكون معنى الآية : وإلى اغفار لكبائر الشرك ، وكبائر النفاق ،

لمن تاب منها ، وآمن بكل ما يجب الإيمان به إيماناً خالصاً ؛ فإن كان مشركاً فليؤمن  
إيماناً خالصاً ، وإن كان قد آمن إيماناً غير خالص فليؤمن إيماناً خالصاً ، وعمل صالحاً  
معتبراً ، وهو الذي لم يقبله بما يفسده من الكبر . ولزم على ذلك إما الجمع بين  
الحقيقة والحجاز ، أو الجمع بين معنيين كلمة أو هجوم الحجاز ويبقى على جواز ذلك .

( وَمَا أَعْجَلَك ) ما مهبطاً استفهامية توبيخية ، وفاعل أجهل مستتر جوازا ،  
يعنى أى شيء حملك على العجلة ؟ أو ما مهبطاً تعجبية . والمراد : تعجيب من يمكن  
منه التعجب ، ففاعل أجهل مستتر وجوباً .

( عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ) عانبه على العجلة وأنكرها عليه ، لأنها نقيصة  
من حيث تركه للقوم مع أنهم معه وسبقهم ، ومن حيث إغفاله للقوم ، وإيهام  
للمعظم عليهم .

والقوم : النقباء : السبعون المخفرون ، تقدم معهم إلى الطور ليأخذوا معه  
للقراءة على الموعد المضروب ، وتقدمهم شوقاً إلى كلام ربه وأنجز وعده ، ظناً  
أن ذلك أقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، وأصرم أن يتبعوه إلى الجبل . وغاب عنه  
أن الله جل وعلا ما وفّت أعماله إلا لحكم ومصالح .

( قَالَ هُمْ أُولَاءِ ) وقرأ عيسى ابن عمر بترك الهمزة وذلك مهبطاً وخبر ( عَلَى  
أَفْرَى ) خبر ثان أو حال ، أى ما تقدمتهم إلا بخطا يسيرة لا يعقد بها عادة ،  
يتقدمها بعض الرقة على بعض ، ويتقدمها على الوفد رئيسهم .

وإن قلت : فكيف قال : هم أُولَاءِ بإشارة البعيد ؟

قلت : القرب والبعيد نسبيان . يصح أن تقول في القريب : هو بعيد بالنسبة  
إلى ما هو أشد قرباً ، وفي البعيد : قريب بالنسبة لما هو أشد بعداً .  
وعن بعضهم : أنه استعمل أولاء هنا في القرب

وقرا أبو عمرو ويعقوب بكسر همزة أنرى . وقرا عيسى بن عمرو بضمها .  
والفتح أنصح . والياء ما كنه في قراءة الكسر والضم .

ومن قال القوم : جميع بنى إسرائيل ، رد عليه بقوله : « على أنرى » . زعم  
أن المراد الجميع ، وأنه فارقهم قبل المهاد .

وقد يجاب بأن معنى قوله : « على أنرى » أنهم ينظروننى .

( وَعَجِبْتُ إِلَيْكَ ) إلى طاعتك ( رَبِّ ) لاربى ( لَتَرْضَى ) على رضا زائدا  
على رضاك ؛ فإن العجلة إلى امتهال أمرك يزيد رضى ؛ يوجهه بمقتضى الوعد على  
ذلك بالثواب .

وإطلاق القاضى أن العجلة في قسمها نقيصة ليس بحمد ؛ لأنها في الطاعة  
حميدة . وإنما عوتب عليه لسبقه القوم ، وما تقدم .

وقرى ببقاء رضى للمفعول .

وسؤال الله موسى أو تعجيبه إنما كان في العجلة . فمقتضى الجواب الاقتصار  
على عجات إلهك ربى لترضى ، ولكن زاد بسطا للمعذر أولا بأن قال : إن التقدم  
الذى تقدمته غير معتد به عندنا معشر للبشر وكأنى غير معتد به ، أو لما عاتبه الله  
أرنج فلم يأت بالجواب المطابق .

( قَالَ ) الله عز قائلا : إني ظننت ما ظننت . ( فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا ) ابتلينا  
( قَوْمَكَ ) في دينهم بعبادة العجل . ( مِنْ بَعْدِكَ ) من بعد خروجك  
عنهم ، وتخلف ما ظننت من بقائهم على الظن ، ومن أن العجلة مرضاة . وهؤلاء  
القوم هم الذين خلفهم مع هارون وهم ستمائة ألف ، نجما منهم من عبادة العجل  
ثمانا عشر ألفا .



( وَأَضَلَّهُمْ ) بأنحازهم المجل ، والدعاء لهم إلى عبادته ( السامري ) موسى  
ابن ظفر منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل ، وكان معاقفا .

وقيل : كان ابن عم لموسى .

وقيل : كان ملجأ من كرمات .

وقيل : من أهل جرما : قرية بالموصل وأن اسمه منجا وكان من قوم  
يعبدون البقر .

وقيل : قبيلة من بني إسرائيل تسمى سامرة تخالفهم في بعض دينهم . وكان  
جارا لموسى ، وكان عظيما في قومه وصانعا .

وقرى بضم اللام على الابداء : أى أشدم صلاة للسامري ؛ لأنه ضال مضل .  
روى أنهم أقاموا على الدين مشرين ليلة ، وحسبوها بأيامها أربعين  
وقلوا : كملت المدة ، ثم كان أمر المجل وأن هذا الخطاب كان له عند قدومه .  
وليس في الآية ما يدل على أن الخطاب موجود عند مقدمه . فإن صح ذلك  
فالتعجيب بين ذلك وقوله : « قد فتيا » أن الله عز وجل أخبر عن النعمة المرفقة  
بلفظ الماضي لوقوعها لا محالة ، أو المراد بفقده إياهم ، سبق عليه بأن سوف تفهم . والعلم  
بالشيء ومشيبته هنا أصل وقوعه ، أو افتراض السامري غيبته ، فزعم على إصلاحهم  
عند انطلاقه ، وأخذ في تدبير ذلك ، فكان بدء النعمة موجودا . وقال الله لنبيه :  
استخلف هارون على قومه . ولما انتهى إلى الجبل مناجيا ربه . زاده في  
الأجل عشرا .

( رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ ) عليهم جميعا ؛ لأن منهم من عبد  
المجل ، ومنهم من لم يقاتلهم على ذلك ، ولم يفلظ عليهم إلا الذين ساروا معه .

ولما رجع مد استيفاء الأربعين ذى القعدة وعشير من ذى الحجة ونزول التوراة .

وقيل : قبل ذلك ثم رجع ( أسفًا ) شديد حزن بما فعلوا .

وقيل : شديد غضب ؛ لقوله ﷺ : موت النجاة رحمة المؤمن ، وأحمدة

أسف للكفر . وعليه الحسن .

( قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ) وعدم أن يعطهم التوراة

وهي صلاح لهم ولأعقابهم دنيا وأخرى ، ولا وعد أحسن من ذلك .

وقيل : حسنا معناه : صادق . وهذه نعمة يجب أن تشكروه عليها ، فكيف

عبدتم غيره ١٩

وقيل : المراد الوعد بالثواب في الآخرة على التمسك بدين . كانت التوراة

ألف سورة ، كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا .

( أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ) الزمان ، وهو زمان مفارقه عليه السلام لهم .

وقال مجاهد : الموعد ( أم أردتم أن يحل ) بحب .

وقال الشيخ هود : إن بعضا قرأه بضم الحاء أى ينزل ، وقال أبو عمرو الداني :

الكسر في هذا مجمع عليه .

ووجه الجمع بينهما أن الجمعين على الكسر للقراء السبعة أو العشرة ؛ لأن

كلامهم في قراءتهم وللناري بضمها غيرهم .

( عَلَيْكُمْ غَضَبٌ ) هو ضد الرضى أو المراد به المذاب . وذلك لأن الغضب

سبب المذاب ، وهو أرى بقراءة للضم من ضد الرضى والكسر جائز ( مِنْ رَبِّكُمْ )

لعبادة ما هو في غاية العفارة حتى يضرب به المثل في العفارة ، وعدم قتال العابدين

والعنايظ عليهم ، أى أم أردتم فعلا يوجب الغضب . والمراد التوبيخ ، فإن

الإنسان لا يريد غضب الله .

ويحتمل أن يكون الخطاب في ذلك كله لهابدي للمجمل فقط ، وهو أنسب بما بعد ، فهو أولى ، لئلا يحمل الخطاب فيما ذكر عاما ، وفيما بعد خاصا بآبديه ولو كانت القرينة موجودة .

( فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ) مصدر ميمي مضاف المفعول ، أى وعدى ، أى وعدهم إلهى بالثبات على الإيمان بالله سبحانه ، والقيام بما أمرتكم به ، أو وعدهم إلهى بالمحى .

وبصح أن يكون اسم زمان أو مكان أى تركتم الزمان الذى تواعدنا أن نحضر فيه أو المكان الذى تواعدنا الاجتماع به . وذلك زمان أخذ للتوراة والنجاة ومكانهم ما .

وقيل : المعنى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود ، بعد الأربعين ، من أخلفت وعده : وجدت الخلف فيه ، وهو مضاف للفاعل ، ولكن التفسير لا يناسب ترتيب قوله : « فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي » على ما قبله ، ولا على الشق الذى يليه وهو « أم أردتم » الخ . ولا يناسب الجواب بقوله : ( تَأْلُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكُمَا ) أى ما أخلفناه بأن ملائكتنا أمرنا ؛ إذ لو خالفنا وأمرنا ، ولم يسوّل لنا السامري لما أخلفناه .

وقرأ حمزة والكسائي بضم الميم ، وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر ها والكل مصادر ملكت الشيء .

ويستعمل المضموم والكسور بمعنى الشيء المملوك ، بل قيل : هذا هو الأصل فى المضموم والمصدرى الكل مضاف للمقابل .

ونسره بعض بالقدرة ، وبعض بالأمر من الأمور ، وبعض بالاختيار .

( وَالْكِتَابُ جُمْلًا ) حاملين ( أَوْزَارًا ) أحمالا أو أثقالا ، أو آثاما .

والثانى قول مجاهد .

( مِنْ زِينَةٍ ) حَلَى ( الْقَوْمِ ) الْقَبْطُ ، اسْتَعْمَارُهَا ، نَهْمٌ حِينَ هُمَا بِالْخُرُوجِ  
مِنْ مَعْبَرٍ بِاسْمِ الْعَرِيسِ ، وَلَا عَرِيسَ حَقِيقَةً .  
وَقِيلَ : كَانَ أَبَاحَهَا اللَّهُ لَهُمْ

وَقِيلَ : لَا يَلْ يَرُدُّونَهَا .  
وَقِيلَ : اسْتَعْمَارُهَا لِهَيْدٍ وَلَمْ يَرُدُّوها عِنْدَ الْخُرُوجِ مَخَافَةَ أَنْ يَمْلِكُوا بِخُرُوجِهِمْ .  
وَقِيلَ : هِيَ مَا قَذَفَهُ الْبَحْرُ مِنْ زِينَتِهِمْ بَعْدَ إِغْرَاقِهِمْ وَلَمْ تَحْمَلْ لَهُمُ الْغَنَائِمَ وَلِأَنَّهُمْ  
كَانُوا مُسْتَقَامِدِينَ تَحْتَ الْقَبْطِ وَابِسَ لِلْفِدَاءِ مِنْ أَخْذِ مَالِ الْحَرْبِيِّ .  
وَالْحَاصِلُ أَنَّهَا سَمِيَتْ أَوْزَارًا ، إِمَّا مِنْ الْوِزْرِ بِمَعْنَى الثَّقَلِ ، وَهِيَ حُمُولُ  
كَثِيرَةٍ ، أَوْ مِنْ الْوِزْرِ بِمَعْنَى الذَّنْبِ ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَلَى جِهَةِ الْعَارِيَةِ فَعَمَلُوا بِهَا ،  
أَوْ لِمَا أَلْقَاهَا الْبَحْرُ أَخَذُوا مَلَكًا وَلَمْ تَحْمَلْ لَهُمْ ، أَوْ لِأَنَّهُمْ أَلْقَوْهَا فِي النَّارِ فَصِيفَتْ  
بِهَلَا عِبْدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَاسْتَكْنَى هَذَا الْإِلْقَاءُ بِكَوْنِ ذَنْبًا إِنْ عَلِمُوا أَنَّ السَّامِرِيَّ  
يُرِيدُ ذَلِكَ .

نَعَمْ هُوَ ذَنْبٌ مُطْلَقًا مِنْ حَوْثٍ إِنَّهُ تَصَرَّفَ فِي مَالِ الْفَقِيرِ بِلَا إِذْنِهِ ، أَوْ مَعَهَا  
وَزَرًا لِأَنَّهَا سَبَبُ الْإِثْمِ ، مِنْ أَنَّ الْمَجْلُ بَنِي بِهَا .  
وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحِزَّةً وَلِلْكَسَائِيِّ وَرُوحٌ قِيلَ وَأَبُو بَكْرٍ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْمِيمِ  
وَالضَّخْفِيفِ .

( فَقَذَفْنَاهَا ) طَرَحْنَاهَا فِي النَّارِ بِأَمْرِ السَّامِرِيِّ ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ )  
مَا مَعَهُ مَعَهَا وَالْفَاءُ لِلِاسْتِثْنَاءِ . وَكَذَلِكَ مَفْعُولٌ مُطَاقٌ لِأَلْقَى .

وَرَوَى أَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ : إِنْ مُوسَى أَخْلَفَ مِيعَادَكُمْ لَمَّا مَعَكُمْ مِنْ حَلَى الْقَوْمِ ، وَهُوَ  
هَرَامٌ عَلَيْكُمْ . قَالَ أَيْ أَنْ نَحْفَرَ حَفْرَةً وَنَقْذِفَ فِيهَا ، فَعَمَلُوا وَقَالَ شُعْبَةُ : يَجِيءُ مُوسَى  
فَيَأْمُرُ بِمَا نَفَعَلُ بِهِ بِأَمْرِ رَبِّهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَوْ قَدْ نَارًا وَهِيَ غَدَاةُ اللَّهِ



وقيل : قال لهم : نحفر حفرة ونوقد فيها ناراً ونلقى فيه فيها .

وقيل : إن هارون عليه السلام أمرهم بإلقائه في حفرة ودفعه فيها حتى

يحيى موسى . والله اعلم بالصواب .

وروى أنه مر على السامري بصوغ فقال له : ما هذا ؟ فقال : أصنع ما ينفع

ولا يضر فادع لي . قال : اللهم أعطه ما سألتك على ما في نفسه ، ألقى تراب حافر

فرس الرسول جبريل عليه السلام . واسم فرسه حيزوم في قم ما صاغ على هيئة

المجمل ، فكان مجلا يخور بدعوته . والصحيح أنه خار بسبب التراب .

ولكن لا مذهب ؛ فإنه تعالى لو شاء لما أثر التراب فأنره بدعاء هارون .

وقيل : إن هارون لم يدع له أصلاً ، ولم يعلم بذلك إلا بعد صوغه وخواره .

وقيل : إن السامري لما قال لهم : ألقوا ما معكم فيها ألقوا ، وحمل كأنه باقى

ما معه . ولم يلق وألحقه ألقى للتراب فأوحى إليه وإيه الشيطان : أنه إذا حاظ

مواتنا كان حيواناً .

وقد مر أن السامري اسمه موسى ، وولد في وقت الذبح ، وألقته أمه في جبل

بعد ما ألقته ، ورباه جبريل وغذاه لما أزيل به من الخزي .

وذلك أن فرعون لما أمر بذبج الأولاد جعلت المرأة إذا ولدت غلاماً ،

انطلقت به سرا في جوف الليل ، إلى صحراء أو واد أو غار في جبل ، فتخفيه ،

فيعقبه له ملكاً يربيه ويطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس . وكذلك من ولد

في عام الذبح ، بعد أن كان يذبج عاماً وبترك آخر . وكان السامري ولى

أمره جبريل .

وروى أن الله سبحانه خلق في إحدى إبهاميه سمناً وفي الأخرى عسلاً ومن

ثم كان الصبي إذا جاع مص إبهامه فيروى وجعل الله له فيه رزقاً .

وروى أن الله وكل به وعلاً ابونا تسقيه الابن بالفسادة والعشى حتى كبر  
وخلط بالناص .

وقيل : وكلمها به جبريل . وفيه - آمنه الله - وإن موسى النبي - عليه السلام -  
قال بعضهم :

إذا المرء لم يخلق معيذا تخلفت ظنون مربيه وخاب المؤمل  
فموسى الذى رباه جبريل كافر وموسى الذى رباه فرعون مرسل  
( مَا أَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا ) من ذلك الحلق المذاب . وليس ذلك من كلامهم .  
فضلاً عن كونه التفاتاً ، وكون الأصل فأخرج إذا ( جَسَدًا لَهُ خُورٌ ) صوت  
كصوت البقرة ، عند ابن عباس والحسن وقتادة والجمهور وهو الصحيح .  
وقيل : كصوت الريح ، وهو قول مجاهد .

والمراد أنه على صورة عجل جسد بلا روح ، وسكن له خوار . وهذا الخوار  
إما الروح كانت في بعضه ، وإما لحمه له مخارق ومناذ وأنايب إذا دخلها الريح  
صامت كالعجل ، كما قال بعضهم بذلك ، وأنه لا تظهر هذه الخارقة على يد ضال .  
فمضى قوله « عجل » على تقدير مضاف ومجاز صوري .

ومضى قوله « جسد » أن لا روح فيه ؛ فإن الأصل في الجسد أن يكون بلا روح .  
ومثله ما قيل : إن معناه جسد لا يتغذى

وقال ابن عباس واللسدى : بل انقلب الحلق بعد صوغه عجلاً جسداً لهما ودماً  
يمشى وينخور كالعجل . وكانوا يسجدون له مادام ينخور ، فإذا ترك الخوار رفعوا  
رؤوسهم .

ولا يعترض هذا بأنه ملابس ، فكيف يكون لأنه قد أعد الله من يحققه ،  
ويزيل أثره ، وهو موسى .

وبعد . فأقبح إليه حظه من الكلام الخوار . ومثله كمثل سائر الثمران  
التي خلقها الله . ومن بعد هذا فلم لا يبعد سواه . وأيضا صائفه لم يدع الربوبية  
بذلك ، قول : تأثير التربة في إحياء الموات كرامة الروح القدس ، إذا باشر حافر  
فرسه تربة ولافت تلك التربة جهادا كان إن شاء الله حيوانا كما أنشأ عيسى عليه السلام  
من غير أب بالنفخ في النخع ، وخلق هذا المعجل فتنة يضل بها الكافر ، ويثبت  
معه المؤمن بالقول الثابت . ومن عجب من خلقه فليعجب من خلق إبليس .  
وقيل : خار مرة واحدة .

وقال وهب : كان يخور ولا يتحرك . والصحيح أنه كان لما ودما وروحا  
يخور ويمشي وفيه لشعر بقدره الله . وبه قال السدي وعليه فقد استمار لفظ  
المعجل للحيوان الذي خلقه الله من حلي القبط ، والجامع للشكل .

وروي أنه لما مضت ثلاثون ليلة قال السامري : ابتلواكم بالأجل وما أنتم فيه  
من أجل الحلي الحرام فها توه ، فأعطوه فصاغه .  
وقيل : وقت الله لموسى ثلاثين ، فلما أتمها بهشر قال السامري : بليتكم بالزيادة  
لهذا الحلي فها توه فصاغه .

وروي أنه نافق بعد الخروج من البحر .

( فَقَالُوا ) السامري ومن افنتن به أول ما رآه : ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ  
مُوسَى ) وكانوا أحبوه حبا لم يحبوا شيئا مثله .

وقيل : القائلون : من اتن به أول ما رآه لمن لم يره ثم من رآه بعد انفره .  
( فَتَنَى ) أي نسيه موسى ، أي هو موسى السكته نسيه ، وذهب بطالبه عند  
الطور .

وقيل : النسيان هذا بمعنى الضلال عن الطريق ، أى هذا الذى فى طلبه لكن  
ضل الطريق .

وقيل : قوله : فنسى من كلام الله ، أى ترك للسامري ما كان عليه من  
التوحيد ، أو ما رأى من الآيات الدالة على الله كشق البحر .

وقيل : ترك ما كان عليه من إظهار التوحيد ، وهو المناسب لكونه  
مذاقاً . وعليه فيحتمل أن يكون للنسيان مقابل للتذكر ، أى زال من حافظته  
ما كان عليه . من إظهار التوحيد ، فصرح بالشرك

( أَفَلَا يَرَوْنَ ) أفلا يعلمون ( أَلَا رَجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) أن مخافة  
لوقوعها بعد يقين واسمها ضمير الشأن ، أو ضمير المعول محذوماً ، أى أفلا يعلمون  
أنه لا يرد هو جراباً ولا بكلامهم . وقرئ بنصب يرجع على أن أن فاصلة للفعل  
وهو ضميم ، السبق لليقين .

قال الشيخ خالدة للنصب إجراء له مجرى اللفظ .

وأجاز الفراء وابن الأثيرى للنصب بعد اليقين للصرح ، ومعه المبرد مطلقاً .  
( وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ) توبيخ بعبادة من لا يقدر أن يضرهم  
أو ينفعهم ، أو المراد لا يملك لهم دفع ضرر ولا جلب نفع

( وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ) قبل رجوع موسى ، كما يفاجئه حتى  
يرجع أليها موسى ، أو قبل قول للسامري ، كانه أول ما وقع عليه بصره ، حين  
طالع من الحفرة ، توهم أنهم يفتنون به ويعبدونه ، فبادر يحذرهم :

( يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ) بالمعجل . الحصر واقع على الفتن ، أى ما أمر  
للمعجل إلا فتنة ، أو على « به » أى ما فتنتم عن التوحيد إلى الشرك إلا به ؛ بأنهم  
ولو صدر منهم شئ - قبله لم يقع موقع المعجل فى التعظيم وكثرة الأنباع ، وهو أولى  
لأن الغالب كون المنصور عليه بعد إنما هو المتأخر .



(وَإِنْ رَبُّكُمْ الرَّحْمَنُ الْغَنِيُّ) لا غم له ، كما يفيد تعريف الطافين

(فَاتَّبِعُونِي) في عبادة الله .

وقيل : إلى الطور الذي وعدهم الله إليه ( وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) في عبادة الله عز وجل ، أو في الذهاب إلى الطور ، أو في الثبات على الدين وهو قريب من الأول

والله دره ما أحسن كلامه ! أظهر لهم أولاً أنهم قد أخطأوا الطريق وفتنوا بغيره ، وأظهر عليهم ثانياً .

وعبر بالرحمن في دلالة إشما بأنه جل وعلا كثير للرحمة فهو يقبل توبة من تاب وبنيته ، وأخبرهم ثالثاً بأنه عارف بالطريق الموصل للجنة ، من حيث إنه نبي فلا يبقى لهم اتباعه في الأصل وطاعته في الفروع . كذا ظهر لي بفضل الله ، وإني عاجز .

(قَالُوا أَنْ تَبْرَحَ) لن نزال . (عَلَيْهِ) على عبادة العجل وتقربب أجسامنا إليه ، متعلق بقوله : (عَاكِفِينَ) مقيمين (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) أي نسمع قول موسى ، فاعتزلهم هارون في الاثني عشر الذين لم يعبدوه . ولما رجع موسى في الصباح ، وكانوا يرقصون حول العجل يقال للذين معه : هذا صوت الفتنة ؛ لأنه سبحانه أخبره أن قومه مفترقون ، فألهم أنه صوت الفتنة ، وظن أو أخبره الله بتفصيل الفتنة ، أو أخبره بعد رجوعه .

ولما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيديه ولحيته بشماله وجره إليه غضباً لله وكان حديداً ، مجبولاً على الحدة والخشونة والصلابة في كل شيء ، شديد الغضب . فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعد ما رأوا الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة ، وعنف برجل أخ له كبير السن ، نبي مرسل ، من رأسه ووجهه .

( قَالَ ) موسى بعد رجوعه : ( يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا  
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ) هو منقول ثان لمع ، أو يقدر جار ، أى مامعك عن الانبعاث لى فى  
الغضب لله ؛ أو فى المقاتلة ، بأن تقاومهم أنت ومن معك ، كما أقاتل من كفر ،  
أو عن الانبعاث لى إلى الطور ، فيكون زجراً ، إذ رأيتهم ضلوا بمعاودة المعجل .  
( انصبت أمرى ) بالصلاة فى الدين والحمامة عليه .

( قَالَ ) هرون : ( يَا ابْنَ أُمِّ ) قياس الخط لابن أم ، أضافه للأُم للاستعطف ؛  
فإن الأم أشد شقة على الولد من الأب ؛ لأن ماءها من صدرها وما بين يديها  
وما من وراء ظهره ، وهو أخوه لأب وأم على الصحيح .  
وقول : هو أخوه لأمه ، وإذا أضافه للأُم . والتعقيق أنه ولو كان أخاه  
لأمه ، فالتعبير بالأُم استعطف ؛ إذ يمكنه أن يقول : يا أخى  
وقول : هو أخوه من الأب ، واعتراض بالإضافة للأُم .  
والأصل أى قلبت للكسرة فتحة والياء ألفا فحذفت الألف .  
وقرى بكسر الميم وحذف اللام ، وهى قراءة ابن عامر وأبى بكر وحزرة  
والكسائي .

( لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ) وقرى بفتح اللام وهو لغة الحجاز .  
( وَلَا يَرَأِينِي ) بشمر رأسى ؛ لأنى لم أعمل بموجب ذلك . وإنما نعت ما ظهر  
لى أنه صواب .

( إِنِّي خَشِيتُ ) لوقايتهم بمن معى أو إقارقت بمضهم بعض ( أَنْ نَقُولَ  
مَوْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْتُبْ ) تحفظ وتراجع ( قَوْلِي ) أرى لك ؛  
إخلافك فى قولى ، وإصلاحك ، وحفظ الجماعة عن الفرق حتى أرجع .  
وقال بمضهم : إني خشيت لو أنكرت عليهم . ويرده أنه قد أنكر عليهم .  
أوما يحل له أن لا ينكر وهو قادر على الإنكار .

( قَالَ ) موسى ( فَمَا خَطْبُكَ ) ما شأنك الحامل لك على ما صنعت  
( يَا سَامِرِيُّ ) ؟

والخطب : الأمر للمعظم ، ويطلق على غيره . وذلك إنكار ، وهو مصدر  
خطبت الشيء : طابته . والشأن والأمر للمعظم مطلقان .

وعن بعض : معناه : ما طلبك ؟

قيل : الخطب : الأمر والشأن . ولغة الخطب تقضى انتهاء ؛ لأن الخطب  
يستعمل في المكان ، كذلك يقال .

والظاهر أن المراد ما توصلت به إلى خوار جسد ذهب ، أو إليه وإلى  
كونه لها وما ليناسب الجواب .

( قَالَ تَصْرَفْتُ بِمَا آمُرُ بِبَصْرُوا بِهِ ) يعنى للنبط وبني إسرائيل ، أى علمت  
ما لم يعلموه ، وفطنت لما لم يفطنوا له ، ونظرت ما لم يظنوا ، فهو من البصيرة  
أو من البصر .

وقرى بصرت بفتح الصاد بما لم يهصروا به بكسرها وهو بأحد المعنيين .  
وقرى بكسر صاد بصرت وفتح صاد يهصر . وإن ضم هذا التارى صاد  
يهصروا فعدول إلى مضارع بصر بالضم أو بالفتح ، وإن كسره فإلى مضارع  
بصر بالفتح .

وقرأ حزة والكسائي تهصروا بالفوقية وضم الصاد على الخطاب لموسى وغيره  
وذلك أنه رأى حافر حيزوم وهو فرس جبريل كما وقع على موضع نبت النبات  
في الموضع فلم أنه فرس الحياة لا يخاطب أثره موافقا إلا حيي

وقيل : إنه رأى جبريل يعيش في الأرض ، وعلم أنه روحاني لا يمس  
أثره شيئا إلا حيي . وذلك كله حين جاء في أمر البحر . وإنما عرفه لما صر  
أنه رباه .

وروى أنه كان يحمل كف نفسه في فيه ، فيرتضع منه الابن والعسل ، أو لما رأى ذلك ظنه جبريل ، ولما أثرت الحياة أثر قدمه أو حافر فرسه ، فيوتن .  
( فَتَبَضَّتْ قَبْضَةً ) نغلة المرة بمعنى اسم مفعول بدليل فبذتها ، فإن للقبض لا ينبذ ، وإنما ينبذ المقبوض .

وقرى قصة بالصاد . أو الأول الأخذ بجميع الكف ، والثاني الأخذ بأطراف الأصابع ، كالخضم : بجميع اللغم ، والقبض : قدمه .  
( مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) أى من أثر حافر فرس الرسول ، بتقدير مضافين ، قاله ابن هشام .

وقرأ ابن مسعود : من أثر فرس الرسول . والظاهر أن لا يقدر الحافر كما تقول : ضربت زيدا ، ولا يعنى تقدير اليد ، ولا تجعله بهال ، ولم يقدر مضمرا شيئا .  
وقال : إنه قبض من أثر الرسول نفسه ، وقراءة ابن مسعود ترويه والرسول : جبريل .

وعبر بالرسول إعلاما بأنه قبض من أثره حين أرسل إلى موسى لمشي فدام قوم فرعون يثبطهم ، وخلف قوم موسى يحرضهم على المشي ، أو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور ، وأعرنه لأنه رباه .

وقيل : لأنه لم يعرف أنه جبريل . ولكن أعلم أنه رسول من الله .  
( فَتَبَذْتُهَا ) مع الحلى وأذيقه ، أو فبذتها في فم للمجل المصوغ منه ، أو في الحلى المذاب ، فكان للمجل بخور ، وكان لما قبضها جعلها في عمامته .  
( وَكَذَلِكَ سَوَّاتِ ) بذت وقيل من السؤال إلى نفسي ) مع أن قومك قد طلبوا منك إلهام .

( قَالَ ) موسى : ( فَاذْهَبْ ) يا سامري من بيننا ( بَيْنَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ ) في مدة حياتك عقوبة على ما فعلت ( أَنْ نَقُولَ لَا مِسَاسَ ) مصدر ماس أى



لا يمسن أحد ولا أسسه لثلاثين الحى . وكان إذا مسه أحد أو مس أحدًا  
ولو بلا عمد أصابته الحى مما .

وروى أنه كان يقرض بدنه بالمقراض إذا مسه أحد أو مس أحدًا . وكان  
لذلك طريداً وحيداً ، وحرماً على للناس أن يكلموه أو يبايعوه أو يلاقوه  
ملاقاة ما . ولا عقوبة أعظم من ذلك . وكذلك عشيرته سامرة ، وذلك باق فيهم  
إلى اليوم .

قال الشيخ هود : يقولون إلى الآن بأرض الشام : لا مساس  
وقرى لا مساس بكسر السين غير ممنون مبنياً على ما جنس المس كفتح الجار .  
( وَإِنْ لَّكَ مَوَدَّةٌ ) فى الآخرة زيادة على عقوبة الدنيا . والموعود : مصدر  
أى وعداً ، أو اسم زمان ، وهو يوم القيامة ، أو اسم مكان وهو جهنم .  
( أَنْ تُخْلَفَهُ ) لن يتركك الله عنه ، بل لا بد أن يحضره إليك ، والغائب  
مستتر ، والماء مفعول آخر . وقراءة ابن كثير وأبى عمرو بكسر اللام . قاله  
أبو عمرو لدانى

وقال القاضى : هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وبصرى آخر ، أى ان تغيب  
عنه ، ولا بد أن تلقاه ، من أخلف بمعنى خلف ، أو من أخلف الممدى لائتين ،  
والأول محذوف ، أى لن تخلف الواعد إياه ، وأخضع على الثانى لأنه الغرض ،  
أو من أخلف الوعد ، إذا وجد فيه خلفاً .

وقرأ ابن مسعود بالنون وكسر اللام ، حكاه لؤلؤ الله جل ثناؤه على  
حد « لأهب لك غلاماً زكياً » أو النون لومى ؛ لأن الوعد ولو كان بيد الله  
لكن موسى عليه السلام قد لا يسه ، وكان بإمانه ، ولا بد من حضوره مع  
السامرى فيه

(وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ) نظر تثبت وتيقن ؛ فإنك تراه بعد الساعة ثانية  
لا أثر له كان لم يكن ، أو نظر وداع ولا ضمير بذلك الأمر ؛ لأن المراد إلامه  
باعتداله .

(الَّذِي ظَنَّتْ) دمت أو صرت ، وأصله فعل الشيء . نهراً منقط وأصله ظلت  
بكسر اللام الأولى ، حذفت تخفيفاً ، وخسعت بالحذف لأنها تدغم  
وقيل : حذفت الثانية لحصول التكرار بها

وترى بكسر الظاء نقلاً من اللام المحذوفة ، وهو لغة نعيم ، ولأول لغة  
الحجاز .

وزعم ابن جني أن الغزل لغة الحجاز وترى لغة نعيم . قاله الشيخ خالد .  
(عَلَيْهِ عَاكِفًا) متبياً على عبادته (لَنْحَرَفَّفَهُ) بالفار كما يدل عليه قراءة  
لنحرقفه ، بضم اللون وإسكان الحاء وكسر الراء .

وقرأ ابن مسعود لنذبحفه ولنحرقفه ، بالضم فلا إسكان قال كسر .  
وأجاز الفارسي في قراءة التشديد أن تكون من حرقة بفتح الراء بمعنى بركده  
بالمبرد ، وشدد الجبالفة . وبذل له قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وعلى لنحرقفه  
بضم الراء ، أي لنبردته بالمبرد .

(ثُمَّ لَنْذَرِفَنَّهُ) لنذربنه (فِي الْبَيْمِ) البعر ، أو الماء الفمر . (سَفَا) أو  
لنذربنه في هوا البيم .

وتوى بضم السين . والظاهر أنه إن لم يقلب الحاء وما لا يؤثر فيه الإسراق  
في ضمير زامداً ينسف .

فأحقق إنما هو القبريد بالمبرد ، اللهم إلا أن يكون الإسراق بالفار مجرد  
الإهانة والإذابة . والنسف مستعار لإلقائه في البيم مذاباً ، أو يفعل به ما يكون

به رمادا ، مع أنه غير دم ولحم ، أو عود دم ولحم كما هو نص قراءة ابن مسعود .  
 وصرح به الكلبي ، فذبحه وأحرقه ، وبرّد عظامه كذا قيل . وفيه أن العظام  
 قبل الإحراق حتى تصير رمادا ، فلا يصح توجيهاها . وإنما هو تفسير من تفاسير  
 مقبول مبنى على القراءة التي بمعنى البرد بالبرد . قيل : ذبحه موسى نسال منه دم .  
 قال مكي : إن موسى عليه السلام كان مع السبعين في المناجاة ، وحينئذ وقع  
 أمر العجل ، وإن الله أعلم موسى بذلك ، فكتمه موسى عنهم ، وجاءهم حتى سمعوا  
 لفظ بنى إسرائيل حول العجل ، حينئذ أعلمهم .

وقيل : هذا ضعيف . والجمهور على خلافه . وإنما تعجل موسى وحده ،  
 فوقع أمر العجل ، ثم جاء موسى ، وصنع ما صنع بالعجل ، ثم خرج بالسبعين  
 على معنى الشفاعة في بنى إسرائيل ، وأنت بطاعتهم على المناجاة ، فكان  
 لموسى نهضتان .

( إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ) تمييز  
 محول عن الفاعل .

وقرأ طلحة : الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب المرش .  
 وقرأ مجاهد وقيادة بقنديد للسين مفتوحة ، فيكون كل منقول ولا ثانيا ،  
 وعلمها منقول أول .  
 وذلك أن علمها ولو كان تميزا لكانه فاعل للمعنى ، فلما شدد للفعل صير منقولا  
 كما بصير الماعل ، بدخل همزة التعمدية منقولا ، لما أزال موسى سبب التعمية ، وأبطل  
 مكرهم ، إلى بيان الدين الحق ، وخاطب بنى إسرائيل أو لكل ؛ فإن مستحق  
 العبادة من لا يمثله أحد ، ولا يدانيه في كمال العلم والقدرة .

ومن أحاط علما بكل ما يمكن علمه ، من كل ما وقع ، أو يقع ، فهو عالم بالمطيع  
 والمأمى فيجازيها ، لا عجل بصاغ ويحرق ، ويصنع ضرب النمل به في العبادة .

( كَذَلِكَ ) كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة . ( نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ )

أخبار

( مَا قَدْ سَبَقَ ) من الأمم ، تكثيراً لبيانك ، وزيادة في مميزاتك ، وتبصيراً  
للمستعصرين من أمتك ، وقد علمت أن الإشارة إلى ذكر قصة موسى مع السامري  
إنما واقعة على أنواع من يمثل .

ويصح أن تكون الإشارة إلى ذكر تلك القصة وقصته مع فرعون . وما  
وافد على جميع ما سبق في الأمم ، بقصص عليها ما يكون عبرة من جملة الأخبار التي هي  
من جملة ما وقع فيهم ومنهم . ومنقول نقصّ محذوف منقوت بالجار والجرور ،  
أي شيئاً من أنباء ، أو أغنى الجار والجرور عن المفعول ، حتى إنه لا يندّر .

وقيل : من التبعيضية اسم ، وهي مفعول مضاف ، وهكذا في مثل ذلك ،  
( وَقَدْ آتَيْنَاكَ ) أوصلنا إليك . ( مِنْ لَدُنَّا ) من عندنا . ( ذِكْرًا ) وهو  
القرآن ، ونذكره لتعظيم ، وعبر عنه بالذكر تنبيهاً على أنه مشتمل على ما يوجب  
التذكر والاعتبار ، من قصة وغيرها ، لمن لم يعرض عنه .

وقيل : الذكر : التثناء الجميل .

دخل الحسن يوماً على يزيد بن معاوية ، وجعل يزيد يفتخر بالحسن ما كنت  
قابتداً المؤذن الأذان . ولما قال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال الحسن : لا يزيد  
ألك جد مثل هذا ؟ فجعل يزيد ولم يرد جواباً .

وفي ذلك يقول علي بن محمد بن جعفر :

لقد فاخرتنا من قریش عصابة	بمد جدود وامتداد أصابع
فما تذرنا الفخار قضى لنا	عليهم بما نهوى نداه الصوامع
ترانا مسكوباً والشهود بفضلنا	عليهم جهير الصوت من كل جامع



( مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ) حملا تنهلا من

الذنوب .

وقيل : عتوبة كالحمل للقول .

وقيل : ذنباً عظيماً ، أو الوزر : الذنب أى عتوبة الذنب ، أو حمل الوزر : الإتهان به ، وجهلة الشرط والجواب نعت للذكر ، والرابط هاء عنه ؛ فإنها عائدة للذكر بمعنى القرآن أو انتهاء .

وقيل : عائدة لله لمليست الجملة نعتاً .

وقرى بضم الياء ونفع الحاء وتشديد الميم مهاافة .

( خَالِدِينَ ) الجملة نظراً للمعنى ، والإفراد فى أعرض نظراً للفظ ، وهو حال مقدرة إن لوحظ معنى الدوام ، وإن لوحظ معنى الوصول فليست بمقدرة . ( فِيهِ ) فى الوزر بالوجوه المذكورة ، أو فى جملة .

( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) فاعل ساء ضمير مفسر بالتميز الذى هو قوله حملا . والخصوص بالذم محذوف ، أى وزرم ، أو فاعل ساء ضمير وزرا . كقولك : زيد بئس رجلاً ؛ فإن فى بئس ضمير زيد .

وقيل : لا يجوز هذا ، وإن ساء وبئس ونعم ونحوهن لا يرفعن ضميراً معيها . ولا يصح أن يكون بمعنى أحزن لفساد المعنى ؛ لأن المعنى حينئذ أحزن لهم الوزر حملا . ولو صح هذا لكانت اللام متعلقة بساء ، ولا يشكل أمرها كما قال القاضى . ولكن كيف يصح جعل الحمل مفعولاً لساء بمعنى أحزن ، من حيث المعنى ، فإن الحمل لا يحزن . نعم يصح كون الوزر بمعنى الذنب ، والحمل بمعنى السزاء ، وساء بمعنى جعل سيئاً ، أى جعل ذنبهم جملهم سيئاً .

والحق المعنى الأول ، واللام فيه للبيان ، مقابلة بساء ، أو بحذف حال من حملا ، ويوم مقطلق بساء . ولا صير بالانطلاق بفعل الإنشاء ؛ لأن غاية المعنى عظم لهم يوم القيامة حمل .

( يَوْمٌ ) بذل من يوم ( يَنْفُخُ فِي الصُّورِ ) القَرْن ، وفي الصور نائب الفاعل الذي هو إسماعيل . والمراد النفخة الثانية ، بناء على أن النفخات ثنتان ، والثالثة إن قلنا : ثلاث ، ينفخ فيه فيرحم كل روح إلى جسده .

وقيل : الصور جمع صورة كلمة وكلم ، وبناحية قراءة بعضهم في الصور ، يضم للمصاد وفتح الواو ، جمع صورة .

وقرى ينفخ بفتح اللام ، فقاء له ضمير الله ، أو ضمير إسماعيل ، وإن لم يتقدم ذكره ؛ لاشتهار أنه المانفخ .

وإن قلت : كيف يصح إسناد المنفخ إلى الله تعالى ؟

قلت : على التجوز ؛ لأنه الأسر به ، الجاري هو على توقيته ، وقراءة أبي عمرو ننفخ ، بالذون وضم الفاء تدل له ، وفيها تعظيم الله ، وتعظيم المنفخ . وأيضاً لكرامة إسماعيل على الله ، وقرب المنزلة ، صح إسناد ما يقوله إلى الله سبحانه . ( وَنَحْشُرُ ) أى نجمع . وقرى بالياء ، فالضمير لله جل وعلا أو لإسماعيل ، عليه السلام .

وقرأ الحسن بالياء وللبناء المفعول ، ورنع ما بعده ( الْمُجْرِمِينَ ) المشركين ( يَوْمَئِذٍ زُرُّوا ) زرق العيون ، جمع أزرق ، وصفوا بذلك ؛ لأن الزرقة أبيض ألوان العيون ، وأيقضها إلى العرب ؛ لأن الروم - أهانهم الله - كانوا أعدى أعدائهم ، وهم زُرُّوا ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد ، أصهب السهل ، أزرق العين .

وقيل : نَزَقَ أبدانهم كلها كلون الرماد : ما نزل به من طين.

وقيل : المراد بالزُّرْق اللَّعْنُ ، لأن الأعمى نَزَقَ عنه . وقيل : اللطاش  
وعن بعض : يحشرون سود الأبدان ، زُرْقُ السَّيَّوْنِ ، ثم يعمدون بعد ذلك .

( يَتَخَفَتُونَ بَيْدَهُمْ ) يقول بعض لبعض بإسرار : لما ملأ صدورهم من  
الرصع ، والخفت ، وهو إخفاء للصوت بينهم : ( إِنَّ ) أى ما ( لَيْسَ ) أقم في  
الدينها أو في القبر ( إِلَّا عَشْرًا ) أى لهن عشر أيامها ، أو أنها في مقدار عشر  
ليال بدون أيام .

وقيل : المراد عشر ساعات .

ويجوز أن يراد بالمشر الأيام ، وحذف اللّاء على هذا لحذف المدة .  
ويناسب هذا كل المناسبة ذكر اليوم بعد .

وإنما استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لأن الزَّئِلَ وإن طال قصوره بالانتهاء .

قال عبد الله بن المغيرة : تحت قولهم : أطال الله بقاءك - كفى بالانتهاء  
قصيرا . ولاستهطالم الآخرة ، فإنها أبد مرمد ، يستقصرون إليها عمر الدنيا بأجمعها  
فكيف بأيام إنسان ! أو لما يعانون من الشدائد ، على اشتداع قليل فيها التي  
تذكرهم أيام النعمة ، فيتأسفون عليها ، ويصفونها بالقصر : لأن أيام الشرور  
قصار ، وتذكرهم للغبين الواقع ببيع دائم بقليل .

وقيل : المراد اللبث فيما بين النفختين . نفخة الموت ، ونفخة البعث ، فإنهم  
لا يفتابون في ذلك الوقت بعد ما كانوا يمتدحون في قبورهم ، على قول صحيح .  
وذلك مقدار أربعين سنة .

واستدل بعضهم على أن المراد اللبث في القبر ، من حين الموت إلى البعث

بقوله تعالى : « يوم تقوم الساعة » الآية .

وأشار الله جل وعلا إلى أن قائل ذلك لم يباذوا حد العقول ، وأنها أقل مما قالوا بقوله : ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ) في مدة البت .  
( إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ ) أحدهم وأفضلهم ( طَرِيقَةً ) أي رأيا ، أو هملا :  
( إِنْ آيَتُنَا إِلَّا يَوْمَانَا ) بلهله أو دونها .

وقيل : لم يقولوا ذلك استقصارا ، بل نسوا مقدار لهم ، لشدة ما دهمهم .  
ويحوز كون واو يقولون بجملة المجرمين ، أي نحن أعلم بما يقولونه سرا .  
فبعض قال : لبثنا عشرا ، وبعض قال : يوما .

وسأل جماعة من المسلمين رضي الله عنهم عن مآل الجبال يوم القيامة ، فأنزل الله عز وجل : ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ) أي عن مآلها . والمضارع بمعنى الماضي ، أو مستقبل ؛ فإن القرآن مخلوق قبل ذلك السؤال .

( نَقْلٌ يَنْسِفُهَا رَبٌّ نَسْمًا ) أي يفرقها بالريح . استعمل الخصاص في العام ؛  
فإن النسف : الدفع على الشيء ، أو هبوب الريح قبلة فيطير ، فاستعمله في مجرد التفريق حتى يحتاج بعد ذلك إلى البيان بقولك بالريح ، أو أسند النسف إليه مع أنه للريح ؛ لأنه أمرها لوقت مخصوص ومالك أمرها ، أو بقدر مضاف ، أي ينسفها أو تنسفها ريح ربي .

والريح يذكر ويؤنث ، وإن أنث بانتهاء في أول المضارع مثلا أبدلت بالهاء إذا حذف وباب عه غير المؤنث .

وعن ابن عباس : سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ : كيف تكون الجبال يوم القيامة ؟ فأنزل الله سبحانه الآية . وعليه إنما عبر بالجماعة لأن السائل من جماعة فسأما سألوه ، والواو للجماعة معتبر فيها الحقيقة لا الأمراد .

وعن بعضهم : النسف القلع من الأصل .



وعن بعضهم : يجعلها كالرمل ، ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها ، فيصبح أن يقول : أسند للنسف إلى نفسه ، لأن جعلها كالرمل سبب للنسف .

وقيل : سأله جماعة من المشركين على لسان رجل ، وهم غائبون وحضور . فأمر الواو بوضوح ، ولا سيما إن سأل كل على حدة .

( فَيَذَرُهَا ) ترك ديارها حتى المواضع التي كانت فيها ، فحذف المضاف والضمير الأرض وإن لم يقدّم ذكرها دلالة الجبال عليها من حيث إنها على الأرض كقوله عز و علا : « ما ترك على ظهرها من دابة » .

( قَاعًا ) مكانا منبسطا خاليا وهو حال ، أو مفعولا ثانيا بمعنى بصيرها قاعا . ( صَفَصَفًا ) مستقويا أملتس لا نبات فيه كأن أخراها على صف واحد فالزائد الصاد الثانية فوزنه فعمل ، وهو نعت لقاع ، أو حال ثان ، أو حال من ضمير قاع ؛ لأنه منبسط وخال . أو مفعول ثان متعدّد .

( لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) الجملة حال ثالث ، وحال من ضمير قاع أو صفة صفا ، أو نعت ثان لقاعا ، أو مفعول ثان متعدّد .

وإنما صح ذلك لأن المراد بالقاع والصف ما لا يرى فيه عوج ولا أمت كله مقام الجبال وهي أرضها ولا مانع من أن يقال : إن قوله قاعا يكفي عما بعده فما بعده تأكيده .

وقيل : الجملة مستأنفة لتبيين ما قبلها .

وقيل : يدخل الله الجبال في الأرض حتى يستوى أعلاها مع الأرض .

والعوج : الاعوجاج . وفسره بعضهم بالانخفاض والأمت : الارتفاع .

وعن الحسن : قاع البحر ورأس الجبل سواء كأنه يقول : إن الله يدخل الجبال في الأرض ، ويخفض من الأرض ما علا ، أو يعلى ما خفض .

وقيل الأمت : القواء يسير .

وعن ابن عباس : الموج : الوادي ، والأمت : ما يرتفع من الأرض . وإنما  
استعمل الموج بالكسر فيها هو عين وهو الأرض ، وحقه الفتح إشارة إلى نفى  
الإعوجاج على وجه بليغ .

ذلك أنك لو سويت أنت وحذاق الناس أرضاً بالنظر على قدر طاقتكم  
ثم عرضتها على مهندس يعتبرها بالعلم لأراك فيها عوجاً لا يدرك بحاسة البصر ،  
فنفي الله هذا الموج الدقيق ، وذلك الموج لما لم يدرك إلا بقياس الهندسة  
لحق بالمعاني .

وقيل : استعمل الموج بالكسر في الأعيان والمعاني فانظره في سورة الكهف .  
وقوله : « وبسأؤتيك - إلى - أمراً » ينفع للماميل والجراحات والطحال  
وكل ما يطالع على الجسم ، يكعب في إثناء نظيف طاهر بمداد فارسي ويمحي بدهن  
بنفسج ويمسح به على الجسد فإنه يُبرى بإذن الله تعالى .

( يَوْمَئِذٍ ) يوم إذا نسفنا الجبال ( يَتَّبِعُونَ ) أي الذين بعد قيامهم من قبورهم  
ومن حيث كانوا .

( الدَّاعِيَ ) إسماعيل يقف على صخرة بيت المقدس أو بين السما والأرض  
هنالك ويدعو في الصور : أيها المظالم الجالمة ، والجلود المتمزقة ، والحدود المفتحة  
هلموا إلى عرض الرحمن فيجىء للناس من كل جهة إلى جهة الصوت فهذا هو  
اتباع الداعي . ويوم متعاقب يتبعون .

قيل : أو بدل من يوم القيامة بعد بدل وليس بشيء لأنه على الإبدال ينقطع  
عما بعده فلا تفيد الآية أن الاتباع يكون يومئذ ( لَا عِوَجَ لَهُ ) أي لا عوج  
للداعي يأتيه من المدعوين لا يقدر أن يعمل عنه إلى جهة ، ولا يقدر أن يقف في  
المكان الذي يمث منه أو غيره .

وقيل : الهاء للاتباع لا يتقدرون أن لا يتبعوا .  
 وقيل : المراد لا شك في الداعي أو في الاتباع أخبرنا أنه لا بد واقع .  
 ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ) خضعت للمراقبة .  
 وقيل : خضعت أصوات الأصوات ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) صوتاً خفياً .  
 وقيل : خشوع الأصوات بسكونها وعدمها . والهمس : حركة أقدامهم في  
 المشي إلى الحشر كهوت أخفاف الإبل في مشيها .  
 وقال ابن عباس : الهمس : تحريك الشفاه من غير نطق .  
 وروى عنه أنه وطأ الأقدام . وقراءة أبي لا ينطون إلا همسا ظاهرة في  
 أنهم ينطون .

( يَوْمَئِذٍ ) متعلق بشفع ؛ إذ لا صدر للالغافية على المسيح إن لم يكن  
 من باب كان أو إن ( لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ) من مفعول  
 انفع والمستثنى منه محذوف وهو المفعول في الأصل وهو عام ، أي لا تنفع الشفاعة  
 أحداً إلا من أذن له الرحمن في أن يشفع له . وأما غيره فمن رام للشفاعة فيه لم  
 تقبل منه .

فهذا نبينا ﷺ يشفع في أناس فيقال له : يدعوا وغير وان فلا شفاعة لهم وغيره  
 كثير . واللام للتعديدية ومن واقع على المشفوع له . والإذن بمعنى الأمر .  
 ويجوز أن يكون من بدلا من الشفاعة أو منصوبا على الاستثناء منها ويقدر  
 مضاف أي إلا شفاعة من أذن له الرحمن ، فمن واقع على الشافع وأذن بمعنى أمر .  
 أو سمع واللام للتعديدية أو للعامل أي إلا شفاعة من أمر الله لظلمته وكرامته عنده .  
 بأن يشفع أو من سمع الله قوله في الشفاعة اكرامته عنده . ومفعول تنفع محذوف  
 وليس الاستثناء منه أو لا يقدر له مفعول ومتعلق أدن محذوف كما قررته ولا تقدر  
 مفعول له أي إلا شفاعة من سمع قوله في الشفاعة .

( وَرَضِيَ لَهُ ) أى لذلك الذى نفعته الشفاعة ، فاللام للتمدية أو للتعامل .

وأجيز كون اللامين للتعامل مع إيقاع من والماء بين المشفوع له .

ويجوز كون له حالا من قولاً ولو جعلنا القول قول الشافع في الشفاعة ورجعنا

الماء المشفوع له ؛ لأن قول الشافع منفعه المشفوع له .

( قَوْلًا ) فى شأن الشفاعة

وقيل : القول : قول المشفوع له وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله

وما جاء به حق فمن رضى منه هذا القول بأن أتبعه بالعمل الصالح قبلت فيه

الشفاعة .

ويجوز أن يراد قول الشافع وأنه لا تقبل إلا شفاعة من يقول ذلك قولاً

مريضاً مقبولاً منه .

( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ) ما تقدمهم من الأحوال

( وَمَا خَلْفَهُمْ ) ما بعدهم مما هو مستقبل قيل : ما بين أيديهم من أمر الآخرة

وما خلفهم من أمر الدنيا وهو أولى والضمير لمن في المحشر . وقيل : للشافعين

( وَلَا يَظُنُّونَ ) أى لا يحيط بهم . فعلمنا بعد هذا تمييز منقول عن الفاعلية .

( بِهِ ) أى بالله فإنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء فكيف يعلمه أحد أو الضمير

له لكن على حذف مضاف أى بمعلوماته .

وقيل : لما الأولى والثانية لتأويلهما بمفرد أى يحيطون بمجموع ذلك أو بما

ذكر أو الثانية قيل : أو الأولى وذلك أنهم لم يعلموا ذلك كله بسل بعضه وهذا

للبعض لم يعلموا تفصيله .

( عِلْمًا وَعَدَّتِ الْوُجُوهَ ) ذَاتَ وَخَضَّتِ الْوُجُوهَ وجوه الخلق أجمعين وأل

الاستفراق ، أو وجوه المجرمين المذكورين فى قوله : « ونحشر المجرمين » قال



للمهد ؛ فإن ذكرهم يدل على وجوههم بالضمين أو لاستغراق خاص أو نائية عن  
 المضاف إليه أى وجوههم .  
 ويدل له قوله : « وقد خاب من حل ظله » فيمكن بيانا لسبب ما ذات به  
 الوجوه .

واختار لفظة عنت لما تدل له من كونهم عذاة أى أسارى في يد الملك للقيمار .  
 ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في أمر للنساء : من عوان بين أيديكم . بكسر النون جمع عانية  
 كجوارى أى أسيرات . والمعانى : الأسير وأسند الخضوع للوجه والمراد خضوع الذات  
 كلها لظهور أثره فيه .  
 ( لِلْحَيِّ ) دائم الحياة سبحانه ( الْقَيُّوم ) القائم بأمور الخلق كلها ، أو المراد  
 القائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها وتقدم غير ذلك .  
 ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) خصه بالذكر اعظمه

وقيل : المراد بالظلم كباثر الشرك أو للنفاق .  
 وعن ابن عباس : المراد الشرك وسميت الكبيرة مطلقا ظلمًا لأن عاملها ظلم  
 نفسه أو إطلاقا لامم الخاص وهو ظلم للناس على العام وهو مطلق الذنب الكبير  
 وحمل للظلم : الموت بلا توبة منه . والجملة مسة أنفة أو حال .  
 ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ) أى بعض الطاعات وهو ما فرض عليه أو  
 مع النفل .

( وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) مقر تارك للأفعال المحرمة ، والجملة حال من ضمير يعمل  
 بمقابلة أن المشرك والمنافق لا يقبل عملهما .  
 ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) عطف مرادف تأكيد للنفي . وعن ابن  
 عباس : الظلم الزيادة في السيئات ، والهضم : النقص من الحسنات .

وقيل : الظلم : منع الثواب ، والمهضم : المنقص منه . ويصح أن يراد لا يخاف  
جزاء ظلم ولا جزاء هضم ؛ لأنه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه .  
وقرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم ، إما على أن الفاء زائدة ولا نافية ، وإما  
على أن الفاء رابطة ولا نافية ، نهاء عن الخوف في الآخرة إذا كان فيها ، وهذا  
على سبيل التأكيد في الاطمئنان .

( وَكَذَلِكَ ) متعلق بأنزالناه أو نعت لمصدر محذوف ، أو الكاف اسم  
مضاف لذلك نعت لمصدر محذوف ، وكذا في مثله مما تقدم أو يأتي ، أي إنزالنا  
فإننا كذلك الإنزال ، أو مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعود ، أو إنزالنا  
مثل ذلك وقد تبين لك أن المطوف الجملة بعده فقط ، أو مع كذلك ، لا كذلك  
وحده ، كأيوه ، كلام النافى والمطوف عليه جملة يعمل ولكن مراد النافى  
ما ذكرت والله أعلم .

( أَنْزَلْنَاهُ ) أي القرآن ، دل عليه لفظ الإنزال ودل عليه أيضا قوله :  
( قُرْآنًا عَرَبِيًّا ) إذ لو كان الضمير للقرآن لم يقل قرآنًا عربيًّا ؛ لأن غير  
القرآن لا يصح فيه أن يقال : أنزلناه قرآنًا .

وإن قلت : إذا كان الضمير للقرآن فما فائدة قوله قرآنًا ؟  
قلت : الفائدة في وصفه بعرييا ، بوصفه به صرح كونه حالاً مع أنه جامد ومحمول  
للتأويل بمقروء .

وإن قلت : فهلا قيل : أنزلناه عربياً ؟  
قلت : صرح بقرآن أي دل على مرجع الضمير ، فيكون فيه فائدة الإيهام ،  
فالتفسير . وفي التصريح به أيضا بلاغة ليست في عدم ذكره .

والمراد أنزلناه قرآنًا بلسان العرب ليفهموه وجمالناه على طريفة بذكر الوعد

وتكبر به ليرتدع عن المعاصي كما قال : ( وَمَصَرُّنَا فِيهِ ) كررنا ونصاها من اجل  
كذا فله او علم كذا .

( مِنْ الْوَعِيدِ ) شيئا منه .

( اَعْلَمَهُمْ بِتَعْنُونِ ) الشرك وما يوجب سخطنا . ولترجي معصوف الى هودنا  
محمد ﷺ ومن معه ؛ فان في نزول الآيات ما يطعمون به ، في إيمان المشرك ،  
وارتداد العاقل .

( أَوْ يُحْدِثُ أَمْرًا ذِكْرًا ) أي يحدث القرآن لهم عظة عن تقدم يتمظون  
بها ، أو يذكر أواعبارا ، فيبطلهم عن الشرك والمعاصي ، فيقدرون منها إلى  
الإيمان والتقوى .

وأما املهم بقون فالمراد رسوخ التقوى حتى تكون ملكة ولذلك لم  
يكف بأحد الكلامين عن الآخر .

وقالت فرقة : معنى إحداث الذكر إحداث الشرف والثناء عليهم بالإيمان  
به ، والذكر يمنع عن المعاصي فتكون التقوى ملكة . ولما ذكرت أسند التقوى  
إليهم والإحداث للقرآن . والذكر يطلق أيضا على الطاعة والعبادة .  
وقرى : نحدث بالقاء خطابا لسيدنا محمد ﷺ .

وقرى بالنون . وقرى بالياء وإسكان الثاء تخفيفا كما قرى : وما يشرككم  
بإسكان الراء . ( فَمَا آتَى اللَّهُ ) عظم شأنه ذاتا وصفة ونملا وقولا عما يقول  
المشركون من التشبيه أو الإنكار ولا يشبه شيئا ولا يشبه شيء في ملكه .  
( الدَّلِيلُ ) الدافع أمره ونهيهِ الحقيق بأن رُجى وعده ويُنخس وعيده .  
( الخلق ) في ملكوته مستحق الملك لذاته ، أو الخلق : الثابت في ذاته  
وصفاته .

قيل : وصف نفسه بالملك الحق لأن ملكه لا يزول ولا يتغير وأيسر بمستفاد من قبل الغير ، ولا غيره أهل له أو أولى به منه . وفي الآية تعظيم الحق من هو كذلك .

( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) لا تعجل بقراءة القرآن إذا كان يرسل يلائمك إياه حتى يتم تلاوته . وكان يعجل مخافة النسيان وعجابه سبب نزول الآية وذلك اسقطراد بعد ذكر الإنزال فقد تبين لك أن القرآن يطلق على الكل وعلى بعضه واسكن لا يطلق على البعض إلا إن كان البعض له أو أكثر

وقيل : ثلاثا أو أكثر وأما أقل فلا إلا مجازا .  
وقيل : الوحي هذا بمعنى البيان ، إنزال البيان أي لا تعجل بتبليغ القرآن ما كان مجلا من قبل ولا بقراءته حتى يأتيك بيانه .  
ومعنى يُقْضَىٰ بِرُصْلٍ وقرى حتى تنقضي إلهك وحيه ، بالهون ونصب الوحي

وزعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : « مَذْكُورٌكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ » .

وروى أنها نزلت بسبب امرأة جاءت إلى النبي ﷺ تشكو إليه زوجها أنه ضربها فقال له النبي ﷺ : الفصاض . فنزل : « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ » .

( وَقُلْ رَبِّ ) يا رب ( زِدْنِي عِلْمًا ) ونزل : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله » وكان بعد ذلك بقاى ويقول : رب زدنى علما وكان ابن مسعود إذا قرأ ذلك قال : اللهم رب زدنى علما .



وعن بعضهم : المعنى سل ربك زيادة العلم بدل الاستعجال ؛ فإن ما أوحى  
إليك تداله لا محالة .

وفي الآية تواضع بأنه لا علم له إلا ما علمه الله أو بعثه الله وتناء وشكر بأن  
عندي علما لطيفا جاءني منك بفضلك فزدني علما إليه فإن لك في كل شيء علما  
وحكمة وفي ذلك استعجاب جزيل وأدب جميل .

ويروى أن الله سبحانه وتعالى ما أمر رسوله بطلب الزيادة إلا في العلم .  
وقيل : المعنى : رب زدني علما بالقرآن . فكلما نزل عليه شيء منه زاد به  
علما .

( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ ) أى أنهينا وأوصانا إليه أن لا يقرب للشجرة  
ولا يأكل منها يقال : تقدم للسلطان إلى زيد وأوعز إليه وعزم عليه ، وعهد إليه  
إذا أمره وأوصاه والواو الـاستئناف واللام في جواب قسم محذوف وحرف  
التقسيم بقدر غير الواو وذلك لثلاث يجمع واوان . ويجوز تقديرها كما تقول بهد  
كلام : ووالله .

وقيل : الواو عاطفة على صرفنا فيه من الوعيد ، لأن القسم ولو كان لإنشاء  
لكن للفرض جوابه وما هو إلا تأكيد لجوابه ، وجوابه هنا إخبار . وأجاز  
كثير عطف الإنشاء على الإخبار والعكس .

وقيل : اللام للابتداء

وقيل : زائدة للتأكيد ، وهكذا في مثل ذلك .

( مِنْ قَبْلُ ) من قبل هذا الزمان ، أو من قبل هؤلاء الذين نقضوا  
عهدي وتركوا الإيمان بي ، وهم المذكورون بقوله : « لعالمهم يتقون » أو من قبل  
أكل من الشجرة .

(فَنَسِيَ) ترك ما عهدنا إليه من أنه لا يأكل منها، أو لم يمتنع بالعهد  
الاعتماد الصادق حتى زال من حافظه وقال عفاضي: نسي عداوة إبليس والعهد.  
وقيل: لم يقصد المخالفة بل اغتر بحاف إبليس.

وقيل: تناولته من الشجرة حواء ولم يعلم أن ما تناولته من الشجرة المنهى عنها  
فالحديث من ترك التحفظ

وقيل: نسي ترك لأنه توم أن النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم وفي ذلك  
إشارة إلى أن أساس بني آدم للمصيان وعرقهم راسخ في النسيان كأنه قال: قد  
أوعدنا إلام على الأكل منها من قبل أن نوعدهم على المامى والشرك تخالف إلى  
ما نهي عنه بالترك أو بالامتناع.

وقرى نسي بالبناء للمفعول وتشديد الصين أى حله الشيطان على المنه  
أو الترك.

(وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا) من الوجود الذى هو ضد العدم، فله مفعول واحد  
وهو عزما. وأما قوله فمعلق به، أى حال من عزما ولو نسكرة لتقدم له عليه  
واتقدم النفي أو من الوجود الذى بمعنى العلم له مفعول ثان وعزما مفعول أول.  
والمرم: الثبات على الأمر والتصلب فيه ولو كان فى ذلك الوقت إثبات  
وتصاب لم يزل للشيطان وبعد ما جرب الأمور وذاق حلوما ومرها تصلب وثبت  
كما قال عليه السلام: لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه.

وفى رواية: وقد قال سبحانه وتعالى: «وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا» وعليها قال الحديث  
فى تقيصة الخليقة، أى أن الإنسان بالعماء ما بلغ قد يطفى الشيطان نور عقله ويغره  
أولاً المني عزماً على معصية وإكفنه خطأ.

(وَيْذَنُ) مفعول محذوف أى اذكر.

(قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) اخضعوا هل شمل الأمر إبليس فمن زعم أنه  
 ذلك قال بشموله . . .  
 ونسب بعض أصحابنا من قال ذلك للشرك وليس بشئ . . . لأنه تأويل ، ولأنه  
 قد نسب القول بذلك إلى بعض الصحابة ومن قال : ليس منهم قال : شمله تظليها  
 لأنه مع الملائكة على عبادة .

وقيل : لم يشمله إلا بالتقدير ، أي وإذا قلنا للملائكة وإبليس .  
 (لآدَمَ) أي خلقي آدم ، أو السجود لآدم اعتراف بفصله ، أو سجود الله  
 إلى جرة آدم كالكمية .

قيل : المعنى اذكر حاله في ذلك الوقت ليظهر لك أنه نسي ولم يثبت  
 ويضرب .

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) لتحقيق أن الاستثناء معصم ؛ لأن إبليس ولو  
 كان جنياً لكنه قد جل من الملائكة تفاهاً . وهو أبو الجن . وإنما صح أن  
 يقال له : جني ، ومن الجن ؛ لأن أبا القبيلة منهم . وذلك أنهم يعتبرون وأبوم  
 جملة . فيقال للأب : هو من تلك الجملة وينسب إليها وفي استثنائه دم عظيم ، مثل أن  
 يقبل إلى المجلس عظيم فيقوم له من في المجلس من الأشراف ، وكان معهم رجل  
 هنيء ولم يقم له فإنه يعنف تعذيراً شديداً ، ويقال له : قد قام فلان وفلان فمن أنت  
 حتى تذكر عن القيام ونحوه أيضاً تلويح بأنه ليس من أهل الفضل ولو كان مرأمله  
 لمعرف لآدم فضله إنما يعرف أهل الفضل ذوره .

(أَبَى) كره أن يسجد فلم يسجد ، أو امتنع من السجود . ويدل على هذا  
 للمعلق وذلك المقبول قوله : اسجدوا وقوله : فسجدوا إلا إبليس والجملة حال  
 مؤكدة ؛ فإن استثناءه من الساجدين يكفي في أنه لم يسجد .

وقيل : جملة مستألفة ليهان للمانع من السجود وهو الاستكبار وأنه لا يقدر

مفعول ولا متعلق . وأن المعنى أظهر الإباء عن المطاوعة . وأمل وجه دلالة أبي  
على المنع أن الإباء عن المطاوعة غالباً يكون عن تكبر أو أن أبي متضمن معنى  
قوله : أنا خير منه .

( قَتَلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ مَثَدَا عَدُوَّكَ وَإِزْوَاجَكَ ) حواء ، عاداك كما حاداً لك  
رأى من النعمة عليكما فاحذرا مكره ، فإنه لا يألوكما مكرراً إلا بى .  
( فَلَا يَخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ) أى لا تقفلا عن مكره حتى يخرجكما ، أى  
احذرا أن يؤثر فيكما وسوسته بالمصيان فتصيانى فتخرجان منها بسببه . ولكونه  
سبباً لأسد الإخراج إني .

( فَتَشَقَّى ) بالحرث والحصد والزرع والطحن والتخبز وغير ذلك فلا تأكل  
أو تلبس إلا بكدة يمينك وعرق جبينك

روى أنه أهدط إليه من الجنة نور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق  
من جبينه .

و روى أنه جاءه رغيص من الجنة قبل أن ينقطع من حرته ، فدبده للأكل  
فطار إلى الجبل ليمسب في المشى إليه ، وأسعد للشقاء إليه دون زوجه ؛ لأنه إذا  
شقى الرجل أى ضاق أمره في المعيشة ضاق أمر عياله ؛ لأنه التأمم عليهم ، أو  
لأن الشقاء بمعنى التعب في طلب المعيشة إنما هو على الرجل لا على زوجه ويزيد  
هذا ما بعد .

وقد يقال : ليس تشقى خطاباً لآدم لكفه فيه ضمير غيبة لحواء ، أى فتضيق  
المعيشة على زوجك ولى ضمن هذا ضميقها عليه يقال فى الكفاية عن امر الرجل :  
عريت زوجته . وجاءت ، أو خاطب آدم وحده رعاية لفاصلة ؛ لأنه لو قيل فتشقى  
لكان الباء نعين آخر الفاصلة والفاء الفعل أولى .



(إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا) فِي الْجَنَّةِ (وَلَا تَمْرَى وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا) لَا تَطْش

(وَلَا تَضْحَى) لَا تَبْرُزُ لِلشَّمْسِ فَيُؤْذِيكَ حَرُّهَا إِذَا لَا شَمْسَ فِي الْجَنَّةِ فَذَلِكَ نَفْيُ الْإِثْرِ وَهُوَ لِلشَّمْسِ فِي ضَمْنِ نَفْيِ الْإِثْرِ وَهُوَ الْبُرُوزُ لَهَا وَيُطْلَقُ الضَّحَى عَلَى الْإِغْتِرَاقِ بِهَا أَيْضًا.

وَدَكَرَهُ اللَّهُ اسْتِجْمَاعَ مَا تَدُورُ عَلَيْهِ الْكِفَايَةُ وَهُوَ الشَّبَعُ وَاللَّهُ مِنْ وَالرُّمَى وَعَدَمُ شَمْسٍ تُوْذِيهِ فَيَسْتَقِرُّ عَنْهَا وَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ مُسْتَقْنِمًا فِيهَا عَلَى الشَّمْسِ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا دَكَرَهُ إِيَّاهَا لِيُجَبِّدَ مَا يُخْرِجُهُ عَنِ الْجَنَّةِ فَيَزُولُ عَنْهُ ذَلِكَ وَلَا يَجِدُ مَا يَجِدُ بِهِ بَعْدَ خُرُوجِهِ إِلَّا بِسَمِيٍّ.

وَالْمُحَقِّقُ أَنَّ قَوْلَهُ : « وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ » مُطَوَّفٌ عَلَى قَوْلِهِ : « إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ » وَزَعَمَ الْقَاضِي أَنَّهُ مُطَوَّفٌ عَلَى أَنْ لَا تَجُوعَ وَيُرَدُّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَفَتَحَتِ الْهَمْزَةُ : وَقَدْ يَجَابُ بِأَنَّهُ بَنِي تَقْدِيرَهُ عَلَى قِرَاءَةِ غَيْرِ نَافِعٍ وَأَبَى بَكَرٍ بِفَتْحِ هَمْزَةِ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ . فَقَوْلُهُ حَقٌّ .

وَإِنْ قُلْتَ : إِذَا عَطَفَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ عَلَى أَنْ لَا تَجُوعَ فِي قِرَاءَةِ الْفَتْحِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ دُخُولِ إِنْ يَكْسُرُ الْهَمْزَةُ عَلَى أَنْ يَنْتَحِمَهَا وَيُوسِمُهَا مَشْدُودَةً وَذَلِكَ مَمْتَنِعٌ .

وَوَجْهُ الدُّخُولِ أَنَّ الْمُطَوَّفَ عَلَى اسْمٍ إِنْ بِمَنْزِلَةِ مَا هُوَ اسْمُهَا تَالِهَا وَالْوَاوُ قَائِمَةٌ مَقَامُ إِنْ فَكَّ أَنْ الدَّخْلَ عَلَى أَنْتَ لَا تَظْمَأُ هُوَ إِنْ . قُلْتَ : افْتَقَرَ فِي الْقَائِمِ مَا لَمْ يَفْتَقِرْ فِي الْمَتْبُوعِ وَالْوَاوُ لَمْ تَوْضِعْ نَائِبَةً عَنْ أَنْ أَبْدَأُ بِلِ تَنْوِبُ عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْعَوَامِلِ . وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ حَرْقًا مَوْضُوعًا لِقَاءَ كَوْدٍ مِثْلَ إِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ اجْتِمَاعُهَا .

قال الدماميني وشارح الجامع : لا يوقعون إلا إن وصانها بعد إن إلا منصوبة  
بما خبر نحو « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا نظاما فيها » ولا يوقعون  
الحرف المصدرى وصلته بمد لا غير المكررة . انتهى .

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) أى أوصل إليه وسوسة ، وهى كلام خفي  
فسره بقوله : ( قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ ) أى على شجرة من  
أكل منها خلد ولم يمت أصلا ، وإضافتها للخلد إضافة سبب بسبب ، وذلك فى  
زعم الباطل ؛ لأن هذه الشجرة ليست كذلك ، بل هى من أكل منها تعرض  
للخروج من الجنة ، ولأسباب الموت ؛ فإن طعامها كطعام الدنيا ، وطعام الدنيا  
كثيرا ما يكون سببا للموت .

قيل : هذه الشجرة يسر الراكب فيها مائة عام ولا يقطعها . ذكره  
الشيخ هود .

قال الصبيان : قال أهل المعانى : جملة قال : يا آدم الخ عطف ببيان جملة وسوس  
إليه الشيطان .

والأولى أن يقال : إنها مستأنفة للبيان ، فليست بيانا نحويا عند التحقيق .  
( وَمَلَكٌ لَا يُبْتَلَى ) لا يصف ولا يفى وهذا دليل لقراءة الحسن وابن عباس  
إلا أن نكون مملكين .

( نَأْكَلَا ) آدم وزوجه ( مِنْهَا فَبَدَّتْ ) ظهرت ( أَلَهُمَا سَوْآتُهُمَا ) عورتاهما .  
ظهر لكل واحد قبله وقيل الآخر ودبره .

وسمى القبل والدبر سواطين لأن انكشافه يسوء صاحبه وكانا قبل ذلك قد  
لبسا حُلل الجنة .

وقيل : ألبس الله جسديهما الظفر ولما أكلتا منها طار وما بقي إلا ما على الأصابع .

وعن الحسن بن أبي كعب عن رسول الله ﷺ : كان آدم رجلاً طويلاً كأنه نخلة، جعد الرأس ولما وقع به ما وقع بدت عورته، وكان لا يراهاة ل ذلك ، فانطلق هارباً في الجنة فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه من الشعر نقل لها : أرسليني فقالت : لست بمرسلة لك . فناداه ربه : يا آدم أميتي تقري ؟ فقال : يا رب استحييت منك

( وَطَافْنَا ) طفق واسمه ، أى شرطاً ( يَخْصِفَانِ ) خبره أى يلبصن وقرى بضم الياء والتشديد للمبالغة ( عَلَمَيْنِمَا ) الحق جواز عمل للعامل . طلقا في ضمير مسمى واحد إذا عمل في أحدهما بواسطة حرف جر فلا حاجة إلى تقدير يَخْصِفَانِ على جسديهما .

( مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) ورق اللتين يستتران به جسديهما . وعن بعض : كان ورقاً مدوراً كالـكف . وقيل : سواتهما فقط . وعن بعض : يرقعان بعضاً إلى بعض كهيئة اللثوب . ( وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ ) بالأكل من الشجرة . وخص آدم لأنه أكل عقلاً فعصاه أشد . وقيل : لأن المراد عصى باتباعه حواء في إرادة الأكل . ( فَغَوَى ) زل عن المطلوب وخاب ، حيث طلب الخلد بالأكل منها أو عن الأمور به أو عن الرشد حيث اعترى بقول العدو .

ومعصيته هذه قيل : صغيرة وهو ظ هر كلام الشيخ هود - رحمه الله - . وقيل : ليست ذنباً أصلاً وإنما أكل منها نسياناً للنهي فعنفه الله وعاب عليه على عدم تحفظه للوصول له إلى النسيان باسم المعصية والفواية مع أن ما فعل ليس ذنباً

زجرا بلينا الأولاده عن الصغائر والكبائر وهو قول ابن العربي من علماء  
الأندلس .

ومن قال : إن الأنبياء تصدر منهم الكبائر أشرك . ذكره أصحابنا وغيرهم .  
والحق أنه لا يشرك ؛ فإن من العلماء من جوز عليهم الكبائر وهو أكثر  
المتزلة للصغائر دون الكبائر .

وقيل : لا تصدر منهم صغيرة ولا كبيرة وما نسب إليهم . من ذنب فإنه  
ما صدر منهم عن ذنوب أو مكان الأولى خلافه أعظم درجاتهم والله أعلم . وهم  
معصومون من وقت الولادة عندنا وعند الشيعة .

وقال أكثر المتزلة : عصموا من وقت بلوغهم .

وقال أكثر الشافعية وأبو علي المتزلي : عصموا وقت النبوة .

قال الفخر : لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من آحاد الأمة أعظم  
شأنهم ولكانوا أقل حالا من عدول الأمة في ذلك الوقت .

قال : ولو وجب الاقتداء بهم فيه .

قلت : لأنه لا يجب الاقتداء بنبي في كل ما فعل إلا ببوانه وإن كان من رآه  
يفعل يعلم أنه ذنب فلا إشكال .

قال : ولا أقبح من رفع الله درجة وائتمنه وقال : إنه بالوحى انزل أو لا تفعل  
وخالف نيكون داخلا في « أناسرون الناس » الآية وقد قال : « يسارعون في  
الخيرات » على العموم ومن الخيرات ترك الذنب ، ومعهم بالاصطفاء وهو يناق  
للذنب وذكر وجوها غير ذلك قال : وافقوا على أنهم معصومون من اعتقاد  
الكفر ومن الكذب والكتمان في التبليغ وإلا ارتفع الوثوق بهم .



وأجاز بعضهم السهو في ذلك لإمكان الاستمرار عنه وعلى أنهم موصومون من الخطأ في اللفظ عدا . وأجازه بعضهم سهوا انتهى .  
قال ابن قتيبة : يجوز : عصى آدم ولا يجوز : عاص ؛ لأنه يقال لمن اعتاد المعصية . وكان هذا معتمدا أصحابنا في قولهم فيمن فعل كبيرة نفاق من الموحدين أنه يقال : آمن ولا يقال : مؤمن فإن مؤمنا لمن بالغ في الإيمان ، حق إنه يأتي بالفرائض ويحفظ الحرمات .

وبعد ، فالحق عندي جواز تسمية المذنب مؤمنا ؛ متى موحدا ؛ فإن العرب تسمى باسم الفاعل من فعل الفعل ولو مرة ، فمن خاط ولو مرة يقال له : خاط ولا يقال : خياط إلا إن اعتاد إلا إن كان لأصحابنا دليل نقل فسلم .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ تحتاج آدم وموسى ، أى تخصما  
قال موسى : يا آدم أنت أبونا آدم أخرجتنا من الجنة .

فقال له : أنت يا موسى اصطناك الله بكلامه ، وخط لك القورا بيده ، أى يقدرته ، أو بأسره للملائكة ، أتومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلق بأربعين سنة ، أى أظهره الله في الوجود ، مثل أن يكعبه في اللوح ، أو يظهره للملائكة ، أو خلق مقدماته ، وإلا فعلم الله لا أول له .

قال ﷺ : فحج آدم موسى ، أى غلبه . وكان موسى لاه على مجرد ذلك ، فكان آدم غالبا ، ولو لاه على اهتمامه وإرادته وكسبه لم يكن غالبا ، لأن العبد يلام على ذلك .

وفسر بعضهم غوى بيشم أى بشم ونخم من كثرة الأكل .  
قال جار الله : وهو تفسير خبيث ، وأصله على هذا غوى بكسر الواو يده

يام مفتوحة كما قرأه بعضهم كذلك ، فقلت للكسرة فتحة والياء ألفا على لغة  
طبي . يقولون في بقي ورضي ونحوها بوزن علم : بقي ورضي ، بوزن مبي .  
( ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ) قَرَبَهُ واصطفاه بالحمل على التوبة باختياره ، وأصله الجمع  
من جي كذا فاجتبه أي جمع إلى نجات جمع وضممته إلى نفسه .

( فَتَابَ عَلَيْهِ ) قَبِلَ توبته ( وَهَدَى ) أَرشده إلى النجات على التوبة إلى

الموت .

( قَالَ ) الله : ( اهْبِطَا ) يا آدم وحواء ( مِنْهَا ) من الجنة ( جَمِيعًا ) حال  
( مَضُكُم ) مبتدأ ( لِبَعْضٍ ) حال من عدو ، أو لامة للفقوبة راجعة لعدو ،  
بعضكم معاد لبعض .

( عَدُوٌّ ) خبر ، والجملة حال ثانية مقدرة ، أو حال من ضمير جميعا مقدرة .  
وإنما خاطبهما بصيغة خطاب الجماعة لأنهما أصل الذرية ، بل كأنه قيل : اهبطا  
يا أشقاءكما عليهما من ذريتهما .

ويدل ذلك لفظ العداوة ؛ فإنها واقعة بين أولادها لا بينهما اللهم إلا الأمر  
اليسر مما لا بد أن يقع بين المتعاشرين ، أو الخطاب بصيغة الجمع لها وإبليس ،  
أي اهبطا منها كما قد هبط إبليس وأتما ، وهو مقادون ، أو الأصل : اهبطا  
أنما وإبليس بقاء على أنهم هبطوا معا وهو ضعيف ؛ فإنه - لعله الله - بعد الإباء  
لم يدخلها ، أو معنى قوله : قال : اهبطا أنما وإبليس ، أمرهم بالهبوط ، فحتمل  
ما لو هبطا في زمان وهبط في آخر ، أو ضمير الاثنين لآدم وإبليس ، وأما حواء  
فهبطها تابع لهبوط آدم ، وضمير الجمع للثلاثة ، أو لآدم وإبليس باعتبار أنهما  
أصلان لذريتهما ، والعداوة بين آدم وحواء وذريتهما ، وبين إبليس وذريته ،  
وبما بين ذرية آدم ، وفيما بين ذرية إبليس ، بأمر الدين وبأمر الدنيا .

وبدل على أن الخطاب لآدم وحواء قوله : ( إِنَّمَا بَأْتَيْنَاكُمْ مِنِّي هُدًى )  
الح كذا قيل .

وفيه بحث بأن الهدى يأتي أولادها وأولاد إبليس والاتباع والإعراض  
يكوون من الكل .

والأصل : لمن يأتكم ، زبدت ما ، وأبدات نون إن الشرطية ميم ، وأدخت  
في هم ما ، وأكد الفعل بالدون ، فثبتت اللوازم لهذا الفعل حينئذ . والهدى :  
الكتاب والرسول .

( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ) وقرا أبو حاتم الجعدي وابن إسحاق وعيسى بن  
عمر هُدًى بقلب الألف ياء وإدغام في الواو ، وهو لغة هذيل . وحكماها هيس  
ابن هر عن قريش ، وحكماها الواحدى في البسيط عن طي . ورويت عن النبي  
ﷺ قال الشيخ خالد عن الشاطبي .

( فَلَا يَضِلُّ ) في الدنيا عن الدين .

( وَلَا يَشْقَى ) في الآخرة .

وقيل : الخطاب في يأتينكم لأمة محمد ﷺ خاصة . والهدى : القرآن .

قال ابن عباس : من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة .

ورواه يوم القيامة سوء الحساب لقوله تعالى : « فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَى » فيحتمل استدلاله بالآية هذا القول الأخير ، ويحتمل الأول ، واستدل بها

على ذلك المزمع .

( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ) بأن لم يؤمن به .

( فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ) مصدر بمعنى المصيق ، ولذا وصف به مؤث وهو

مذكر ، وذلك مهالفة ، أو يقدر مضاف ، أو يؤول بالوصف .

وقرى ضنكك بالفت للقائيت وصفا كسرى  
وهذه الميشة في الدنيا .

وقيل في الآخرة .  
وقيل : في البرزخ . ويحتمل الجميع .

ووجه الأول أن الكافر ولو دس ماله لكن همه الدنيا وازداده اوى  
الخلف ، لا خوف له من انتقامها ، فهو في ضيق من ذلك ، بخلاف المؤمن ،  
فإنه في سهرة لتوكله مع أن الرزق قد بضيق بشؤم الكفر . وكذا بسلط الله  
الذل به نحو « ضربت عليهم الذلة والمسكنة » الخ « ولو أنهم أقاموا التوراة »  
الخ « ولو أن أهل الكتاب آمنوا » الخ « استغفروا ربكم » الخ « وأن  
لو استقاموا » الخ

وقال الحسن : الميشة الضنك : للضرب والزقوم والغسلين في النار .  
وقال ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري : إنه عذاب النير ، يضطه  
القبر حتى تختلف أضلاعه ، فلا يزال يعذب حتى يبعث .  
قال عليه السلام : الميشة الضنك : عذاب الكافر في النير بسلط عليه تسعة  
وتسعون تضيئا ، لكل تضيئ تسعة رموس تلمسه وتخدشه .

وروى : إنه إذا وضع المؤمن في قبره وانصرف عنه الناس ، أتاه الملك من  
اليمن فيقول له الزكاة : لا تفرغه من قبلى ، وجاءه من رأسه فيقول القرآن  
الذى يقرؤه كذلك ، ثم من رجليه ، فتقول الصلاة كذلك ، فيوقظه يمين فيقول :  
من ربك ؟

فيقول : الله لا شريك له  
ومن نبيك ؟



فيقول : محمد ﷺ

وما ديدك ؟

فيقول : الإسلام

فيقول الملاك : وعلى ذلك أجهت ، وعليه مُت

فيقول : نعم

فيقول : وعلى ذلك تبمّث ؟

فيقول : نعم

فيقول : صدقت .

يُفتتح جُنب قبره إلى منزله في الجنة ، فيبشر وجهه ويقول له : نعم نوم

وأما الكافر فلا يجادل عنه شيء ، ويمتفه ويقول له : من ربك ؟

فيقول : أنت .

ومن نبيك ؟

فيقول : أنت .

وما ديدك ؟

فيقول : أنت ! لو كان لك إله أعبده لآلهدت له .

فيُفتح له جُنب قبره إلى منزله في النار ، ويضرب ضربة يزول بها كل عظم

عن موضعه ، يسمع صياحه غير الثقلين ، ثم يذف في مقلاة ، ينفخ له نافعون ،

لا يميل إلى هذا إلا ردّه هذا ، حتى ينفخ في الصور ، فتخمد عنه النار إلى

أن يُبمّث .

وقيل : المعيشة الضئيلة : الحرام .

وعن ابن عباس : الشقاء . وعنه : المال الحرام ، وما أنفق في محرم .

وقيل : سلب النفاة حتى لا يشبع .

وعن بعض الصوفية : لا يمرض أحد من ذكر ربه إلا أظلم علمه وقته .

( وَنَحْشُرُهُ ) وقرئ بسكون الهاء إجراءً للوصول بحرفي الوقف .

وقرئ بالجزم عطفاً على محل « فإن له معيشة ضئفاً » فإنه في محل جزم جواب

من . وأما جواب إن فمجموع من وشرطها وجوابها .

( يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) قال ابن عباس : أعمى للبصر .

وقيل : معناه لا حجة له .

وقيل : أعمى القلب .

ويؤيد الأول قوله : ( قَالَ رَبِّ ) يارب ( لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ

بَصِيرًا ) في الدنيا ، وعند المبعث ؟ فإن قلبه قد عمى أيضاً في الدنيا ، ولا حجة له

فيها على كفره .

وقد يقال : إنه كان في الدنيا بجميع الأشياء ، وإذا حشر أزالها الله عن قلبه ،

مع أنها لو حضرتها لم تنفعه فيقول : يا رب قد كان لي شيء أتمسك به فزال عني ،

أو قوله ذلك كناية عن الضمحلل ما قد كان في الدنيا يحسبه حجة وبصيرة .

ولما ظهر له أنه لا ينفع قال : يارب هذه منك نعمة لم ألم تحشرني ههنا كما

كنت في الدنيا ؟

( قَالَ كَذَلِكَ ) خبر المحذوف ، أي الأمر كذلك ، أي أنت أهل لأن

تفعل كمثل ذلك . وبين سبب تأمله لذلك بقوله :

( أَنْتَ كَذَلِكَ ) واضحة نيرة ( فَتَسِيئُهَا ) تركتها غير ناظر فيها ، أو المعنى

فعلت فعلاً مثل ذلك الذي فعلنا بك ، من حشرك أعمى .

وفسر ما فعل قوله : « أُنْمِك آيَاتِنَا » فتسميتها ، فالكاف اسمٌ مفعولٌ محذوف  
أو حذف المنعوت ، أو حرف ، أى فعلاً ثابتاً كذلك .

( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْذَى ) تُتْرَكُ فِي الْعَمَى وَالْمَذَابِ كَمَا تَرَكْتَ آيَاتِنَا .

واستدل بعض العلماء بالآية على أن من حفظ القرآن ونسوه فهو كافر كافر  
نفاق ، يحشر أعمى .

وقيل : لا يكفر ما دام يفرزه من الشعر . وهو قول غير واضح ، فإنه مقمّر  
عن الشعر ولو نسوه أشد نسيان .

والأولى أن يقال : ما دام يفرزه من غمزه ، أو المراد ما دام يفرز منه ما حل  
وزن الشعر من الشعر .

وقيل : لا يكفر بنسيان بل يترك للعمل به .

وإن قلت : كيف يصح الاستدلال والنسيان بمعنى الترك في الآية والكلام  
على زوال القرآن من الحافظة ؟

قلت : نعم لكن إذا ترك درسه زال حفظه .

وقد فسره بعضهم الإعراض عن الذكر بترك درسه ، والنسيان بزوال  
الحفظ عنه .

وأمال حمزة والكسائي أعمى في الموضعين ؛ لأن الفهم عن ياء .

وأمال أبو عمرو الأول قط ؛ لأنه رأس آية ؛ ومحل وقف ، فهو جدير بما تنفهر .

( وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ) فِي الْمَعَاصِي . ( وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ )

بل كذب بها

وقيل : أسرف : أشرك . والأول أولى ؛ لأن الشرك يفوته عبارة : « ولم

يؤمن » الخ . والثاني أولى من التأكيده .

( وَلَمَذَابُ الْآخِرَةِ ) وهو الحشر على العمى

( أَشَدُّ ) من المعيشة الضنك في الدنيا

( وَأُنْتَى ) أشد بقاء ؛ فإنه لا يزول ، أو عذاب الآخرة ، وهو التعذيب

بالنار ، أشد وأبقى من المعيشة الضنك ومن حشره أعمى ، أو منهما ومن العذاب

عذاب القبر والإعما ، أو عذاب الآخرة ، وهو جميع ما مد الموت أشد وأبقى من

المعيشة الضنك

قول : ولعله إذا دخل النار زال عماه يرى محله وحاله .

وقيل : أو عذاب الآخرة أشد من ترك الإيمان والآلات .

( أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ) ألم يبين الله لكفار مكة أو الرسول ﷺ القرآن أو

الإهلاك المدلول عليه بقوله :

( كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ ) وكم لكثير مفعول لأهلكنا ، وقيلهم

معلق بأهلكنا ، أى قبل وجودهم ، ومن القرون متعلق به أيضا ، ومن الابتداء .

فانهم

وَمَنْ أَجَازَ نَعْتَ كَمْ الْخَبْرِيَّةُ أَجَازَ كَوْنُ « مِنَ الْقُرُونِ » نَعْتًا لَكُمْ . فمن

للتبويض

ويجوز أن تكون للبيان . وعليه فالعهد ، والجملة مفعول ليهود معلقا بكم

الخبيرية ؛ لأنها من المملقات .

ومعنى التعليق تسويغ كون المفعول جملة وذلك أن يهذى معنى الإخبار

والنبيين . والإخبار يجوز تعليقه .

وأصل يهذى يرصّل ويبلغ والتوصيل والتبليغ فى الكلام إخبار .

و يجوز تفسيره بهذا الأصل .



ويحوز كون الجملة فاعلا ليهب بمعنى يقهين ، فهو لازم . والإسناد إنما هو  
لمضمون الجملة ، وهو الإهلاك . وقيل : بالجملة .

ويدل على كون الفاعل غير الجملة قراءة بعضهم نهبا بالهون  
( يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ ) إذا سافروا . وذلك أن قريشا يسافرون إلى  
الشام ، ويمرون بمساكن عاد وعمود وقرى قوم لوط ، ويشاهدون آثارهم ،  
أهلكهم الله بسبب تكذيب الرسل .

( إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ) المقول الناهية عن الغفلة والمصيان .  
( وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ ) لولا عِدَّةٌ سَبَقَتْ ( مِنْ رَبِّكَ ) بتأخير عذاب  
هذه الأمة إلى الآخرة .

( آسَآَنَ ) الإهلاك المعلوم من السياق المماثل لإهلاك القرون .  
( إِزَآَمَا ) إما مصدر لازم يفتح الزاي ، أخبر به عن الإهلاك مباينة ، أو  
يقدر بذي لازم ، أو بملازم .

وإما فعال مني لازم بمعنى اسم الآلة كزَامَ وملزَمَ ، جعل المذاب والإهلاك  
لفرط الازوم كأنهما آلة .

وأجاز أبو البقاء كونه جمع لازم . والمراد على كل حال الازوم في الدنيا  
باستئصال وعجلة . وسبقت : نعت كلمة لا خبر على الصحيح ، والخبر محذوف  
وجوبا . وفي ذلك بحث في النحو .

( وَأَجَلٌ ) معطوف على كلمة أو على ضمير سبقت لفواصل .

( مُّسَمًّى ) والأجل المسعى : يوم القيامة .

وقيل : موت كل واحد منهم .

وقيل : يوم يدر .

فإن قلت : إذا كان المطف على كلمة أو على ضمير سبقت فهلا قيل : ولولا كلمة سبقت وأجل مسمى ، بالمطف على كلمة ، أو ولولا كلمة سبقت هي وأجل ، بالمطف على المستتر .

قلت : آخر عن الإزام ليشير به أن الأجل المسمى مانع عن الإزام كما نعت منه الكلمة . وهذا باعتبار كون الكلمة مجرد التأخير بقطع النظر عن غاية التأخير فافهم .

يجوز المطف على ضمير كان ، وأفرد الخبر لأنه مصدر .  
( قاصِبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ) من أنك كاذب ، أو كاهن ، أو ساحر ، أو شاعر ، أو مجنون ، أو يملأه بشر . زعموا أنها منسوخة بآية السيف ، ولعله الصبر للأمور به في كل بلية فلا نسخ .

( وَسَبِّحْ ) نَزَّهَ رَبُّكَ عَنِ الْفَاقِصِ ، أو صَلَّ الْحَسَّ .  
( مَحَمَّدٌ ) متعلق بمحذوف حال ، والباء المصاحبة ؛ أي ثابتا مع الحمد له على هدايته ، ومعتبرا بأنه المولى المنعم .

( رَبِّكَ قَبِيلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) قول بمعنى صلاة الفجر .  
( وَقَبِيلَ غُرُوبِهَا ) يعني للظهور والمغرب لأنهما في النصف الأخير ، أو العصر وحده ، وأما للظهور فن آية أخرى ، مثل : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » .  
( وَمِنْ آثَاءِ الْآيِلِ مَسْبُوحٌ ) من ساعاته جمع إني كَرَحِي ، أو آثاء كسما ، أو إني كمتي ، أو إني بكسر فاسكان ، أو إني كذلك ، متعلق بقوله : فسبح . ومن بمعنى في ، أي في بعض ساعاته . و أراد : المغرب والمشاء ، أو من القبحوض ، متعلقة بمحذوف نعت لجرور محذوف ، متعلق بسبح ، أي في زمان ثابت من آثاء الليل ، والفاء زائدة .

( وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ) معطوف على مجموع الجوار والمجرور ، وهو ظرف ، أو معطوف على محل أنا ، وهو المصعب . وإنما عطف على المحل لجواز ظهوره في النصيب ، إذ لو أسقطت « مِنْ » لانتصب أطراف .

قيل : المراد للصباح والمغرب ، كمر للاختصاص . والجمع يعني التثنية ولا لبس ، أو باعتبار أن النهار للجنس .

وبدل الأول : « أقم الصلاة طرفي النهار » أو المراد صلاة الظهر ؛ فإنها بعد للطرف الأول من النهار وبداية الطرف الأخير ، فذلك طرفان ، عبر عنهما بالجمع لما مر قبل ، أو المراد التطوع في أجزاء النهار .

والأطراف : الأجزاء . قاله الحسن ، أو أطراف النهار : ما بعد طلوع الشمس ، وما قبل أن نصلي العصر .

وقيل : أطراف النهار : الظهر والمغرب .

قال ابن العربي : الصحيح أن المغرب من طرف الليل

وقيل : المراد بالآية النفل والسنة . ويرد عليه « قبل غروبها » فإنه لا نفل ولا سنة قبله ، إلا إن أريد قبله . وقيل : العصر وهو بعيد .

ويحتمل أن المراد بها : قل سبعان الله وبحمده .

وقدم الليل لسببه خلفا ، ولأن العبادة فيه أفضل لصعوبتها ، ولجمع القلب .

( أَمَّا تَرْضَى ) ترجية عائدة لسبح ، أى سبح في تلك الأوقات ، طمعا

أن تنال عند الله ما ترضى به ، عبر بالمسبب وهو الرضى عن السبب وهو القيل .

وقيل : لعلك ترضى بما تعطى من الثواب على عملك .

وقرأ الكسائي عن عاصم ، وأبو بكر بالبناء المفعول ، أى يرصيك ذلك بما

تحب ، كاشفاعة ، من الإرضاء .

وقيل : يرضاك ربك ، أى يقبلك من الرضى .

( وَلَا تَمُدَّنْ عَٰنَٰكَ ) نظر عينيك ( إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ) استحسننا له .  
وتعديا أن يكون لك مثله ، أو لا تنظرن إليه بالمد مطلقا ؛ لأن النظر إليه يورث  
الاغتراب به .

ولذلك كره بعض العلماء النظر إلى الأملاك الحسنة ؛ لئلا يشغل بها القلب  
فيهدى إلى كسب منالها .

( أَزْوَاجًا ) أصنافا من المشركين ( مِنْهُمْ ) أزواجا مفعول متمنا ، ومنهم  
نعت أزواجا .

ويحوز أن يكون أزواجا حالا من هاء به ، فإنه متعهم بأصناف من الخيرات  
ومنهم ممن عن مفعول متمنا ، أى متمنا بعضا ثابتا منهم ، أو متمنا بعضهم .  
( زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) مفعول محذوف دل عليه متمنا ، أى أعطيتهم  
زهرة الحياة الدنيا ، أو أعنى الزهرة ، أو مفعول ثان لمعنا ، متضمنا معنى أعطيتنا ،  
أو بدل من محل الجار والمحرور ، أو بدل من أزواجا ، على تقدير مضاف ، أى  
ذوى زهرة ، أو بدون تقديره مهالفة ، جعلوا نفس الزهرة مهالفة ، أو على أن  
أزواجا وانع على ما وقع به التمتع ، أو مفعول لأدُم محذوف .

مسألة : قال ابن هشام :

« إنما تنفى هذه الحياة الدنيا . ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا  
منهم زهرة الحياة الدنيا » علام انتصب هذه الحياة ، وزهرة الحياة ؟  
الجواب : أما هذه الحياة فهذه ظرف زمان على معنى فى ، والحياة صفة ، أو  
عطف بيان . وأما زهرة الحياة الدنيا فبدل من الهاء فى به ، على اللوضع ، أو  
مفعول لاضر دل عليه متمنا ؛ لأنه بمنزلة جملة ، فكأنه قيل : جعلنا لهم زهرة  
الحياة الدنيا ، ولا يكون حالا لتعريفه .



ومن قال في مررت به المسكين : إنه حل ، تجاوزت الحاشية عنده هنا .  
 وزعم بعضهم أن الزهرة هنا في موضع المصدر ، أي زينة الحياة الدنيا ،  
 فيكون من باب تفعيل الله . *والله أعلم*  
 ولكي هنا قول غريب : زعم أنه أحسن من غيره ، وهو أن يكون الأصل  
 زهرة بالتقوين ، ولكنه حذف لانتفاء الساكنين ، وحذف الحية على البدل  
 من ما ، أي ولا تمدن عينيك إلى الحياة الدنيا حل كونها زهرة . انتهى .  
 ولا يكون بدلا من ما ؛ لأن لفظةهم متعاقبة ، فهو داخل في الصلة ،  
 ولا يبدل من الموصول قبل صلته . انتهى كلام ابن هشام في المسائل السفوية .  
 وقال في المغي : في الأبور التي حرجوا منها إلى الأمر البعيد الثماني عشر قول  
 مكي وغيره في قوله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة  
 الحياة الدنيا » إن زهرة حل من الهاء ، أو من ما ، وإن التقوين حذف لساكنين  
 مثل قوله : ولا ذا كرا لله إلا قليلا . وإن جر الحياة الدنيا على أنه بدل من ما ،  
 والصواب أن زهرة مفعول بتقدير جعلنا لهم ، أو آتيناهم . ودليل ذلك ذكر  
 التمتع ، أو بتقدير أدم ؛ لأن التام يقتضيه أو بتقدير أدنى به فالما أو المضير ،  
 أو بدل من أزواجا ، إما بتقدير ذوى زهرة ، أو أنهم جعلوا نفس الزهرة  
 مجازاً للعبادة .

وقول لأقراء : هو تمييز لما أولاهما . وهذا على مذهب الكوفيين في  
 تعريف التمييز .

وقيل : بدل مما ورد بأن لفظةهم من صلة ما ، فيلزم انفصل بين أفعال الصلة  
 بأجنبي ، وبأن الموصول لا يتبع قبل كمال صلته ، وبأنه لا يقال : مررت بزبد  
 أخاك على البدل ، لأن الدامل في المبدل منه لا يتوجه إليه بنفسه .

وقيل : من الماء وفيه ما ذكر وزادة الإبدال من المائد وبعضهم يخطئه بناء  
على أن المبدل منه في نية الطرح ، فيبقى الموصول بلا عائد في التقدير . قال :  
ولو لزم إعطاء منوى الطرح حكم المطروح لزم إعطاء منوى التأخير حكم  
المؤخر فمنع ضرب زيدا علامة . ويرد ذلك : « وإذا ابتلى إبراهيم ربه  
بكلت » والإجماع . انتهى .

والزهرة : الزينة والبهجة .

وقرأ يعقوب بفتح الماء لغة كالجهرة . والجهرة بإسكان الماء ونقصها ، أو  
جمع زادر ، ككامل وكلة ، وصف لهم بأهم زاهرو الدنيا ؛ لتعظيمهم ، بخلاف  
ما عليه المؤمنون للزهاد ، من شحوب الألوان والتكشف في الأياب .  
قال جار الله : لما كان النظر إلى الزخارف كالتركوز في الطباع ، وإن من  
أبصر منها شيئا أحب أن يمسد إليه نظره ، ويملا منه عينيه قيل « ولا تمدن  
عينيك » .

ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن آنية الظلمة  
وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك ؛ لأهم إنما اتخذوا هذه الأشياء  
لعمى النظارة . قاله ظر إليه محصل افرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها .

عن عهد الله بن بسيط عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ : نزل برسول  
الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال : قل له : إن رسول الله ﷺ قال :  
بع لي كذا وكذا من الدقيق ، أو أسلفني إلى رجب . فأتيته فقلت له . فقال : والله  
لا أبيع لك ، ولا أسلفه إلا برهن . فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته . فقال : والله  
أئن باع لي ، أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء ، وأمين في الأرض . اذهب  
إليه بدزعي وهو من حديد فتزلت الآية .

وقالوا : مَنْ كَتَمَهَا إِلَى الْقَمُورِ وَعَلَّفَهَا عَلَيْهِ تَزُوجَ إِنْ كَانَ طَارِبًا ، وَحَفِظَ  
 إِنْ كَانَ يَنْسَى ، وَشَفَى إِنْ كَانَ مَرِيضًا ، وَاسْتَعْفَى إِنْ كَانَ فَتِيرًا  
 ( لِنَفَقَتِهِمْ فِيهِ ) لِمَلُومٍ فِيهِ بِأَنْ يَطْفُوا ، أَوْ لِمَذْهَبٍ فِي الْآخِرَةِ بِسَبِيهِ .  
 ( وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ ) فِي الْجَنَّةِ مِمَّا مَعْنَمَ بِهِ فِي الدُّنْيَا .  
 ( وَأَبْقَى ) أَشَدَّ بَقَاءً ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ .

وعن أبي بن كعب : مَنْ لَمْ يَتَمَرَّ بِعَرَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ حَسْرَتًا . وَمَنْ  
 يُتَذَبَّعَ بِصَمَرِهِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ طَالَ حَزَنُهُ ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ أَمَّةَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ  
 وَمَشْرِبَهُ وَمَلْبَسَهُ فَقَدْ قَلَّ عَمَلُهُ ، وَحَضَرَ عَذَابُهُ .

وعنه عليه السلام : خَصْلَتَانِ مِنْ كَانُنَا مِيهَ كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا شَاكِرًا ، وَمَنْ لَمْ  
 تَسْكُرْنَا فِيهِ لَمْ يَكُتَبْ صَابِرًا وَلَا شَاكِرًا : مَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ مَوْقَعَهُ فِي الدُّنْيَا  
 وَمَنْ دُونَهُ فِي الدُّنْيَا ، فَاقْدَى بِهِمَا كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا شَاكِرًا ، وَمَنْ ظَرَ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ  
 فِي الدُّنْيَا ، وَمَنْ دُونَهُ فِي الدُّنْيَا ، فَاقْدَى بِهِمَا لَمْ يَكُتَبْ صَابِرًا وَلَا شَاكِرًا  
 وعن الحسن عنه عليه السلام : خَيْرُ الرِّقِّ الْكَفَافُ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِيقَ آلِ مُحَمَّدٍ  
 كَفَافًا .

وقيل : رَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى  
 وقيل : رِيقُ رَبِّكَ : الْمَرَادُ : مَا رَزَقَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالنُّهْوَةِ .  
 ( وَأُمُرٌ ) الْوَاوُ الْإِسْقَافُ ، أَوْ لَامُطٌ عَلَى أَحَدِ الْإِشَارَاتِ قَبْلَ ، أَعْنَى  
 الْمَطْلَبِ . وَالْأَلْفُ هِيَ أَلِفُ يَأْمُرُ وَهِيَ الْهَمْزَةُ فِي الْمَاضِي .  
 وَالْأَصْلُ : وَأَمَرَ بِهَمْزَةٍ وَصَلِ مَضْمُومٌ فَوَاوُ سَاكِنٌ . أَصْلُهُ هَمْرَةٌ سَاكِنَةٌ ،  
 وَهِيَ الْمَنْقُوحَةُ فِي الْمَاضِي ، حُذِفَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ ، لِتَقْدَمَ مَتَحَرِّكٌ عَلَيْهَا ، فَغَابَتْ الْوَاوُ  
 أَلْفًا . فَانْظُرْ شَرْحِي عَلَى اللَّامِيَةِ .

(أَمْثَلُكَ) مَنْ فِي دَارِكَ مِنْهُ عَيْدُ الْهَيْدِ : رَجْعُهُ إِلَى أَوَّلِ أَمْرِهِ : أَمْثَلُكَ

وقيل : أَمْثَلُكَ مَنْ كَانَ فِي رَجْعِهِ عَيْدُ الْهَيْدِ : رَجْعُهُ إِلَى أَوَّلِ أَمْرِهِ

وقيل : المراد من تيممه من أَمْثَلُكَ : مَنْ رَجَعَ إِلَى أَوَّلِ أَمْرِهِ

(بِالصَّلَاةِ) أَسْرَبَانُ بِأَسْرَمٍ بِهَا بَعْدَ مَا أَمَرُوا بِهِ ، اسْتِعَانَةً عَلَى خِصَاصَتِهِمْ ،

وَأَمَّا بِهِمْ فَمَرُوا بِأَسْرَمِ الْمَعَاشِ ، وَلَا يَنْتَقِرُوا لِأَبْرَابِ الثَّرْوَةِ : دَائِمَةً فِي رَجْعِهِمْ

(وَاصْطَابِرٍ) صَبْرٌ صَبْرًا عَظِيمًا عَلَيْهَا ، أَوْ إِقْبَالٌ لِمَوَاقِفِ الْمَجْرَدِ : تَوَاضَعٌ

وقيل : دَائِمٌ (غَلِيظًا) فَإِنَّهَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . وَالْوَعْظُ بِلِسَانِ

الْفِعْلِ أَبْنَعُ مِنْهُ بِلِسَانِ الْقَوْلِ .

(لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا) لَا تَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ نَفْسَكَ وَلَا أَهْلَكَ .

وقيل : لَا تَسْأَلُكَ عَلَى لِسَانِ اعْطِينَا مِنْ النِّهْيَةِ رِزْقًا

(تَحْنُ نَزْرُوكَ) تَقْفِرُ لِلْعِبَادَةِ ؛ فَإِنْ مِنْ كَانَ فِي عَمَلِ اللَّهِ كَفَى اللَّهُ لَهُ عَمَلُهُ .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا رَأَى شَيْئًا عِنْدَ السَّلَاطِينِ ، أَوْ سَمِعَ بِهِ ، بَادَرَ

إِلَى مَنْزِلِهِ وَدَخَلَهُ ، وَهُوَ يَرَأَى : « وَلَا تَمُدَّنَّ - إِلَى - ابْنِي » ثُمَّ يَنَادِي : الصَّلَاةُ

لِلصَّلَاةِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَيُصَلِّي

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْقُظُ أَهْلَ دَارِهِ اصَّلَاةَ اللَّيْلِ

وَيُصَلِّي ، وَبِمِثْلِ بِلَايَةِ : مَنْ كَانَ فِي رَجْعِهِ عَيْدُ الْهَيْدِ : رَجْعُهُ إِلَى أَوَّلِ أَمْرِهِ

وَكَذَا بِكَرْبَنَ عَبْدَ اللَّهِ الْكَزَنِي كَانَ إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خِصَاصَةٌ قَالَ : اقْضُوا

فَصَلُّوا . بِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ نِيْمَةً وَآيَةً .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ ضَرْبٌ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَتَلَا آيَةَ . رَوَاهُ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ .

زَالِ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ : أَسْمُ أَنْ هَذِهِ آيَةُ تَلَتْ أَهْلُ الْفَهْمِ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ



كيف يطلبون أزاقهم . إذا توقفت عليهم أسباب المعيشة أكثروا من خدمة الله ، وقرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق .

قال : وسمعت شيخنا أبا العباس المرمي يقول : والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق . واذكر - رحمك الله - هنا : « والله العزة والرسوخ » نفى للز الذي أعز الله به المؤمن ، فم همة إلى مولاه وثقة به دون من سواه ، واستفتح من الله بعد أن كساك حلة الإيمان ، وزنتك بزيفة العرفان ، أن تستقر على عايمك للفتلة والنسيان ، حتى تميل إلى الإخوان ، وتطلب من غيره وجود إحسان . ثم قال : رفع الهمة عن الخلق هو ميزان ذوى الكمال ، ومسوار الرجال . وكما توزن الذوات توزن الأحوال والصفات .

وعن ابن عمر : أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله حدثني حديثاً موجزاً يقال له النبي ﷺ : صل صلاة مودع كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك . وأنبأس مما في أبدي الناس تمش غنيا . وإياك وما تذر منه . روى مثله أبو أيوب .

( وَالْمَاقِبَةُ ) الجنة ( لِلْمُتَّقِينَ ) لذوى التقوى .

( وَقَالُوا ) أى المشركون : ( أَوَلَا ) أى هَلَا ( بَأْتِنَا ) محمد .

( بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ) يدل على صدقه فى ادعاء النبوة ، أو بآية غير ما جاء به .

لم يعتقدوا بما جاء به نبيهم وعنادا . وأجابهم بقوله :

( أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ) التوراة والإنجيل وغيرها ؟

بلى . جاءهم القرآن مشتملا على زبدة ما فى الكتب ، من المقائد ، والأحكام للكلية

معجزا السكم على يد أمي لم ير للكتب ولم يعلمها . فالقرآن آية بيده معجزة برهان

على نبوته وعلى صحة ما فى الكتب فهو دليل لها وهى محتاجة إليه .

وقرأ غير نافع وحفص وأبى عمرو بأنهم بالمتحتمية؛ لأن الفاعل وهو بينة مؤنث مجازاً ظاهر ولأن البينة برهان .

وقرى بإسكان الحاء والقرآن أم المعجزات لأنه علم للنبى ﷺ والمعجزة اختصاص مدعى النبوة بذوع لم أو عمل على وجه خارق للمادة . والعلم أصل للعمل وأبقى منه أثرا .

وقيل : المراد بالبينة للإشارة في السكيب بنبوته ﷺ .  
( وَلَوْ أَنَا أَهْلَكُنَا ثُمَّ ) أى ولو ثبت إهلاكنا إياهم . وفيه أوجه ذكرتها في غير هذا المحل .

( بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ) من قبل محمد ﷺ أو من قبل البينة وعليه فالعذاب إنما يدل البينة بالبرهان بالدليل أو بالقرآن أو من قبل إتهان البينة .  
( لَفَأُولَئِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ( أُولَئِكَ ) هلا ( أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنَّبِيعَ )  
يا نصب في جواب التخصيص ( آيَاتِكَ ) المرسل هو بها .  
( مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ ) في القيامة ( وَنُخْزِي ) بالماضي والافتضاح ، ضارع  
خزى كخزى خزبا بالسكسر وخزى وقع في حلية وشهر فدل بذلك قاله والقاموس  
وهو غير معقد . وإنما يتعدى بالهمز .

وقيل : المراد الذل والخزى بالقتل والسبي .

وقرى بينهما المفعول من أذله وأخزاه .

ذكر بعض المالكية عن أبى سعيد عنه ﷺ أنه يحتج يوم القيامة على الله  
ثلاثة : للصبي ، والمجنون ، وصاحب الفترة . فيقول الأولان : لو جعلت لنا عقلا  
لأطعناك ، والفترى : لو أرسلت رسولا لى لكنت أطوع خلقك فتجعل لهم نار  
ويقال : ردوها ويردها من كان في علم الله سيذا ويقع الشقي . فيقول : إياي عصيت  
فكيف رسولى .

قلت : لم يصح هذا الحديث عنه عليه السلام لأنى عرضته على القرآن فناقاه ؛ إذ لا حجة على الله تعالى بعد الرسل ، فبمجرد إرسال الرسل يقطع عذر الآثرى وكيف يخبر في الآخرة مع أنه ليس للإنسان إلا ما سعى في الدنيا ، والآخرة إنما هي دار جزاء .

وأما للصبي والمجدون فقد رفع اللزم عنهما فلمما الجنة فضلا . وقيل : بالوقوف في أطلال المشركين والمنافقين وهو المشهور ، والتمحيق الأول ، فإنه بعد ما توقف في أطلال هؤلاء قال : سألت ربي للآلهين من ذرية لأبشر أن لا يعذبهم وأعطانيهم وللآلهون : الأطفال .

( قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ ) كل منا ومنكم متربص ، فأنتم تتربصون موتى ونزول الحوادث ، وإنا متربصون بكم الخزي والهوان .

( فَتَرَبَّصُوا ) قيل : منسوخ بآية السيف والحق خلافه .

( فَتَقَعَلَكُمُونَ ) يوم القيامة .

( مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ) المقعد الموصول إلى الجنة ( وَمَنْ أَسْتَدَى )

والضلالة نحن أم أنتم

وقرى السواء بمعنى الوسط والجيد . وقرى السوء أى للتبجح وهم أصحابه .

وقرى السوءى بضم السين وفتح الواو وتشديد اللام تصغير للسوء أبدلت

همزته ياء وأدغمت فيها ياء للتصغير .

وقرى فتقعلوا فسوف تعلمون ، لا فتقعلوا فتعلمون ، كما هو المتبادر من

بعضهم ، ومن مبتدأ استفهامية وأصحاب خبره وبالعكس ، والجملة في محل نصب

قامت مقام مفعولى تعلم .

وإن جعل بمعنى المبرنة فمقام مفعول وذلك تعليل بالاستفهام ومن مبتدأ

استفهامية وجملة اهتدى خبر والمجموع معطوف على مَنْ أصحاب فيجوز كون  
الثانية موصولة وجملة اهتدى جملة ومن معطوفة على أصحاب أو على للصرط ،  
على أن المراد به النبي ﷺ ويحوز عطفها على محل الجملة كقوله :

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا ولا موجهت القلب حتى توات

ولا يشترط لهذا كون العلم بمعنى المعرفة كما قال بعضهم . وقد بسطت المسألة

في النحر والاسماء .

الاهم بركة سيدنا محمد ﷺ وبركة السورة أخز الضاري رايهم والأكبر

شيكنهم ، وغلب المسلمين والموحدين عليهم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الأنبياء عليهم السلام

مكية قيل : إلا « أملا برون أنا نأني الأرض » الآية ، فذهنية . وآيها مائة  
واثنتا عشرة آية .

وقيل : مائة وإحدى عشرة آية .

وكلاهما ألف ومائة وثمان وسعون .

وحروفها أربعة آلاف وثمان مائة وتسعون حرفاً ،

قال عليه السلام : مَنْ قرأ : « اقترب للناس حسابهم » حوسب حساباً يسيراً  
وصالحاً وسلم عليه كل شيء ذكر في القرآن .

وروى أبو موسى : مَنْ قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حساباً يسيراً وسلم عليه  
كل من ذكر اسمه فيها .

THE  
 UNIVERSITY OF  
 CHICAGO

CHICAGO, ILL.

TO THE PRESIDENT OF THE UNIVERSITY OF CHICAGO

DEAR SIR:

I have the honor to acknowledge

the receipt of your letter of the 10th

inst. in relation to the proposed

amendment to the constitution of the University of Chicago.

I am very glad to hear that

the proposed amendment has been adopted by the Board of Trustees.

I am, Sir, very respectfully,

Yours very truly,

JOHN D. HARRIS,

President.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( اقْتَرَبَ ) بمعنى قرب فهو موافق للمجرد . والزيادة للتأكيد ( للناس حسابهم ) .

وإن قلت : كيف وصف بالاقتراب وهذه ألف ومائتان واثنتان وسبعون عاما منذ نزلت الآية أو أكثر من ذلك ؟

قلت : وصف به لأنه عند الله قريب ولو بُدِّع عند غيره . واليوم عند الله ألف سنة من سفوات الدنيا ؛ ولأن كل آت قريب ، وإن طال أجله وإنما البعيد هو ما مضى ، أو لأن الاقتراب نسبي ؛ فإن ما بقى من الدنيا ولو طال قصر بالنسبة إلى ما مضى ؛ بدليل بعث النبي ﷺ الذي هو خاتم النبيين وعلامة الساعة . وعنه ﷺ : بُعثت في نسَم الساعة .

وخطب بعض المتقدمين : وآت الدنيا حذاء ، ولم تبق إلا صُبابه كصُبابه الإناء . واللام متعلق باقتراب وهي أصل .

وإن اعتبرنا أن الأصل اقتراب حساب الناس ثم اقتراب حسابُ الناس بعدم تنوين حساب للإضافة وبزيادة اللام في المضاف إليه كقوله : يا رؤس للحرب ثم تركت الإضافة مقدم الجار والجرور ، فتعلق باقتراب . وكان الجار غير زائد ، ثم عوض عن التعريف بالإضافة للتعريف بأل قليل : اقتراب للناس الحساب ثم اقتراب للناس حسابهم . فهي بحسب الأصل زائدة وهي للتأكيد ولو بعد ذلك .

فإنه إذا كان يكفي أن يقال : اقتراب حساب الناس فزيد فيه اللام وضمير

الذاس بأن قيل : فترب للذاس حسابهم فلا يخفى ما فيه من التقوية ولو لم  
يقول زيادتها في الأصل لذكر الذاس مرتين إظهاراً وفي ذلك نوع إيهام  
وتبيين .

والذاس : المشركون ؛ بدليل وصفهم بما يأتي فهو من إطلاق اسم الذاس  
على بعضه .

وذلك قول ابن عباس : قيل : مراده . شركاء مكة المذكورة البعث .

ومحتمل أن يراد كل المكلفين والحكم عليهم . لوصف الآتي حكمه على الجميع  
وفيه زجر للجميع كما تقول الطلبة : ما سكر قدامون ، وتغافل لمبهم ، مع أن الذاس

بعضهم ، زحراً لبعض ، وتحذيراً لغير الذاس أن يدم

وفي ذكر يحيى . الحساب أيضاً دعاء . للتأنيب .

وذكرت معنى الحساب والبحث في حساب المشركين في غير هذه السورة .

وكان رجل من أصحاب النبي ﷺ يفتي حذاراً فرف به آخر يوم نزول هذه

الآية فقال الذي يفتي : ماذا نزل اليوم من القرآن ؟

فقال : نزل « اقرب للذاس حسابهم » وهم في غفلة معرضون » ففرض عليه

وقال : والله لا ينبت .

قال أبو بكر بن العربي : قال لي شيخني : ارغب في المهادات لاذهب بك

أمر ، في مطاولة الأقران ومواصلة الإخوان . ولم أر لأخلاص أوثق من

طريقين : إما أن غاق الإنسان بآه على نفسه ، وإما أن يخرج إلى موضع لا يهف

فيه . فإن اضطر إلى مخالطة الذاس ، فليكن معهم ببدنه ، وبما قسم بلسانه وقلبه .

وإن لم يستطع فليقلبه . والواو للحال ، وفي غفلة تتعاقب بمحذوف خبر ، ومعرضون

خبر ثان ، أي هم ثابتون في غفلة من الحساب ، معرضون عن التفكير به ، أو



متملق ، محذوف حال من المستقر في معرضون ، ومعرضون خبر ، وصاحب الحال الذي هو جملة حساب . ويأخذ عصاة الموحدين من تلك الأوصاف عظمهم إلا الحكم بأن القرآن سحر ، ونحو هذا ، لكن المشرك بنكر والمعاصي بقر ، ويعمل كالنكر .

يا أخی أشمر قلبك مهابة ، فإلى الله آلتك ، وتأهب للندوم ، فقد آن ارتحالك . أنت في سكرة لذاتك ، وغشية شهواتك ، وإغماء غفلاتك ؛ مقراض الفناء يعمل في نوب حيواتك ، ويفصل أجزاء عمرك جزءاً جزءاً في سائر ساعاتك ؛ كل نفس من أنفاسك جزء منفصل من جملة ذاتك ، وذهب الأجزاء تذهب الجمل . أنت جملة تؤخذ أحادها وأبعاضها إلى أن يستقر في سائرها عساكر الأنفوية ، والأفذار محدثة بأطوار الأعمار ، تهدمها بمعاول الليل والنهار ، تلق أضواء مصباح الاعتبار . لم يبق لنا في جميع أركاننا سكون ولا قرار .

( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ) أي ما يأتيهم من ربهم ما ينفهم من نوم الغفلة والجهل ، مما أحدث نزوله شيئاً فشيئاً آية بعد أخرى وسورة بعد أخرى إلا استمعوه بهجرى الآذان مستهزئين به لتوغلهم في الغفلة والإعراض عن النظر والتفكير في المواقف .

وفائدة إحداث الذكر شيئاً فشيئاً أن يكرر التنبيه فيتمظوا ، وما زادم ذلك إلا لعباً ولهواً وغفلة مع اقترضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء الحسن والسيئ .  
والذكر : القرآن .

وقيل : ما قاله النبي ﷺ من اللين والمواظ على غير ما في القرآن وإنما قال : « من ربهم » لأنه ﷺ لا يقول إلا حقاً موافقاً للقرآن ، فكأنه من الله بل قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى »

قيل : لما نزلت : « اقرب للناس » الخ قال بعضهم : زعم صاحبكم أن  
الساعة قربت فانتبهوا قليلاً عما يتم ، ثم عادوا . ولما نزل : « أنى أمر الله » الخ .  
قالوا كذلك ، أو قال غير ذلك البعض ، ثم رجعوا ونزل : « ولئن أخرنا عنهم  
المذاب » الخ

ومن ربه معلق بى أنى ، أو بمحذوف صفة لذكر ، أو حال منه ، لتقدم النفي  
ولو صفة حدث ، أو معلق بحدث ، أو بمحذوف حال من ضميره .

وذكر فاعل مجرور بمن الزائدة لتأكيد ، مقدر الرفع كما يدل له قراءة ابن  
أنى ، هـلة تهما للتقدير . وجلة وم يلعبون حال من الواو ، وكذا قوله :  
( لَاهِيَةً ) فهما حالان مترادفتان ، أى جامعين بين اللعب واللهو ، أو لاهية حال  
من ضمير يلعبون ، فهما حالان متداخلان .

وإذا قلنا : إن اللعب واللهو بمعنى واحد فالحال للثانية مؤكدة للأولى وقد  
هـئت بينهما فى غير هذا الموضع .

( قُلُوبُهُمْ ) هـمل لاهية . وقرئ برنم لاهية ، فالظاهر أنه خبر ، وقلوب  
مفعول ، الجملة حال كذلك .

ومحور كونه خبراً لمحذوف ، أى م لاهية ، والجملة حال .  
وقلوب هـمل ومحور كونه خبراً آخر لقوله : هم ، والأول يلعبون ، وقلوب  
هامل . فاستماعهم من حيث قرنه باللعب واللهو كلا استماع .

( وَأَسْرُوا لِلنَّجْوَى ) رادوا الكلام الخفى إخفاء ، فانظر ما صرف طه .

وعن أنى عبدة : أسروا : أجهروا .

( الَّذِينَ طَاهَرُوا ) بدل من واو أسروا المحذوف نطقاً للمساكن . وفائدة

التشنيع عليهم باسم الظلم في إمرارهم ما أمروا به للنجوى ، أو فاعل ، والواو حرف علامة للجماعة وهي لغة أكلوني البراغيث .

روى أن سيهويه قال بالأول ، وأنه قال : ليس في القرآن لغة من قال : أكلوني البراغيث ، أو مبتدأ والجملة قبله خبره ، وإنما قدم الخبر الفعلي هنا لمدح الالتباس ، بخلافه في نحو زيد قام . والأصل : وهم أمروا للنجوى . وهؤلاء أمروا للنجوى : وعبر بالوصول تشبيها بصلته ، أو مفعول لأذم محذوف وجوبا ، أو خبر محذوف ، أى هم الذين ، أو مبتدأ خبره قول متدر ناصب للجملة بعده ، أو فاعل لقول محذوف ناصب لها ، أو بدل من واو استعموه ، أو مفعول لأعنى ، أو بدل من هاء يأنهم ، أو هاء حسابهم ، أو هاء قلوبهم ، أو من الناس قاله ابن هشام .

( هَلْ هَذَا ) ما هذا . ( إِنْ لَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ ) يوبهخ ( وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) المجموع بدل من النجوى ، أو مفعول لقول كما مر . والإشارة إلى سيدنا محمد ﷺ . اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكا فكذبوا سيدنا محمدا ﷺ ، لأنه بشر ، فتسهبوا ماجاء به من الخوارق كالقرآن إلى السحر . فقال بعض لبعض : كيف نحصره ونحن نعلم ونعاين أنه سحر .

وإنما أمروا الشورى تعاونا على استنباطها . ومنه قول الناس : استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان . وقد روى ذلك عنه ﷺ مرثوعا . أو اعتقدوا أن الرسول ولو كان بشرا لا يكون مماثلا للبشر ، بل يخلفهم بشيء خارق مثل غلظ وطول مفرطين ، ومثل أن يكون لا يأكل .

( قُلْ ) يا محمد . وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال ، إخبارا عن رسول الله

ﷺ : إنا أنزلناه بالحق من ربك ، والقرآن من عند ربك ، والقرآن من عند ربك ، والقرآن من عند ربك .

(رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ) أي قول كان سرا أو جهرا ، فهو أبلغ من قوله :  
« قل أنزله الذي يعلم السر » ولو كان يلزم من علم السر علم الجهر ولذا اخبر  
هنا ، وليطابق قوله : « وأسروا النجوى » أي أسروا السر . وذلك لأن القول  
يشمل الجهر والسر وصر السر نصا ومهادرة بخلاف يعلم السر . ولا خير في اشتغال  
القرآن على فاضل وأفضل تفننا ، وكل منهما معجز . بل الظاهر أن كل آية غاية  
في البلاغة في مقامها وكل ما نزلت لأجله وسياقها .

والأصل : قل لهؤلاء . قيل : قل في آية الفرقان كذلك ؛ لأن المراد وصف  
ذاته بأنه عالم الغيب لا يعزب عنه شيء . وقيل : قل لهم والانس

(فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أراد بهما انفس ، أو أراد هذه السماء وهذه الأرض ،  
فهما تمثيل لما كن ، والجار والمجرور متعلق بالقول ، أو بمعنى وف حال  
منه أو من ضمير يعلم .

(وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) كل شيء ، فيجاري على الإحسان والإساءة .

ويجوز أن يكررنا أسروا النجوى وقالوا الرسول ﷺ والمؤمنين : إن كان  
ما قلتم حقا فأخبرونا بما أسردنا فقال الله تعالى بعد ما نسر له نجواهم : « قل  
ربي الخ » .

(بَلْ نَأْكُوا آصَفَاتُ أَحْلَامٍ) بل للإضراب الاتقالي في المواضع الثلاثة  
وآصافات خبر المحذوف ، أي القرآن آصافات والمفرد ضيف ، بكسر فسكون ،  
بمعنى مضغوث ، أي مخلوط .

والأحلام جمع حلم بضم هاء وإسكان اللام وهو الرذا . انقل  
عن قولهم : القرآن سحر إلى قولهم : إنه أخلط رأيا في اليوم لا تصلح للأوبل .



( بَلِ افْتَرَاهُ ) جاء به من قبل نفسه وليس من الله . بلى . وهذا انتقال منهم من قولهم : إنه أضفأ أحلام ، إلى قولهم : إنه مفترى .

( بَلْ هُوَ ) أى محمد ( شَاعِرٌ ) والفرآن شعر ، انتقال منهم من قولهم : إنه مفترى إلى قولهم : إنه شعر يزخرف الباطل . وبلى هذه مرتبة على التى قبلها ، وكلتاها مرتبة على أضفأ أحلام ، ومن مفعولهم

وبلى الأذى من كلام الله سبحانه ، ويجوز أن تكون الثانية والثالثة من كلامه جل وعلا ، فلم يسلط عليهم القول ، بل يقدر بدم أى

بل قالوا : افراء . بل قالوا : هو شعر ، فى الكلام إشارة إلى تنزيل أقوالهم فى مراتب من الفساد متفاوتة ، فإن قولهم : إنه مفترى أفسد من قولهم : إنه أحلام ؛ لاشتماله على مفييات كثيرة ، طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك ، بخلاف الأحلام ، فقد تكون كذلك ، ولأنهم ما جربوا عليه كذبا قط . ويسمونه قبل الأربعين الأمين .

وقولهم : أضفأ أحلام أفسد من قولهم : إنه شعر ؛ لأنه مجانسه ، من حيث إن كلا منهما خارق ، لكن بينهما ما بين العرش ونور أسفل الأرضين . وقولهم : إنه شعر أفسد من قولهم : إنه مفترى ؛ لأنه مشحون بالحقائق والحكم ، وليس فيه ما يناسب قول الشعراء .

( فَلْيَأْنِبْنَا يَا بَآئِرٌ ) كالود والمعصى وإبراء الأكمه ، وإحواء الموتى والذقة ، إن كان صادقا .

( كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ) إن قلت : كيف شبهوا الإيمان بالآية بإرسال

الأولين ؟

قلت : صح ذلك ؛ لأن الإرسال يتضمن الإنيان بالآية ؛ فإن قولك : أتى سيدنا محمد بالمعجزة ، مثل قولك : أرسل سيدنا محمد ﷺ ؛ فإن الإنيان بها من مروع الإرسال ولو أزمه ، أو لأن التقدير : كما أرسل الأولون بها ، ولا مانع من حذف هذا الضمير الجور ، ولو تعلق بمالم يتماق به بآية ؛ لأن ما موصول حرفي ، بل ولو جعل اسما ، أي كالإرسال الذي أرسله الأولون ؛ لأن الإرسال والإنيان ما صدقتهما واحد .

ويجوز أن يكون التقدير : فلما أتانا سرسلا بآية كما أرسل الأولون آيين بها ، لحذف في كل من طرف التشبيه ما ذكر في الآخر .

وبعضهم يسمى الحذف من الأول مع ذكر المحذوف في الثاني ، مع الحذف من الثاني ، مع ذكر هذا المحذوف في الأول احتجا ، وللكاف نعت لآية ، أو نعت لمصدر محذوف ، أو هي حرف ، ويقدر الاستقرار نعتا .

( مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ ) من زائدة في الفاعل ، على حذف مضاف ، أي ما آمن أهل قرية .

( أَهْلَكْنَاهَا ) صفة لقرية برسم ذلك المضاف .

وإنما أهلكنا قرية ، طلبت آية ، فجاءها ولم تؤمن . ولولا اقتضاء الحركة أن لا نهلك هذه الأمة لأرسلنا إليهم آية يطلبونها فلا يؤمنون فنهلكهم .

( أَلَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) إن جشهم بها . وفيه إبناء إلى الوعيد ، كأنه قال : فإن وراء عدم إيمانهم بها إهلاك كما إهلاك من تقدمهم . كذا ظهر لي .

وقيل : المعنى : ألهم يؤمنون مع أنهم أعنى ممن سبقهم .

( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ) ومثله : فلا تسبقعدوا كون

الرسول بشرا .

(فَأَنبَأُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) هل كانت الرسل قبله بشرا رجالا، يأكلون ويشربون.

(إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) فذلك جواب لقولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم وأهل الذِّكْر: أهل الكتاب. والذِّكْر: التوراة والإنجيل.

وقيل: التوراة فقط، بأوله اليهود فقط. وإنما أصرم بسؤال أهل الكتاب لأن المشركين يشاورونهم في أمر النبي ﷺ ويقتنون بقولهم ولا سيما اليهود، ولأن إخبار الجمل الغفير يوجب العلم. وإذا أخبرهم أوجب لهم العلم وقواه، ولأنهم اشتدت عداوتهم - أهانهم الله - لرسوله ﷺ فإذا أخبرهم كن أوقع في النفس وما شهد به العدو أنضل.

وإنما سموا أهل الذِّكْر - لعلمهم الله وأهانهم - كما نقول: زيد حامل القرآن وأهله، أي حاضره، ولو كان لا يعمل به.

وقيل: المراد: من آمن منهم، كعبد الله بن سلام وغيره. وهذا مجرد تمثيل وإلا فعبد الله أعلم بالمدينة بعد الهجرة.

وقيل: أهل الذِّكْر: أهل القرآن المؤمنون. السامعون به. وهو معييف؛ لأنهم خصماؤهم فلا يصدقونهم.

وقرأ حفص نوحى بالفون وكسر الحاء.

(وَمَا جَعَلْنَاهُمْ) أى الرسل أو الرجال الموحى إليهم والاصدق واحد.

(جَسَدًا) مفرد مراد به اجنس، كأنه قيل: أجساد، و فى الإفراد والجمع إيماء إلى نوع، كما يظهر بتقدير مضاف، أى ذوى قوى من الأحساد

أو أفراد لأنه فى الأصل مصدر، أو الحكم على الجمع، أى ما جعلنا آدم جسداً لا يأكل، وما جعلنا إدريس جسداً لا يأكل. وهكذا، فاختص بقوله:

ما جعلناهم جسداً.

والجسد : جسم ذو لون ، ولذلك لا يقال للماء والهواء : لأنهما ولو كانا جسمين لكن لا لون لهما . وإنما يعلون الماء بكون ظرفه أو مقابله ، وما يرى في الريح إنما هو تراب أو نحوه .

وقال الفخر : بل الماء له لون يُرى لا يحجبهما وراه .

وقيل : الجسد جسم ذو تركيب ، لأن أصله جمع للنشء واشتداده .

( لَا يَأْكُلُونَ الطَّامَامَ ) نعت لجسدا على المعنى ، أو مفعول ثان بعد مفعول

ثان متعده

إن أراد بالجسد ما لا يتفدى ، فهو معنى كالجملة بعده المؤكدة ، وإن أريد ما يتفدى فهو مثبت . والنفي متسلط على الجملة بعده . وذلك من تمام الجواب السابق .

وقيل : جواب لقولهم : ما لهذا الرسول يأكل الطعام .

( وَمَا كَا وَخَالِدِينَ ) تأكيدي لما قبله ؛ فإن من يأكل الطعام لا بُدَّ له من

الموت . والطعام نفسه من أسباب الموت . وذلك إما لاعتقدهم أن الملائكة لا يموتون ، أو علموا أنهم يموتون ، لكن متموا أطول حياتهم خلودا .

( ثُمَّ هَدَفْنَاهُمْ الْوَعْدَ ) مفعول ثان متعده بمعنى حرف الجر ، أى فى الوعد ،

أى لم نخنهم فى الوعد ، أو مفعول ثان غير متعده بل معرّح على تضمين صدق معنى ما يقعدى لاتنين .

ومن أجاز قياس النصب على نزع الخافض أجاز تخريج ذلك عليه ، والضمير

للرجال المرسلين . والوعد وعده تعالى بإهلاك مكديهم ، والعطف على نوحى إليهم وأجاز بعضهم محى ثم للاستئناف .

( تَأْجِيئَاهُمْ ) المرسلين ( وَمَنْ أَشَء ) المؤمنين وغيرهم ، ممن فى بقائه

مصلحة ، كن سيؤمى هو أو من أحد من ذريته .



قال القاضي : ولذلك مُنعت العرب عن الاستئصال

قلت : ومن بقي من غير المؤمنين ، دون الموصوفين بالإسراف في قوله :  
( وَأَلَمَّا كُنَّا الْمُسْرِينَ ) في الشرك والمعاصي .

وقيل : المراد بمن نشاء : المؤمنون

( أَلَمَّا أَزَلْنَا إِلَيْنَكُمْ ) باقريش ( كِتَابًا ) القرآن ، ونكر للعظيم .  
( فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) بذكركم به غيركم ، لأنه بلغكم ، أو المراد شرفكم ، أو  
للثناء عليكم ، أو مكارمكم التي تطلبون بها حسن الذكر ، كحسن الحوار ،  
والوفاء بالعهد ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والسخاء

وقيل : المراد : انفسكم .

وقيل : ذكر ما نحتاجون اليه من دينكم

وقيل : ذكر لكم . ومن فسر بالشرف فإنما نظر إلى قيد الإيمان به ،  
أو إلى أنه مشهور بأنه نزل على نبي عظيم من قريش .  
( أَلَمَّا تَمَقُّلُونَ ) نقوعدون به ، وهذا تحريض .

( وَكَمْ فَصْحًا ) أَلَمَّا كُنَّا ( مِنْ قَرْيَةٍ ) هذه الجملة واردة عن غضب شديد ،  
منادية على سخط عظيم ، لأن انضم كسر نظيم ، وهو الذي يُبين تلازم الأجزاء  
بمخلاف الفصم بالفاء . واستمير للإهلاك العظيم . وكلم للتكثير .

والمراد بالقرية أهلها تعبيراً بلفظ الحل على الحال ، أو بلفظ أحد المتجاورين  
عن الآخر ، أو بقدر مضاف وذلك بدليل قوله : ( كَانَتْ ظَالِمَةً ) أي مشركة  
فإن المشرك من فيها .

( وَأَنْشَأْنَا ) أحدثنا ( بَعْدَهَا ) بعد إهلاك أهلها ( قَوْمًا آخَرِينَ ) بدلا  
منهم مكانهم .

(مَّا أَحْسُوا) أدركوا (بَأْسَنَا) عذابنا وشِدَّتُه، إدراك المشاهد المحسوس  
 ولو لأهل القرية، أو لها؛ لأنها قائمة مقامهم، أعنى قيام انظما  
 (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين راكضين درابهم، أو شبهوا  
 عن يركض دابته في الإسراع الشديد، يقال لهم: إنك ومنك هناك من المؤمنين،  
 أو اسان الحال، على سبيل الاستمراء:  
 (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَنْزَلْتُمْ بِآيَاتِهِ) نعمتم فيه، وتعرفتم بلا شكر  
 (وَمَسَا كَيْفَكُمْ كَلِمَاتُكُمْ تُنَالُونَ) يطلب شيء من أموالكم، وكانوا أسخياء  
 رياء أو بخلا، أو أسخياء بلا رياء، لكن لا يفهمهم، فتقول لهم ذلك تهكأ،  
 أو لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم في أموالكم ومساكنكم، فتجيبوا  
 السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا أو اسلموا وتزينوا كما كنتم، فيأني من  
 يجري عليه أمركم ماذا تفعل وماذا تترك، أو لعلكم تسألون في النوازل، ويستضاء  
 برأيكم وذلك كله تهكم.

ومن جملة تلك القرى المقصودة قرية باليمن. قول: أهلها عرب  
 وعن ابن عباس: اسمها حضور وهي وسعول قربان فيه، تنسب إليهما  
 الثياب. وفي الحديث: كفن رسول الله ﷺ في ثوبين سحرابين. وروى:  
 حضورين.

وقيل: حضور أرسل الله إليهما نبيا فتقلوه، فأرسل الله إليهم نحتا نحره،  
 كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم.

وقيل: هزموا جيشه مرتين، ونهض في الثالثة بنفسه فمزموهم ولا أخذ فيهم  
 السيف هربوا مسرعين، وقيل لهم: لا تركضوا إلخ. وتودوا من الدماء أيضا:  
 لا لثارات الأنبياء، فندموا واعترفوا، إذ لم يفهمهم الدم والاعتراف.

ومن زعم أن المراد هذه القرية وحدها فقد أخطأ ؛ لأن كم للعكس كثير .  
 وقيل : قائل لا تركضوا الخ ملائكة المذاب بالنار .  
 وروى أن المائس لذلك رجال بُحَّتْ نُصْرٌ على جهة الخداع والمزء .  
 وروى أنهم هربوا ، فأمر بُحَّتْ نُصْرٌ أن يمدى فيهم : يا ائثار ات للنبى المتقول ،  
 فقتلوا بالسيف عن آخرهم .

( فَأَأْوَا يَا وَيْلَنَا ) يا هلاكنا ، نداء تنجيم بغير « وا » لعدم اللبس ، أو  
 استغانة مجردة عن اللام وغيرها .

( إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) بالكفر والمعاصى وقتل النبى .  
 ( مَا زِلْتُمْ تِلْكَ ) الدعوى ، أو النقولة ، أو للكلمات ( دَعْوَاهُمْ ) بصيغته  
 بها ، ويردونها

وإنما سماها دعوى ؛ لأنهم كالداعى : يا ويل احضر ، فهذا وقتك . وتلك  
 اسم زال ، ودعوى خبر ، أو تلك خبر ، ودعوى اسم ، والأول أولى لسلامته  
 من تقديم والتأخير . ولأن المراد الإخبار لدوام تلك الدعوى الصادرة عنهم ، ولأنه  
 لا يظن الإعراب في واحد وهو محل لبس ، فليكن المقدم هو الاسم ، كما أن  
 المقدم هو المفاعل في نحو ضرب موسى عيسى ، حيث لا دليل على خلاف ذلك ،  
 لكن القياس اسم زال بخبرها غير ضائر ؛ لأن كلا منهما هو الآخر ، بخلاف  
 المفعول والمفاعل .

قال ابن هشام عن ابن الحاج من الزجاج : لا خلاف في أنه يجوز كون  
 تلك اسم زال ، ودعواهم خبرها ، وبالعكس . انتهى .

ولا يقال : كما يمنع تقديم الخبر على الموقد إذا خيف اللبس ، كذلك يمنع  
 جعل تلك خبراً مقدماً ؛ لأننا نقول : محس المنع ما إذا فسد المعنى في الآية صحيح على  
 كل وجه .

( - نَتَّى جَمَلْنَاهُمْ حَصِيدًا ) أى كزراع محصور بالاجل ، فهو استعارة على أحد القولين ، فى نحو زيد أسد ، مما ذكر فيه المشبه والمشبّه به ، بدون أداة التشبيه ، أو الأصل : مثل حصيد ، فهو مجاز بالحذف وقد علمت أن حصيدا نعت لمحذوف .

ولك أن نجعل حصيدا مصدراً مبالغة ، أو بقدر ذوى حصيد ، أو بؤول بأسم مفعول

ووجه التشبه بالزراع المحصور للقطع المستأصل ، وعدم الاجتماع ، شبههم بزراع محصور ، كل قبضة متروكة فى موضعها

( خَامِدِينَ ) - ككذين كسكرن النار ، فانطفاؤهما كغاية عن الموت ، وهو

مفعول ثان بعد . فمفعول ثان .

قيل هما مثل : جهاة . حلوا حامضا ، أى جامعين بين الحصيدية والخرد .

قيل : أو خامدين صفة لحصيدا نظرا للمعنى ، أو حال من ضميره .

وما قيل من أن حصيدا يحقرى فيه المفرد وغيره ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول

غير صحيح ، وإما ذلك فى فعول بمعنى فاعل .

( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ) بل دالين على قدرتنا ،

ونانمين عبادنا ، وللعقاب والعتاب ، والجفة والذار ، فمن اعتبر بهما وما فيهما ،

وما بينهما من اللبدائم ، ولم يفتقر بالخلاف الانيموية الزائلة ، فله الجفة الدائمة .

( وَآرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ ) ما يباهى به من زوجة وبنين وبنات وغير

ذلك ( لَا نَتَّخِذُ نَاهُ مِنْ لَدُنَّا ) من عندنا مما يليق لحضرتنا ، أو من جهة قدرتنا ،

لا من الأشياء التى مثلها عندكم تعرفونها ، مثل الزوجة من الحور العين - حاشاه .

وفى ذلك رد على من يقول : عزيز أو عيسى ابن الله ومن يقول : الملائكة بناته .



وقال الحسن : اللهم : المرأة بلغة النمن . وعن ابن عباس : إنه الولد . وروى عنه أيضا : إنه المرأة .

وقيل : من لدنا : من الملائكة ؛ لا من الإيس ، ردًا لولادة عيسى وعزير عليهما السلام ، وإن كان اقتضت الحكمة أن لا نتخذ لهموا ؛ لأنه نقصان

وفي كتاب لبعض أصحابنا : لا يقال : الله قادر على اتخاذ الولد والزوجة ، ولا غير قادر . وصرح بعض قرومنا بجوار ذلك .

( إن كُنَّا فَاعِلِينَ ) - كُنَّا لا نفعل ؛ لأنه لم تسبق به إرادتنا . وليس هذا تأكيدًا ؛ فإن الإرادة غير الفعل ، وإن شرطية .

وقيل : نافية ، أي ما كُنَّا فاعلين لامتناع إرادتنا . ذلك قال القاضي : والجملة كالنتيجة للشرطية ، وعلى أن إن شرطية ، جوابها محذوف ، دل عليه اتخذه .

( بَلْ نَقْذِفُ ) نرى . ( بِالْحَقِّ ) الإيمان والقرآن والرسالة والشرع ، وكل ما هو حق .

وقيل : هو قوله : إنه لا ولده .

( عَلَى الْبَاطِلِ ) للشرك وما ليس بحق .

وقيل : قولهم : اتخذ الله ولدا .

( فَيَذَرُوهُ ) يذهب به .

وقرى بضم الميم وقرى بالنصب عطفا لمصدره على الحق ، على حد :

• وَأُبَيِّنُ عِبَادَةً وَتَنَزُّ عَيْفُ •

أو على القذف المفهوم ، أي يكون من القذف بالحق على الباطل فيذهب به .

وهذا ضعيف . وعبارة ابن هشام : حذفت أن في هذه القراءة شذوذا انتهى .

وتأويل بقياس حذفها مطلقاً في كل موضع . وقيل : بشرط رفع الفعل في غير  
المواضع المشهورة ، مثل ما بعد لام كي .

ووجه الضعف : أنه لم يتقدم نفي أو طلب . والإضراب هو عن اتخاذ الاله  
واللعب ، وتنزيهه عنه لذاته . أي ليس من حادثنا الاله - و . بل تعليب الحق على  
الباطل .

والقذف : الرمي البعيد المستلزم اسلابة المرمى . وذلك حقيقة في الأجسام ،  
فاستعير لإيقاع الحق على الباطل ، واشتق منه نقذف بمعنى نوقع الحق عليه .

والدمغ : كسر الدماغ بحيث ينطوق غطاءه ، فنزق الروح ، استعير لإذهاب  
الباطل ، واشتق منه يدمغ بمعنى يذهب ، أو شبه الحق بنحو حجب ، والباطل  
يدحو إنسان ، فنسب القذف للحق ، والدمغ والزهوق للباطل ، نسبة إيقاعية .  
إلا الزهوق فنسبته وقوعية . كذا ظهر لي . ويحتمل غير ذلك ، كما تعلمه من  
شرحى على شرح عصام الدين .

( فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) ذاهب الروح ، فهو ترشيح للاستعمارة ، إذا جهلنا الباطل  
مستعملاً في الإنسان ، أي أطلق ، وأريد به الإنسان مجازاً لا الإنسان حقيقة .  
أو لا استعمارة بدمغ .

( وَأَلَكُمُ الْوَيْلُ ) للمذاب الشديد ، أي واد في جهنم يا كافر ، مكة ، أو  
الخطاب لجميع الكفار .

( يَمَّا نَصِفُونَ ) ما مصدرية ، أو موصوفة ، وعليهما فـ رابط محذوف ، أي  
مما تذكرونه ، وتقولونه في الله .

وأما قول بعضهم : إن الأصل مما تصفون الله به تضيف ؛ لأن هذا الرابط  
المجورر لم يتعلق بما يتعلق به الموصول ولم يجر بما جُرب به ، فإن ما مجرورة بمن .

معلقة بما يماق به لكم، وهو الاستقرار، أو بمحذوف حال من ضمير الاستقرار، ومن هذه التعليل أو الابتداء، على معنى أنه تحصل لكم الويل، وخرج لكم مما تصفون، والهاء مجرورة بالباء معلقة بـ تصفون.

(وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خلقا وملكا. ومن للعلاء. ويدخل غيرهم في ذلك بالأولوية، أو للعلاء وغيرهم؛ فإن في الأرض العاقل وغيره، وفي السماء العلاء. ويصرف معنى من في جانب السموات إلى العلاء.

وقيل: إن في السموات دواب، طيرا من نور بلا عقول، وهم غير ملائكة. (وَمَنْ عِنْدَهُ) هم الملائكة. ومعنى العندية: قرب المنزل في الخير، أو عبر بعد؛ لأنهم محلهم الأصل الذي كثروا فيه هو السموات، ومن فيمن هو عند الله الذي هو في كل مكان لا عدنا، ومن مبتدأ خبره (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) لا يتعظمون (عَنْ عِبَادَتِهِ) طاعة.

(وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) لا يغيثون ولا يتميمون فينتظروا عنها. ويقال: حسر الوادي، أي انكشف أرضه بزوال الماء، وحسر عن رأسه: كشف وحسر: أعرب وأعجب، والسين والتا. المباغة والمباغة راجعة للمنفى، أي اتقى عنهم الحسور اتفاقا، بامتناع، على أحد الأوجه، في نحو: «وما ربك بظلام» أو المنفى هو الراجع المباغة، على معنى أن ما ع فيه يوجب غاية الحسور، لكنهم لم يحسروا غاية الحسور ولا أدناه.

والمراد: إنكم يا كفار لكم الويل على كفركم، وليس الله بحاجة إلى عبادتكم، إن عنده من يداوم على العبادة، ولا يبقى عنها، مع أن الله غني عنها أيضا.

وقيل : مَنْ معطوف على مَنْ عطفت خاص على عام لمزية الدين عنده ، وم  
 الملائكة ، أو اعتبر أن مَنْ عنده أعم من جهة أن يراد الملائكة الذين في  
 السموات والذين في الأرضين وتحتهم ، وبين السماء والأرض ، وبين السموات  
 وبين الأرضين ، فلا يبقى إلا مَنْ في الأرض من غيرهم فلا يهمهم ، أو اعتبر أن  
 مَنْ عنده نوع من الملائكة ليس في الأرض ، ولا في السماء ، بل بين السموات  
 وبين السماء والأرض .

( يُسَبِّحُونَ ) أى ينزهون الله ( اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ) عن التسبيح حال  
 من واو يسبحون ، أو وار يسبحسون : والحال مقدرة  
 وعن كعب الأحبار : التسبيح لهم كأنفس لبي آدم كالأشجار لا يشغلهم شيء ،  
 كذلك لا يشغلهم شيء عنه .

قيل : ولا بد لهم منه ، كالأبد لنا من طعام وشراب ، فهم قرون . وعن  
 أبي ذر وابن عباس وعائشة وأنس وعطاء عنه عليه السلام : إني أرى ما لا ترون ،  
 وأسمع ما لا تسمعون . أظنت السماء ، وحق لها أن تظط ، ليس فيها موضع شبر ،  
 ولا أربع أصابع إلا وعليه ملك قائم ، أو راجع ، أو ساجد .

( أُم ) بمعنى بل الإضرابية والمعمزة الإنكارية وهي منقطعة ( اتَّخَذُوا آلِهَةً  
 مِنْ ) من الابتداء ( الْأَرْضِ ) مثل الحجر والخشب والذهب والفضة ، ومن متعلقة  
 باتَّخَذُوا ، أو محذوف نعت لآلهة . وعليه فيجوز فيها أن تكون نعت ببيض ، ويجوز  
 جعل اتَّخَذُوا تصغيرها والجار والجور متعلقات بمحذوف مفعول ثانٍ . والمراد بذلك  
 تخيير الآلهة المأخوذة من الأرض .

( هُمْ يُنْشِرُونَ ) أى أ هم يحيمون المولى وينشرونهم من الأرض .  
 ويجوز كون هذه الجملة هي نعت آلهة ، أو مفعول ثانٍ ، ومن متعلق بينشرون .



وإن قلت: هم ينكرون البعث رأساً. وإن أقرت به بعضهم فليس بثبوت للأصنام.  
قلت: نعم لكن أثبت لها نشر الموتى على ما يقتضيه ادعاؤهم أنها أرباب  
وفي ذلك تجهيل لها وتهمم وقريب من إن كانت آلهة. فمن لوازم الألوهية القدرة  
على جميع المكفآت، فهل تقدر آلهتكم على البعث؟

قال جابر الله: وفائدة قوله: «هم» اختصاص الانتشار بهم، أي تحذروا آلهة  
تختص بالبعث للموتى.

قلت: لم يظم لي إفادة ذلك الضمير المحصر هنا إلا إن كان يستفاد منه في  
المعرف أو بوجه.

وقرأ الحسن بفتح الياء وضم اللين يقال: أنشر الله الموتى ونشرها.  
وبصح أن يراد بقوله: من الأرض، الإشعار بأنها الآلهة التي من الأرض  
لا التي من السماء وهي الله والملائكة، فإن من العرب من يعهد  
وسأل صلى الله عليه وسلم أمة: أين ربك؟ فأشارت إلى السماء، تفهم منها أن مرادها نفي  
الآلهة الأرضية وإثبات الله سبحانه، لا إثبات السماء مكاناً له، ولا إثبات الألوهية  
للملائكة، فقال لها: مؤمنة.

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا) في الجنسين، أحدهما السموات، والآخر الأرض.  
(آلهةٌ إلا اللهُ لَفَسَدَتَا) هما وما فيهما إن للرعية وسائر الأملاك تفسد  
بتدبير المالكين فكيف بملاك بن متعدد من القناب والتخاف؟

قال عبد الملك بن مروان حين قتل عمر بن سعد الأشدق: كان والله أعز  
عليّ من دم ناظري، لكن لا يجتمع فحلان في شول. فهذا يريد أن يكون  
السموات والأرض على صفة كذا، وهذا على صفة كذا. وهذا يريد أن يفعل

من فيهما كذا . وهذا يريد غير ما أراد ذاك ، وذلك على وقف المادة عند تعدد الحاكم .

فلو أراد أحد الآلهة تحريك شيء . وأراد الآخر تسكينه ، وإما أن يقع المرادان وهو محال ؛ لأنه جمع بين الضدين ، وإما أن لا يقع واحد ، وهو محال أيضا ؛ لأن مانع مراد كل هو مراد الآخر ، فلا يمنع مراد واحد إلا عند وجود مراد الآخر .

وإما أن يقع واحد دون الآخر ، وهو محال ؛ لأن كل قادر على ما لا نهاية له فتستوى الآلهة في القدرة . فإثبات الأنووية لأحدهما ، وإثبات وقوع مراده ترجيح لا مرجع ، ولأنه إن وقع مراد أحدهما دون غيره ، فالذي لم يقع مراده عاجز ، فليس إله .

وإن فرضنا آلهة قادرة على جميع الممكنات غير مختلفة الإرادة ، فالفعل الواحد إنما يصدر من واحد ؛ إذ لا يشترك اثنين في فعل . ومهما تخيل لك من ذلك ، فقد احتص كل واحد بجزء ، وبأشهره هو لا غيره . وكل موجود داليل على وجود الله تعالى . أشار إلى ذلك الفخر .

وإضاحة : أنه لو كان معه إله آخر ، لم يخل إما أن يختلفا في الإرادة على إرادة حكم العناد ، أو يتفقا . وللتعالى بقسيمه محال ، فالقدم مثله .

أما الملازمة فدليلها وجوب عموم تعلق إرادة الإله وقدرته وسائر صفاته المتعينة . فلو كان ثم إلهان لوجب تعلق إرادة كل واحد منهما ، وقدرته بكل ممكن . ومتى تعلق بالفعل إرادتان ، لم يخل من الاتفاق عليه أو للتباين . أما بطلان الثاني فببطلان طرفيه ، وهما الاختلاف والاتفاق .

فوجه بطلان الطرف الأول وهو الاختلاف : هو أن تقول : لو اختلفا في فعل ، بأن يريد أحدهما وجود الجسم ، ويريد الآخر عدمه ، أو يريد أحدهما حركته ، والآخر سكونه ، يلزم عجزهما معا ، أو عجز أحدهما ؛ لأن نفوذ إرادتهما معا مستحيل ، لما يؤدي إليه من اجتماع التقيضين ، أو ما في حكمهما ، فيكون الشيء في الزمان الواحد موجوداً معدوماً أو متحركاً ساكناً .

فإذن لابد من تعطيل النفوذ لإحدى الإرادتين ، أو إكفائيهما . فإن بمطابقتهما لزم عجز الإلهين ، لعدم الفعل من كل واحد منهما ، ويلزم علوه أيضاً خلو المحل عن التقيضين . ولا مانع من نفوذ إرادة كل واحد منهما وقدرته ، ولا نفوذ إرادة الآخر وقدرته .

فإذا لم تنفذ الإرادتان لزم وجود الفعل بهما ، وعدم وجوده بهما ، إن ثبت المانع ، أو حصول المنع عن غير مانع ، إن لم يثبت المانع . وإن كانت إرادة واحد منهما خاصة فتسحقيل ؛ لأنه يلزم علوه عدم عموم نطاق إرادة الإله وقدرته ، ويلزم علوه المعجز ، والعاجز غير إله ، فويلزم أيضاً قبل عجز الذي نفذت إرادته ، لأنهما متلمان . واستحال ذلك أيضاً بلزوم ترجيح أحد المتلين بلا مرجح . وإن فرض المرجح فلزم عجز الذي نفذت إرادته كما مر ، ولزم حدوثهما .

وأما بطلان الطرف الثاني من التالي ، وهو الاتفاق ، فمن أوجه ؛ لأن الاتفاق إما واجب أو جائز . فإن واجب لزم كون أحدهما مقهوراً ، إن قدر الآخر على الترك ، وإلا فمقهوران . ولزم من قهر أحدهما قبل قهر الآخر ؛ لأنه محتمل ، ويلزم الاتفاق إلى المرجح في تخصيص أحد المتلين بما لم يثبت لئله .

ولزم في الاتفاق الواجب انقلاب الممكن مستحيلًا ؛ لأن كل واحد منهما ، إن نظرنا إليه مفرداً ، يمكن أن يوجد كلا من الحركة والسكون مثلاً ؛ لأنه

إله لا جزء له . فإذا فرضنا تماق إرادة أحدهما بخصوص الحركة مثلا ، صار وقوع  
الساكن الممكن من الآخر مستحيلا ، وذلك قلب الحق . كذا قيل .

وأبضا كون المانع له تماق إرادة الآخر بضده ، ويلزم منه إنجاب المانع حكم  
المنع لما لم يتم به ، وذلك كله مستحيل .

ويلزم أيضا في الالافق الواجب عدم وجوب الوجود لكل واحد منهما ؛  
لأن وجوب الوجود إنما يثبت لإله ، من حيث توقف وجود الحوادث عليه ؛ انلا  
يلزم التسلسل أو الدور ، عند تقدير جواز وجوده .

فإذا قدر أن ثم إلهين لم يفرد أحدهما عن الآخر بشيء بل هما . متقان أبدا لزم  
عدم توقف الحوادث على خصوص كل واحد منهما ، لا يتحقق وجوب الوجود  
لكل واحد منهما ؛ إذ على تقدير عدمه ، تسقني الحوادث عنه بصاحبه ،  
والإله متحقق وجوب وجوده .

وإن قلت : يكون وجوب الوجود متحققا لأحدهما لا بعينه .

قلت : فيثبت جوار الوجود لأحدهما لا بعينه ، وتماثلهما بمنع من اختلافهما  
وجوبا وجوارا .

وإن قلت : تمنع أن الفعل يسقني بأحدهما عن الآخر لا يوجد إلا بهما  
فوجودهما واجب .

قلت : فيلزم أن يكون كل واحد منهما جزءا للإله لا إله ، فيقوم بكل  
واحد منهما جزء العلم ، وجزو القدرة ، وجزو الإرادة ، إلى غير ذلك ، مما لا يقول  
به عاقل .

وإذا كان التركيب من جزئين متساين محالا في بالاك بتركيبه من جزئين



ولزم أيضا من وجود ابتداء الحوادث بكل منهما أن تكون محجة لكل واحد منهما ، غنية عن كل واحد منهما ، وهو جمع بين متعافيين .  
 وإن لم يجب اتفاقهما بل جاز اختلافهما ، لزم قبولهما المعجز . وكما كان الاتفاق جائزا كان الاختلاف جائزا ؛ لأن جواز أحد المتقابلين يستلزم جواز الآخر ، وللقابل للاختلاف قال للمعجز ضرورة . والجواهر والجسم عندنا قابلان للقسم .

وزعم قومنا أن الجواهر جسم دقيق لا يقبله ، وأن المرض لا يقبلها .  
 ومذهبنا أن الجوهر والجسم واحد ، وأن المرض يقبلها فلو بانها على زعم قومنا ، لزم أن تنفذ في ذلك الذي لا يقبل للقسم ، إرادة واحدة ، وقدرة واحدة .  
 فمن لم تنفذ إرادته وقدرته فماجز ، فليس إله . وإن لم تنفذ إرادتهما وقدرتهما فماجزان ، والإله لا يوصف بالمعجز ؛ لأن المعجز إما قديم وهو محال ، بأدائه إلى استعالة أنصاف الإله بالقدرة . وفي انصافه بها مع المعجز ، لزم اجتماع الضدين .  
 وإن انصف بها عدم المعجز ، لزم عدم ما ثبت قدمه . وإما حادث وهو محال ؛ لأنه إذا كان حادثا فضده وهو القدرة قديمة . وإن انصف بالمعجز مع وجود القدرة ، لزم اجتماع الضدين ، وإلا لزم عدم القديم كما مر آنفا . والمعجز في الحى قص ، ويلزم على اصطلاح الإلهيين عجزهما واحتياجهما أو ، جز أحدهما واحتياجه ؛ إذ ليس أحد يطلب الصالح أو يرضى به إلا لجر منفعة ، أو دفع مضرة ، أو لمجزه عن القيام بالكل .

وإن قلت : وليقسم للعالم بينهما قسمين ، كل واحد قادر على قسم .  
 قلت : الإله يجب عموم إرادته وقدرته . فإذا عمت لزم تعلق إرادة كل وقدرته لكل ممكن ، فيلزم التماثل بينهما .

وأيضاً أحد النوعين الذي تملقت به إرادة أحدهما أو قدرته ، إن مائل النوع الآخر الذي هو مقدور الإله في وصراده ، ازم عموم قدرة كل منهما وإرادته للنوعين ، ضرورة أن القادر على أحد المثلين قادر على مثله . وإن كان أحدهما جسماً والآخر عرضاً ، فهو محال من وجهين :

أحدهما : أن الجواهر والعرض لما لم يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر ، استحال تصور القدرة على أحدهما بدون الآخر .

ثانيهما : أن التمانح لا يفتنى بذلك ، على تقدير تسليمه ؛ لأنه من الجائز أن يريد أحدهما وجود الجواهر ، والآخر عدم العرض ، أو بالعكس . ونفوذ الإرادتين مستحيل ، فيلزم عجز أحدهما .

وأيضاً اختصاص أحد الإلهين بنوع دون نظيره ، يلزم فيه التخصيص من غير محض ؛ إذ ليس اختصاص أحدهما بنوع بأولى من اختصاص الآخر به ، فإن فرض تم مخصص لهما بما اختصاص به ازم حدوثهما . وهذا التخصيص لو كان باختيارهما لأمكن منهما تركه ، بأن يتصرف كل في مقدور الآخر وصراده . والقالى باطل للزوم التمانح ، فالقدم وهو كون التخصيص باختيارهما باطل ، فالتخصيص إما من الغير ، فذلك تخصيص بلا مخصص أو منهما ، وكل ذلك محال ولو تعدد الإله ، فإما بتعدد الممكنات وهو محال لما فيه من وجود ما لا نهاية له . وإن قلت : لا يلزم وجود ما لا نهاية له ؛ لأن المراد بالممكنات ما سبق به قضاء الله لا كل ما يمكن في العقل .

قلت : يلزم وجود الممكنات التي لا توجد مستقبلة بل لممكنات التي توجد لا نهاية لها ، كعصم الجنة ، وعذاب النار . وفي التعدد بقدر الممكنات تأخر بعض الآلهة عن بعض ، وإما لا يتعدد الممكنات وهو محال ، لاستلزام الجوار والحدوث ،

لافتقار وجود الآلهة على عددها المخصوص ، دون غيره من الأعداد المتعددة وية عقلا بالنسبة إليها إلى فاعل مخفّر ، وإلا ازم ترجيح أحد المتساويين بلا مرجع .  
وإن قلت : يلزم مثل ذلك في الوحدة لأن وجوده على ذلك دون تعدد يفقر إلى مخصص .

قلت : قام البرهان على أن الإله واجب الوجود ولا يتحقق الوجود دون ذات واحدة . ولزائد منها مستغن عنه . وفي الآية إيراد حجة المطلوب . ويسمى ذلك المذهب الكلامي .

الإعراب : مجموع إله نعت آلهة . والإعراب على آخر الجزأين والجزء الأول حرف ، وهو إله . قال السمعاني : إجماعاً وأجاز اللماميني أن تكون وحدها نعتاً ، وأنها اسم ، قل إعرابها لما بعدها ، لكونها على صورة الحرف والمعنى على كل حال : لو كان فيه آلهة مغايرة لله ، أي اتفق عن كل واحد منهما أن يكون هو الله تعالى . ولذا صح وصف ذلك الجمع المنكّر بقوله : إله الله وليست إلا الاستثناء ؛ لأن المعنى حينئذ : لو كان فيهما آلهة ، إله الله لم يكن بهما لفتقاً .

ومفهوم هذا المعنى أنه لو كان بهما آلهة فيهم الله لم تفسد ، أو ليس كذلك ؟ فإن الفساد يترتب على تعدد الآلهة مطلقاً .

وأيضاً آلهة جمع منكّر في الإنهات ، فلا عموم له ، فلا يصح الاستثناء منه . ولو قلت : قام رجل إلا زيد لم يصح ، خلافاً لبعض الأصوليين ، فإنه أجاز استعماله عاماً .

وأجاز للبرد أن يكفي في الاستثناء صحة للتناول ، بل لا بد من التناول بالفعل . وعليه فيصح المثل .

والله تعالى أنه يعتبر دخول زيد في الرجال ، وأنه واحد منهم - على معنى قام  
رجال فيهم زيد ، لكن لم يقم . وأما « إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط »  
فلاستثناء منقطع ، أو متصل ، على أن المراد بالقوم المجرمين : قوم لوط كما قال :  
« إنا أرسلنا إلى قوم لوط » ولكن الحكم بالإجرام حكم على المجموع  
وقال المبرد : « إلا » في الآية الاستثناء وما بعدها بدل ، محتجا بأن لو تدل  
على الامتناع ، وامتناع الشيء انتفاؤه . وزعم أن التفريع بعدها جائز ، وأن نحو  
لو كان معنا أحد إلا زيد أجوز كلام انتهى .

وقد مر عنه أنه يكتب بصحة الدخول ، وإن لم يدخل بالفعل ، لكن التحقيق  
عند الأصوليين أن دلالة الجمع المستغرق على الواحد بالمطابقة ، وأن أفراد الجمع  
آحاد .

ويزد كلام المبرد فسادا مفهومه - كما مر ، وأنه لا يقال : لو جاني دينار  
لأكرمته ، بذكر دينار المخصص بالنفي بعد لو ، ولو جاني من أحد أكرمته ،  
بإستعمال أحد ، وهو مثل دينار بعدما ، وبزيادة من وهي تزداد بعد النفي ونحوه .  
ولو كان امتناع « لو » قائما مقام النفي لصح أن يقال ذلك ، كذا فهمت من  
كلام ابن هشام .

ويجاب بأن الاستثناء يوسع فيه . ألا ترى وقوع التفريع بعد أبي والاستفهام  
الإفكاري ، نحو : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره » « ومن يفر الذنوب إلا  
الله » كما أشار إليه في التوضيح وغيره .

وقال الشلوبين وابن الصائغ : لا يصح النفي حتى تكون إلا بمعنى غير التي  
يراد بها المعوض والبدل .



ويرده أن المفهوم حينئذ أنه لو كان فيهما آلهة ليست بدلا من الله بل هو معها لم تقسدا ، وهو باطل ، إلا إن اعتبر مفهوم آخر ، هو أنه لو لم تكن فيهما آلهة بدلا من الله ، بل كان الله وحده لم تقسدا ، وإذا امتنع الاستغناء امتنع الإبدال لفروبه عليه ، واشتراط كونه من غير موجب .  
 (سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) عما يصف المشركون ، من الشراكة أو الجمعود ، ومن الولادة والزوجة .

قيل : العرش : جسم عظيم محيط بجميع الأجسام ، كيف يوصف خاقه ومالكه بتلك النقائق

وقيل : العرش : الكرمي .  
 (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ) من إيجاد وإعدام ، وإعزاز وإدلال ، وإسعاد وإشقاء ، وإضلال وهداية ، وغير ذلك سؤال رد ، وذلك لمظلمته وسلطانه وتفرد به بالالوهية ، وكل ما فعل فهو على حكمة . وذلك على ظاهره ، أو كناية عن كونه في غاية المظلمة والملك والحكمة والإتقان ، وليس في فعله خلل فضلا عن أن يرد عليه .

(وَهُمْ يُسْأَلُونَ) عما يفعلون ؛ لأنهم مملوكون مستعبدون يخطئون ، سؤال توبيخ وسؤال تقريع والضمير للذين كلهم والمشركون ؛ فإنهم السؤلون سؤال توبيخ على ما قرر في غير هذه الآية ، أو الآلهة المعبودة . فنقول الملائكة وعيسى وعزير والأصنام : لم نرض عبادتهم ، وإنا نلعنهم . ويجوز سؤال عالم عن شيء على جهة الاعتبار ، لا على جهة التفتك في الخالق ، وبحرنا .

روى أن موسى عليه السلام قال : يا رب إنك عظيم ، ولو شئت أن تطاع لأطعت . ولو شئت أن لا تُعصى لما عصيت ، وأنت نحب أن تطاع ، وأنت مع ذلك تُعصى .

فأوحى إليه : لا أسأل عما أفعل ، ولم يسألون . هذا مخزون على ، فلا تسألني عنه . فأعاد السؤال .

فقال له : لا أسأل عما أفعل .

فأعاد فقال له : هل تقدر أن تصر صرة من الشمس ، وتقدر على رد أمس ؟ فقال : لا لأرب .

فقال له : فقد نهيتك عن السؤال عن هذه المسألة . فإن عدت إليه ، جمعت عقوبتك نحو اسمك من أسماء الأنبياء أو الأنبيوة ، فلا تذكر إذا ذكروا . فكف عن السؤال عنها

وسأل عنها عيسى أيضاً ، فأوحى إليه : أن عزيراً سألتني عن هذه المسألة ، فكان من أمره كذا وكذا ، فكف عيسى أيضاً . عليهم السلام .  
( أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ) مثل الذي مر ، وأعادته استهظاما فكفرهم واطلب عليه منهم الحجة بقوله :

( قُلْ هَانُوا ثُرُفًا ثَلَاثَةً ) على ذلك من القتل أو النفل ؛ إذ لا يصح قول بلا دائل . كلف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا ، أو الأول بمعنى : هل وجدوا آلهة يشيرون الموتى فاتخذوهم آلهة ، لما وجدوا من خواص الألوهية ، وأعقبه بما يدل على فساد عقلا ، وهو قوله : « لو كان الخ » والثاني بمعنى هل وجدوهم آلهة في الكتب الإلهية فاتخذوهم ، وأعقبه بما يدل على فساد نقلا ، وهو « قل هانوا » الخ .

( هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ) أمي وذكرهم القرآن ( وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ) من الأمم . وهو النوراة والإنجيل وغيرها ، وهل وجدتم في واحد منها إلها آخر . والإشارة إلى جميع الكتب ، جمعت كلها شيء شيء حاضر محسوس ، أو إلى القرآن ؛ فإنه مضمن ما في غيره ، وما يه كان في الكتب السابقة .

وقيل : مَنْ مَعِي : مسلحو أمتي ، وَمَنْ قَبْلِي : مسلحو الأمم .

وقيل : المراد بذكر مَنْ قَبْلِي : التوراة والإنجيل .

وإنما أضيف الذِّكْر إلى مَنْ مَعَهُ وَمَنْ قَبْلِي ؛ لأنه عِظَمُهُمْ أو شرفهم .

وبعث الرسل بمسكن عقلا مع التوحيد ، ومع التعدد . وكذا إزال السكتب

فصح الاستدلال بالنقل .

وقرى بتقوين للذكرين ، فَنَ بَدَها مفعول به . وذلك من إعمال المصدر

المؤن ، جعله جار الله أصلا لإضافة المصدر لمفعوله .

وقرى بتقوينهما وإسقاط الميم بـدَها ، فذلك جرُّ لمع . وقيل : بمن وإدخال

من الجارة على مع غريب .

وقرى بتقوينهما وإسقاط مَنْ ، والظرفان نعمت للذكرين .

( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ) هو توحيد الله ، لا يعزونه من الباطل

وهو الشرك : كذا قول .

والحقيق أن المراد ماهية ما هو حق ، فينتج منه أنهم لا يعلمون هذا الفرد

العزير الذي هو التوحيد الذي تضمنته الماهية

ويجوز أن يكون الحق مفعولا محذوف ، أى أمدح الحق ، وهو التوحيد ،

أو مفعولا مطلقا ، أى حق التوحيد الحق الكامل .

وقرى بالرفع ، أى المدوح الحق ، وهو الواحد . أو للتوحيد الحق ، أو الحق

للتوحيد . وعلى اللصب بمحذوف والرفع ، تكون الجملة مترضا لما كيد بين السبب

الذي هو عدم العلم ، والسبب الذي هو الإعراض المشار إليه بقوله : ( هَهُمُ

مُعْرِضُونَ ) عن التوحيد واتباع الرسل والسكتب

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْنَا ) وقرأ حنص وحمة

والسكتب نوحى بالنون وكسر الحاء ( أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) وهذا

تكرار لقوله « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » ناكيدا . وإن أريد  
بالذكرين القرآن والفقرة والإنجيل فهو تعميم بعد تخصيص كذا قول .  
والظاهر جواز كونه تذكيرا وتناكيدا أيضا على هذا نظرا إلى أن الثلاثة  
متضمنة لمآثر الكذب . وكذا إن أريد بالذكرين معا القرآن والكذب ولو  
كانت أفر من الرسل ، لكن من لم يكن له كتاب منهم يحرق على كتاب من  
قبله أو معه .

والواو للرسول نظرا للمعنى ؛ لأن المعنى : وما أرسلنا قبلك الرسل إلا بوحى  
إلهم أنه الخ ، أو الواو للكفرة ، أو للعاص ، أى إذا قام عندكم دليل للتوحيد  
فاعهدون ، أى أطيعوني ، أو وحدوني  
( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) نزلت في خزاعة قالوا : إن اللائكة  
بنات الله .

وقيل في طائفة من اليهود قالوا : إنه تعالى صهر الحن ، فكانت منهم  
اللائكة . وقالت اليهود : عزيز ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابنه .  
( سُبْحَانَهُ ) تنزيهه عن الولادة ومقدماتها .

( بَلْ عِبَادٌ ) أى بل هم عباد . وإنما جمع لأن الولد يطلق على الثلاثة  
فأكثر كما يطلق على أقل .

( مُكْرَمُونَ ) مفضلون على غيرهم لما فيهم من أحوال وصفات ليست في  
غيرهم ، لا لأنهم أولادى وإنما هم خلق خلقهم بقدرنى للعبودية والخدمة ، والولادة  
تنافى للعبودية .

وقرى بفتح الكاف وتشديد الراء .

( لَا يَشْفَعُونَ ) لا يقولون شيئا قبل أن يقوله ، وهم بهذا في غاية  
الأدب . واللهق إنما هو للقول ، أى لا يسبق قوله ، ولكن أسبق إلى الذات



استهجاناً له وإما أنيب آل من الضمير اختصاراً وتجاوياً عن تكرير الضمير ،  
 فإنه لو قيل : لا يستقرنه بقولهم فيه ضميران : الواو والهاء ، المصطل بها اليم لواحد .  
 وقرئ بضم الياء دلالة على غاية الفاخر ، أى ليس من شأنهم اكتساب اللقب  
 ومما ناته . ولك أن تقول : آل لاحتية .

( وَهُمْ بِأَمْرِهِ ) بإذنه لا بفعله ، مطلق بقوله : ( يَفْعَلُونَ ) لا يعملون إلا  
 ما أمرهم به كما لا يقولون إلا بما قال .

( يَفْعَلُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ) أى ما قدموا ؛ لأن ما وقع كأنه شئ حاضر بين  
 الأيدي ولو مضى وانقطع ، من حيث إنه موجود .

( وَمَا خَلَقَهُمْ ) ما أخرؤا ، وبصح للمكس ، فلا حاطة علمه بهم ، راعوا  
 أحوالهم ، وحفظوا أوقاتهم ، نخوف العقاب ، وللإجلال .  
 قول : ما قبل خلقهم وما بعده .

( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ) إلا لمن رضى الله أن يشفعوا له ممابة  
 منه ، فهو لموافقة الجرد ، أو الزيادة المبالغة . فإذا كان مرضياً عند الله نشأ عنهم  
 إنما هي تعظيم ، وزيادة ثواب من الله بواسطتهم ، قد سبق به القضاء .

( وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ ) ممابته ( مُشْفِعُونَ ) من للابتداء ، أو للتعليل .  
 والخشية : أصلها الخوف مع التعظيم ، ولذلك خص بها العلماء ، والإشفاق :  
 احتراق القلب من الفزع وشدة توقع المسكروه .

وعن بعض : الإشفاق : خوف مع اعتناء ، وأنه إن عدى بمن فمع الخوف  
 فيه أظهر ، أو بمآلى فبالعكس . رأى ﷺ آيلة الإسراء جبريل ساقطاً كالجلس  
 من خشية الله سبحانه .

(وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) أى من الملائكة : (إِنِّى) وسكن الياء غير نافع  
وأبى عمرو (إِلَهُ مِنْ دُونِهِ) أى إله غير الله .

(مَذَلَّكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ) هذا تجميع لأمر الشرك ، وتهديد للمشركين .  
وقد سبق فى علمه أنهم لا يشركون ، فإنهم جُهلوا جَبَل من لا يعنى .

وزعم بعضهم أن المراد بمن يقل إبليس ، وأنه منهم ، أو من بينهم ؛ لأنه  
فيهم قبل إظهار شقائه . وردُّ بأنه لم يرد قط أنه ادعى الربوبية .

قلت : بلى ، فإنه كثيرا ما يقول للناس : اسجدوا لى ، كما روى عنه - الله -  
الله - مع امرأة أيوب . وكثيرا ما يدخل فى جوف الصنم ويتكلم ، فيُعبد الصنم  
على رسمه إلى غير ذلك . وقد قال الشيخ إسماعيل : إنه يدعو إلى عبادة نفسه  
فإنهم

وقيل : المراد من الجملة : الخلق .

(كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) من ظلم بالإشراك ، بادعاء الربوبية من غير  
الملائكة ، أو كذلك نجزي من ظلمه غير ذلك الإشراك الذى هو ادعاء  
الربوبية ، بل شرك آخر ، وكبائر أخرى ، من الجملة : الخلق .

قل بعضهم : تقرأ من قوله جل وعلا : « وما أرسلنا من قبلك من رسول  
إلا نوحي - إلى - الظالمين » سبع مرات لقسم الجهار ، على تراب مجرع من قبر  
مسلم وعمرانى وبه - ودى ومجرمى ومن بيت جبار قديم ومن دار خراب ودار  
خراب مرقوف وترش للتراب فى منزله كل أربعاء من آخر الشهر حتى نتم للسنة  
أو تسكتها وترش بمائها منزله كذلك .

(أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا) أو لم يعلموا . وقرأ ابن كثير بإسقاط الواو .  
(أَنَّ السَّمَوَاتِ) أى هذه الجملة التى هى سموات ، ولذا قال : كانتا ولم يقل : كن .

(وَالْأَرْضَ كَانَتْما رَتْقًا) ذاتي رتق ، أو مرتوتقتين ، أو أخبر بالمصدر  
 مهاافة . والرتق : للضم . كانت السموات شيئاً واحداً والأرض شيئاً واحداً .  
 (فَنَقَعْنَاهُمَا) سموات وأرضين ، أو كانت السموات متصلة ، كورقة  
 على ورقة ، والأرضون كذلك ، فرقت كل عن الأخرى ، أو كانت السموات  
 ملقاة على الأرض ، فرقت رفقت ، أو كانت السموات والأرضون شيئاً ، فنفق  
 سموات وأرضين ، وهو قول ابن عباس .

ومن كعب : كانتا مبرزتين ، فخلق ريحاً بوسطها فنفقهما .  
 وقيل : معنى كون السموات رتقا لا تمطر ، بناء على أن السموات كلها لها  
 مدخل في الإمطار ، أو المراد للسماء الدنيا ، وجهت باعتبار الآفاق . ومعنى كون  
 الأرض رتقا لا تنبت ، فنفقهما بالإمطار والإنبات ، وهو قول السكاكي . ولم أبحث  
 عن أصحاب الأقوال السابقة .

وعن الزجاج : للسموات جمع أريد به الواحد . وقد قال : كانتا بناء على  
 قول السكاكي ، ونفقت بعد الرفع قبل ويناسب قول السكاكي : رجعلها من الماء  
 كل شيء حتى .

وقالت فرقة : كانتا رتقا بالظلمة ، فنفقهما بالضوء .  
 قيل : وللرؤية على هذين القولين : قول السكاكي وقول للفرقة : رؤية عين .  
 قلت : لا تكون بالعين بل بالقلب ، فإسهم لم يكونوا موجودين في حال  
 كونهما ظلماتين ، ولا في حال كون السماء لا تمطر ، والأرض لا تنبت .  
 والمراد : ألم يعلموا أن الأمر قد كان كذلك ؟

وإن قلت : من أين علم الكفرة ذلك حتى قال : « أو لم ير الذين  
 كفروا » ؟

قلت : ما قال ذلك إلا بغير إنزال ما يعلمون . ذلك في القرآن . والقرآن  
ممعجزة يوجب العلم ، أو بعد ما علموا ذلك من الكتب الصابئة ، كالقوراة والإنجيل  
بواسطة علمائها ، أو قال ذلك لأن لم نظراً يوصلهم إلى ذلك لو استعملوه ؛ فإن  
العقل كون السموات والأرض متصلتين ، وكونهما منفصلتين ، فلا بد من  
كونهما على أحد الشقين ، وهو الاتصال من مختار مخصص .

هذا . ولك أن تجعل الرؤية مطلقاً رؤية بصر ، جعل ذلك كأنه شيء محسوس

لقوة الدلالة .

وقرى رتقا ، بالفتح للراء ، ولقاء معاً ، أى شيئاً مرتقياً كارتض معنى

الرفوض .

( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) الجمل معنى الخلق ، فله مفعول واحد

أى خلقنا من الماء كل شيء حى .

معنى خلقه منه : أنه جعل الماء أعظم ما بنى عليه ؛ فإنه مخلوق من النطفة .

والنطفة إنما هى من ماء وطعام ، وللطعام إنما هو من الماء ، وبعد خلقه يحتاج إلى

ما يتقوت به ، ولا قوت إلا من الماء ويحتاج إلى الماء نفسه للشرب وغيره ،

احتياجاً شديداً ، ولا يكاد يصبر عنه ، فسكانه مخلوق منه بعينه لذلك ، ولكونه

لا يحى إلا به ، كقوله : « خُلق الإنسان من عجل » ودخل في الشجر والنبات ،

فإنها خلقت بالماء ، وبه تحى .

وأيضاً خلق أبونا وتواب .

وقيل : والدخل بقية من طينته فالحيوان كله من الماء ولو اخذت

خلقته منه .



وقيل : الماء : النطفة قاله : الحيوان : الإنس والدواب إلا آدم وهبى .  
 قيل : والجن ، وإبليس - أبده الله .

والحق أن الجن منهم مَن يُخلق من النطفة ، بل هو غالبهم . والملائكة  
 أحياء لا من ماء ، ولا بقاء ، ولا من نطفة : وقرائن الخروج ما أخرجه من  
 العموم واضحة .

وعن أبي هريرة : أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إذا رأيتك طابت  
 نفسي ، وقرت عيني ، فأنبئني عن كل شيء .  
 فقال : كل شيء خلق من الماء .

فقلت : نبئني بما إذا أخذت به دخلت الجنة .  
 قال : أفش السلام ، وأطيب الكلام ، واصل الأرحام ، وقم بالليل والناس  
 نيام ، تدخل الجنة بسلام .

ويصح كون جمل تصديرية ، فإن الماء مفعول ثان ، وحتى فت كل شيء ،  
 أو كل على كل حال .

وفرى بنصب حتى نقا لكل ، أو مفعولا ثانيا للجمل التصديرى ، فيكون  
 من الماء متعلقا بجمل .

ويصح أيضا تعلوقه بحميا إذا جمل مفعولا ثانيا . ويبعد كون حتى بالجر نقا  
 لكل وجرا للمجاورة .

وإن قلت : إذا كان حيا مفعولا ثانيا عم الشيء الحيوان وغيره .

قلت : لا يهم إلا ما هو حى ، فإن ما هو كالحجر لا يقوم أنه مجعول حيا .

قال ابن هشام : أل فى الآية للحقيقة ، لا تخلفها كل ، لا حقيقة ولا مجازا .

وبعضهم يقول في آل التي للحقيقة : إنها لتعريف للمعد ؛ لأن الأجسام أمور معروفة في الأدب ن متميز بعضها عن بعض .

( أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ) مع ظهور الآيات ، ماء أبيض ، أو أصفر يكون منه أبيض وأصفر وأسود وغير ذلك ، وماء ينزل من السماء أو يخرج من الأرض شفاف ، ولا لون له تكون به ألوان وأجسام كثيفة . وفي ذلك توبيخ وإنكار عدم صلاح أسرم .

قيل : بكف « أو لم ير الذين كفروا - إلى - أفلا يؤمنون » صريم ولدت عيسى سيجعل الله بعد عسر يسرا . اللهم كما منعت الأرض بالنبات ، والسماء بالمطر ، فكذلك يسر لقلائك بنت فلاة الوضع .

فليحذر الإنسان - إلى قوله - شقاً ، لتسهيل الولادة ، أو تقرأ الآية على بطنها أو أسفل ظهرها . وإن ذلك مجرب صحيح .

( وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاقِيًا ) جبه لا ثابقات ، من رواقى تبت . ( أَنْ تَمِيدَ ) مفعول لأجله ، على حذف مضاف ، أى كراهة أن تميد ، أو حذر أن تميد .

ومعنى حد الله : ادع . واشتهر في كتب التوحيد أن الله لا يوصف بالحذر ، وهو بالمعنى الذى في الخوف ، للإيهام . فاتهم ، أو تقدر لا المافية ، بعد أن ولام القاميل قبلها . أى مثلاً ، بعد الإيهام ، كما زيدت آدم الإيهام من مثلاً يعلم ، على أحد وجهين . روى قال ابن عساق : تصف ، لحذف شيتين . والحق أنه لا تصف بذلك . أما اللام فيها شاع كثيراً جداً ، وأما لا تحذفها لدليل كسائر المحذوفات لدليل والأول قول البصريين .

قال : وقيل : أن بمعنى اللام ولا وهو خطأ . والتميد : التحرك : قيل : إن الأرض بسطت على الماء ، وكانت تتحرك كالسفينة في الماء ، فأساها بالجمال .

(يَبْرَهُمْ) ولو كانت تميد بهم لم يستغنوا منها ، ولم يتمكنوا فيها .  
 (وَجَعَلْنَا فِيهَا) في الأرض ، أوفى الرواسي ، أوفى الجمع ، إما لأن  
 الرواسي لما جعلت فيها كانت منها ، وإما لذكرها كما ذكرت الأرض .  
 (فَجَاجَا) مسالك واسعة ، ففيه معنى الوصف . والمفرد نج ، ولا يختص  
 بالجل ، خلافاً لبعضهم ، وهو مفعول جاعنا .  
 (سُبُلًا) بدل منه أى طرقاً نافذة .

وقائدة هذا الإبدال تضمن الدلالة على أنه تعالى جعل فيها المسالك واسعة  
 لمسايلة ، أعنى لمن يمشى في السبيل ، أى لمن يريد المشى في السبيل . وفيه بعض  
 توهم ، أو فجاجة حال من سُبُلًا ولو كان سُبُلًا نكرة ، لتقدم الحال . وإنما لم  
 تؤخر فتكون صفة . قيل : ليدل على تقديم على أنه حين خلقها ، خلقها واسعة ،  
 على صفتها الآن .

(لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إلى مقاصد في الأسفار وغيرها . ولعل للتعليل ، في  
 الأظهر .

(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَخْزُومًا) عن الوفوع بقدرته ، وعن الفساد والانفطار  
 والانحلال ، وعن استراق السمع .  
 وقيل : المراد الحفظ عن الوقوع .  
 وقيل : عن الاستراق . وذلك إلى أجل قد قرب يا أخى ، كالك بذك السقف  
 ذاب ووقع .

(وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا) الدالة على وجود الصانع ووحدته ، وكال قدرته  
 وحكمته ، من شمس وقر ونجوم ومسايرها ومطالعها ومقارها ، على حساب قويم  
 وترتيب عجيب .

(مُعْرِضُونَ) لا يستدلون بها على الواحد ولا يعبرون .

وقرى عن آيتها بالإفراد والإضافة للاستفراق ، فهو بمنزلة الجمع أو جُملن  
كأبن حجة واحدة .

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) بعض من تلك  
الآيات . قدم الليل لسبق الظلمة على النور .

وقدم الشمس لأن نور القمر منها وأقرب الأرض إلى السماء بيت المقدس ،  
بينهما اثنا عشر ميلا . وأبعد الأرض منها أيلة . والسماء كالقبة ، والشمس والقمر  
لم يلزقا بسمائهما ، بل كل في فلك دون سماءه ؛ لقوله : (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)  
يمشون بسرعة ، كما يسهج الإنسان في الماء ، وجوهمهما إلى السماء ، يضيئان في  
السماء ، كما يضيئان في الأرض ، قيل : الشمس في الصيف في الخامسة ، وفي الشتاء  
في السابعة . وتكلمت في غير هذا الموضع .

قال مجاهد : السماء : الدوران كفلكة المفل .

وعن بعض : كالطاحونة .

وعن بعض : ينجرون .

وعن بعض : يسهجون في طاحونة .

وعن بعض : إن الفلك : الجسم الدائر دورة اليوم والأولة .

وقيل : موج مكشوف .

وعن بعض : الفلك : هو السماء .

وقيل : جسم مسقذير دون السماء . والجدى كحديدة الرمح .

وزعم بعض أن تلك جرم صلب لا ثقل ولا خفيف ، لا يتقبل الخرق  
والالتمام والسمو والدنو ، وهو قول باطل . والمراد لكل الشمس والقمر . وتلك



وإنما عبر عن الشمس والقمر بضمير الجماعة ، باعتبار تعدد ظهورهما ، وكان  
الضمير واو للعقلاء ؛ لأن السباحة من فعلهم ، فكأنه شبههما بالعاقل ، فعبر بالواو  
والسباحة . وجملة المبتدأ والخبر مستأنفة ، أو حال من الشمس والقمر فقط ، لأنهما  
السابحان لا الليل والنهار .

هفل للشامتين بنا أفيتوا مبلقي الشامتون كما لئونا

كل ابن أبي وإن طالت سلامته يوما على آفة حرباء محمول  
وروى أن أبا ركان الأعشى قد انتطح إلى آل برمك ، ولما أمر الرشيد بقتل  
يحيى بن جعفر ، ودخل عليه القاتل ، فوجد عنده أبا ركان الأعشى بنفيه :  
فلا تحزن فكل متى سيأتي عليه الموت بطرق أو غداي  
مقال : في هذا ، والله أنيباك . ثم أمسك بيد جعفر وأقامه ، وضرب عنقه .  
مقال أبو ركان : فاشدتك الله إلا الحنفي به .

قال : أغنى عن الناس .

فقال : حتى أقامر أمير المؤمنين ، وأخبره بخبره .

مقال : هذا رجل فوه مضمع اضمه إيك . وانظر ما كان جعفر يحزیه  
عليه . أجزه عاوه .

( أَتَيْنَ نِسْ مَهْمُ الْخَالِدُونَ ) الهمة لإنكار الخلود ، وهي مما بعد الفاء

المعاطفة .

( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ) ولا يبقى إلا الحى الدائم . والدوق مهارة من

مقدمات الموت ، أى ذئقة مرارة الموت . وفى ذلك موعظة بالهمة .

وكان للنورى إذا ذكر الموت لا يُنتفع به أبدا . وكثرة ذكره ترد عن

المعاصى ، وتلين للقلب القاسى

قال الحسن : ما رأيت عاقلا قط إلا وجدته حذرا من الموت ، حزينا من

أجله . وطول الأمل بكسل عن العمل ، ويورث القوائى ، ويُميل إلى الهوى .

وهذا مشاهد بالعميان ، لا يحتاج إلى بيمان ، يطالب صاحبه ببرهان .

ولما دنا الموت من معاوية قال : الموت لا مَنجى من الموت . والذى يحاذر

بعد الموت أدهى وأظلم . ثم قال : اللهم أقل للمفترقة ، واهب عن الزلة وعد على

مَن لم يرج غمرك ، ولا يثق إلا بك ، فإنك واسع المغفرة ، وليس لذى خطيئة

مهرب منك .

وقيل لأعرابى : إنك تموت .

فقال : إلى أين يُذهب بى ؟

قلوا : إلى الله تعالى .

قل : ما أكره أن أذهب إلى مَن لا أرى الخير إلا منه .

وأوصى على أبافر - رضى الله عنه - : زُر النجور ، وتذكر بها الآخرة ،

ولا تزرها بالليل ، واغسل الموتى ، وصل على الجناز ، لعل ذلك يحزنك ، فإن

الحزين فى ظل الله .

ودخل ملك الموت على داود فقال : مَن أنت ؟

قال : الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا .  
 قال : فانت إذا مَلَكَ الموت ، ولم استعد بعدُ .  
 قال : يا داود أين جارك فلان ، وأين فلان قريبك ؟  
 قال : ماتا .

قال : أما كان فيهما عبرة لستمعدا !  
 وأجعت الأمة أن الموت ليس له زمان معلوم ولا مرض معلوم . فليكن  
 المرة على أعباء من ذلك  
 فبينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالملح إذ شرق الصبي بهما  
 فهاهنا فقال :

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح مادم - ويحك يا مفرور - في مهل  
 ترجو حياةً صحيحاً ربما كنت له المنيعة بين الزبد والملح  
 وسمع أبو الدرداء رجلاً يقول في جنازة : مَنْ هذا ؟  
 قال : أنت . فإن كرهت ما أنا .

وكان يزيد الرقاشي يقول : أخبروني مَنْ كان الموت موعده ، والنبر بيته .  
 وللثري مسكنه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينظر للفرع الأكبر ، كيف يكون  
 حاله ! ثم يبكي حتى يغشى عليه .  
 ( وَبَيِّنْ لَكُمْ ) فماملكم معاملة الخبير ( بِالْأَشْر ) ما تكرهه النفس ،  
 كالقتر واذل .

( وَالْخَيْرِ ) كالغنى والعز ، هل تصبرون وتشكرون أم لا ؟  
 وقدم الشر لأن العرب كما تقدم الخير تقدم الشر وذلك من عذتها ، ولأن  
 الشر يتوادر إلى النفس أن الابتلاء به أشد .

( فِتْنَةٌ ) مفعول مطلق ، كقعدت جلوسا .  
وقيل : مفعول لأجله . وفيه أن الشيء لا يملأ بنفسه إلا إن أريد بالفتنة الإيقاع في الضر لا الاختبار .

( وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) للجزاء الذي هو المقصود بالابقاء في هذه الدنيا .  
( وَإِذَا رَأَوْا كُفْرًا كَفَرُوا ) ما ( يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا ) أي ذاهزو يستهزئون به - أو مهزوءا به - أو حكم بأنه عند نفس الهزو مباينة .  
قيل : نزلت في أبي جهل مرة به ~~فصل~~ فضحك وقال : هذا نبي بني عبد مناف  
( أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ) مفعول محذوف ، أي يقولون على جهة الإنكار والهزو ، هذا الذي ألح ، أو مفعول للهزو ؛ فإنه سخر به باللسان .

ولم ير بالذكر : الذكر بالغيب ، لدلالة الحال أن العدو إنما يذكر عدوه بالسوء . ومثله : « سمعنا متى يذكرهم » تقول العرب : سمعت فلانا يذكر كرك . فإن كان صديقا فالذكر بخير ، أو عدوا فبشر . أورد المسند إليه اسم إشارة للتقريب تحقيرا له .

( وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّسُولَ كَمَا كَفَرُوا ) ثم الثاني تأكيد الأول . والذكر : القرآن ، أو التوحيد ، أو إنزال الكتب وإرسال الرسل ، أي منكرون لذلك .  
وهم أحق بالهزو ، حيث عكفت همهم ، وقصرت على ذكر آلهتهم بما لا يجوز ذكرها به ، من كونها شامة ، ويسوؤهم أن يذكرها ذاكر بخير ما يذكرونها ، وكفروا بأرحم جن جل وعلا ، بل بذكره .

أو المعنى أنه غاظهم ذكر كرك آلهتهم بالسوء ، والله قد ذكرهم أنفسهم أعينهم بالسوء لإشراكهم ، وهم لا يصدقون بذكره لهم بالسوء غافلون . والجملة حال من وار يتخذونك .



وقيل : أنكروا تسمية الله جل وعلا بالرحمن وقالوا : ما نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة ، وهو مسيلة . فنزل ذلك .

وإن قلت : إذا كان ثم الثاني تأكيداً للأول ، فهل اتصل به ؟  
قلت : بحفاة عن تكرير لفظ في محل واحد . وكثيراً ما يكون التكرير للفصل نحو : فيك زيد راغب فيك .

( خُلِقَ الْإِنْسَانُ ) الجنس : آدم ومن دونه .  
( مِنْ عَجَلٍ ) هو كثير العجلة ، دُرِطَ فيها ، حتى كان مخلوقاً منها ، كما تقول في مهافة كرم زيد : إنه مخلوق من الكرم . ومن عجلة مبادرته إلى الكفر ، واستعجال العذاب .

وقد قيل : إنها نزلت في الضر من الحارث ، حين استعجل .  
وقيل : الإنسان : آدم : خلق هجولاً . وكانت ذريته كذلك .  
ومن مجاهد : خُلِقَ آخر الساعة من يوم الجمعة ، لما دخلت الروح عينيه ورأسه ولم تبلغ أسفله ، قال : ربي استعجل بخلقى قد غربت الشمس . وكان خلقه بعد سائر الأشياء .

وروي أنه لما دخل الروح عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، ولما دخل جوفه اشتهى الطعام ، فأراد للقيام فهل أن تبلغ إلى رجليه عجلًا إلى ثمار الجنة فوقع .  
وعن ابن عباس : بلغت الروح صدره فأراد القيام .  
وقيل : المعنى : أنه خلق بمرة على غير قياس بنيه ، فإنهم نطفة فملكة فضفة وهكذا .

وعن بعض : أن في الآية قلباً ، أي خلق العجل من الإنسان ، كما قرئ به .  
وقيل : العجل : اللطين باغة حمير قال الشاعر :  
والماء في لاسخرة السماء مغبرة  
والفخل يفت بين الماء والعجل

قلت : الظاهر أن البيت مصنوع واسكن في التاموس : المعجل - بالحركة  
أو بالسكون - : اللطين أو الحما . والمعجلة ولو خاق عليها الإنسان لكنه قد أعطى  
قوة يستطاع بها ترك المعجلة ، وليس كلما بما لا يطيق .

وقرى : خلق الإنسان ، بالبناء للفاعل والغصب .

( سَأُزِيلُكُمْ آيَاتِي ) مواعدي بالذاب ، كوقمة بدر ، ويوم القيامة ،  
وعذاب الدار . وكانوا يقولون : متى هذا العذاب الذي توعدنا به في الدنيا ؟  
متى يوم القيامة وعذابها ؟

( فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) بالإتيان بها .

( وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ ) خطاب للهي وللمؤمنين .  
( صَادِقِينَ ) فيه .

( لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ  
ظُهُورِهِمْ ) ذكر الوجه من قدام ، وهو أعز الأعضاء للظاهرة ، وذكر الظهر من  
خلف .

والمراد أن النار تعمهم كلهم من خلف وقدام فإذا كانت لا تمنع من الوجه  
فأحرى أن لا تمنع من غيره . وجواب لو محذوف لدلالة المقام والسياق عليه .  
وحين مفعول يعلم بمعنى يعرف .

والمراد معرفة شدة ذلك الحين ، أي لو يعلمون ذلك الوقت فتصعب الذي  
يغمسون فيه في النار غمماً ، لا يقولون أنفسهم عنها بشيء .

( وَلَا هُمْ يَنْصَرُّونَ ) بالمنع منها ، لما كانوا بقلات الصفه من الكفر والاستهزاء  
والاستعجال وجهلهم هو الذي هوته عندهم ، أو يعلم على بابه ، والمفعول الثاني  
محذوف ، أي لو يعلمونه صعباً ، أو لا مفعول له أصلاً تنزيلاً له منزلة المقام ، أي

لو كان عديم علم . وعليه فالوقوف على كفرهم وحين مقام محذوف ، أى ينتفى عنهم هذا الجهل ، ويعلمون أنهم على الباطل ، حين لا يكفون . وأقام للظاهر وهو الموصول مقام الضمير إيداناً بصاته بأن كفرهم هو الموجب لذلك الخزي . وإنما فصل بالغار بين الظهر والوجه ، ليوكون ذكرها متصلة بالوجه أدعى إلى ترك الكفر .

وقيل : الأصل : لا يكفون عن وجوههم للغار ، ولا عن ظهورهم للباط .  
( بَلْ تَأْتِيهِمْ ) أى القيامة والساعة ، دلالة للهق أو للغار ، لتقدم ذكرها .

( بَغْفَةً ) فجأة ( قَتَبَهُمْ ) قتلهم وتخيرهم .  
وقرأ الأعمش بأنهم وبسهم ، بالإنشابة النحوية ، والضمير للوعد أو للحين . ويجوز عوده إلى أحدهما فى القراءة الأولى ؛ لأن الوعد بمعنى للعدة . والحين بمعنى الساعة . وقرئ أيضاً بفتح الفين .

( مَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدًّا ) زعم بعضهم أنه يجوز عود ضمير الثأيت بعد بغفة إلى فئة . وفيه رجوع الضمير إلى الحال وهو ضئيف . ومعنى بغفة : ذات بغفة ، أو باغضة ، أو لا يؤول مباغلة .

ويجوز كونه مفعولاً مطلقاً أو أنهم بمعنى تبغهم ، أو اتفقت محذوفاً .  
( وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ) يملكون بقوبة أو معذرة . فيه تذكير وإيماء إلى أنهم فى الدنيا فى إسهال ، لو اتفقوا به .

( وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ بْنِ قَبْلِكَ ) كما استهزى بك ، فاصبر كصبرهم .  
( فَحَاقَ ) فأنزل وأحاط ( بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) وهو للعذاب .

ويحوز وقوع « ما » على الأقوال التي يستهزون بها على الأنبياء المرسلين ،  
على حذف مضاف أى جزاء ما كانوا الخ نسويحيق لا محمد بنومك المستهزين  
ما جاق هؤلاء .

( قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ ) يحفظكم ( بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) أى من  
عذابه . والاستفهام إنكارى ، أى لا أحد يكفؤكم من عذابه لو نزل . والمخاطبون  
لم يخافوا المذاب أصلاً لإنكارهم له . ولفظ الرحمن للدلالة على أن تأخير المذاب  
من رحمة للعامة ، ومن متعلق بكفؤكم .

ويحوز أن يكون المبنى على " تقرير " ، أى من هؤلاء الذين هم من الرحمن  
يحفظونكم مما لم قدر عليهم ؟

الجواب : إنهم ملائكة . والكفرة ولو لم يكن عندهم علم بذلك لكان من  
شأنهم أن يملوه ويصدقوا به ، لكثرة الإخبار به .

وعن مجاهد : ما من آدمى إلا ومعه ملك كان يحفظانه في ليله ونهاره ، ونومه  
ويقظانه ؛ من الجن والإنس والدواب والسماع والهوام والطيور ، كلما أراد به شئ .  
قالا : إليك حتى بأتى القدر .

( بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ) وذكره : أمره ونهيته ، وثوابه وعقابه  
فى القرآن والسنة ، لا يخطر ذلك ببالهم ، فضلاً عن أن يخافوا عقابه .

( أَمْ ) للإِنْكار ( أَلَهُمْ آلِهَةٌ تَتَّبِعُهُمْ ) من المذاب ( مِنْ دُونِنَا ) أى غيرنا  
( لَا يَسْتَطِيعُونَ ) الآلهة . ويبر عنها بالواو ؛ لأنها عندهم منزلة اله قىل .

قال ابن هشام : وقد استعمل الواو لغير المعقلا ، إذا نزلوا منازلهم ، نحو :  
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا » .

( تَهْرَأْتُمْ أَنْفُسَهُمْ ) فكيف يهضرونكم .



(وَلَا تُمْرِنَّا يُصْحَبُونَ) قال ابن عباس : لا يمحرون هذا ؛ لأن النعم من لوازم الصحة ومساكنها .

وقيل : لا ينصرفون هذا . وعُدِّي على هذا بمن ؛ لأن النصر فيه منه .

وقيل : لا يصحبون هذا بخير .

وقيل : لا يصحبهم أحد هذا ، أى لا يرسل إليهم شافعاً ، من لآ أو نبى ، فإنها تلقى معهم في النار أمدباً لهم بها لا لها .

وقيل : الضمير الأول الآلهة ، والثانى لما يديها .

وقيل : كلاهما لما يديها ، لا يستطيعون نصر أنفسهم بأنفسهم ولا بغيرها ،

ولا يصحبون هذا .

(بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ) الكفرة ، استدرأجاً بالصحة ، وطول العمر ، والمال ،

والنعم .

(وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أى ظهر لهم طوله ، فاعتبروا بذلك ،

وظنوا أن لا يزول عنهم .

وقيل : المراد طال عليهم العمر بلا محىء رسول إلى أن جاءهم محمد وبلى في

« بل نأتيهم » للانتقال إلى ما هو أعظم من عدم كفرهم بالنار عن أنفسهم ، وهو

كون وقت ذلك يأتى بنقطة ، أو الإضراب عما يتقوهم من مد ، أو امتناع الوقوع .

والإضراب في قوله : « بل هم عن ذكر » الخ ، والإضراب في قوله : « أم

لهم » إلى آخره ، هما عن الأمر بالسؤال على الترتيب ، فإنه عن المعرض الغافل عن

الشيء بعيد . وإنما يُسأل عن الشيء المقبل إلى ذلك الشيء العالم بحاله ، وعن المعتقد

لنقيضه أبعد .

والإضراب في « بل متعنا » هو مما توهوا ، أضرب عنه ببيان ما هو

الداعى إلى حفظهم ، وهو الاستدراج ، أو أضرب عن الدلالة على بطلانه ، ببيان

ما أودهم ذلك ، وهو أنه تعالى منهم بذلك ، فهو هو ، بسبب ما هم عليه ،  
وهو أمل كاذب كما قال : ( أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا )  
بتسليط المسلمين على أهلها الكفار ، ينقصها الله للنبي ﷺ وللمؤمنين ، ويزيل  
حكمهم منها ويطوى نشرهم .

والإتيان : الإرادة هنا والقصد ، كأنه قيل : نريد ما بالنقصان . ونقص حال  
مقدرة . ولو قال : أفلا يرون أننا ننقص الأرض من أطرافها لصح ، لكن عبر  
بالإتيان تصويراً لما يحرق الله على أيدي المسلمين ، من أنهم يأتون أرض المشركين ،  
ويغزونهم ويغلبونهم ، أو كما يقول السلطان : قتلنا في موضع كذا وكذا غالبين  
وإنما قتلنا جنوده .

أو الأصل : يأتيها جنودنا ، فحذف المضاف فتاب المضاف إليه ، فجى . ينقص  
موافقاً له ، والأصل : ينقصونها .

( أَمْهُمْ الْبَائِبُونَ ) لا بل الغالبون هم النبي ﷺ والمؤمنون ، بالقهر وموت  
رؤوس المشركين المستعجلين ، ألا يصدقون بمحمد !!

وعن ابن عباس : نقصها من أطرافها : إمالة فقهاؤها وعلماؤها .  
قيل : موت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد .

ومراد ابن عباس : الفقهاء والعلماء من الأمم السابقة يميمهم الله ، ويبقى الناس  
بلا دين ، ويطيل أعمارهم في المعاصي ، وذلك استدراج شديد ، وهم المفرطون  
في أخذ الدين ، حتى مات أهل . وليس ذلك ليكونوا غلبين ، بل ليوتوا كفره  
على يد غائبهم ، وهو النبي ﷺ . والأول قول الحسن .

وروى عنه أن الله جل وعلا يبعث قبل القيامة نارا تطرد الناس من أطراف  
الأرض إلى الشام ، تنزل إذا نزلوا ، وترحل إذا رحلوا ، وتقوم القيامة عليهم  
في الشام ، وإن ذلك هو قوله : ننقصها من أطرافها . أميظن المشركون أنهم

يفاجئون هذا الأسر ، ويمتنعون منه كأنه قال : أفلا يعلمون ذلك ، وإن لم يعلموا فليعلموا .

( قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ) بما أوحى الله إلى ، لا من قبل نفسي .

( وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ ) جمع أصم ، كحُمُر جمع أحر .

( الدُّعَاءُ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ) شبه عدم العمل بما يسمعون بعدم السمع ، فاستعار

له اسم عدم السمع ، وهو لفظ للصمم ، واشتق منه الصم . واستعير هؤلاء الذين لا يعلمون ، ووجه الشبه عدم الانتفاع .

وقرى بالبناء للمفعول من أسمع ، والصم مفعول أول نائب عن الفاعل .

وقرى بضم الياء وكسر الميم ونصب الصم ، والفاعل ضمير الرسول ، أى

إنا أنا رسول أنذركم بالوحي ، وليس على الرسول إسماع الصم الدعاء . وذلك من جملة الأمور بأن يقوله ، على القراءات الثلاث . ويحتمل أن يكون من كلام الله .

وقرأ ابن عاصم بقاء مضمومة خطابا من الله جل وعلا لرسوله ﷺ

وكسر الميم .

والمراد بالصم ، الكفار المدكورون ، فهو موضوع موضع الضمير ، للدلالة

على أن الصمم سجيئة لهم يداومون عليها ؛ لأنه يعرض لأحد عدم السمع ، انصوا غفلة ، ثم يرجع بسمع ، والهمزة الثانية مسهلة إلى الياء ، ومنهم من يحذفها كالتى قبلها .

( وَآيِن مَّسَّهُمْ نَفْحَةٌ ) أى وقعة خفيفة .

( يَنْ عَذَابٍ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا ) لعنبيه أو لعنائه ، والمغادى محذوف

والويل : الهلاك .

( إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) بالإشراك وتكذيب النبي محمد . إذا كانوا بهذا الضعف وعدم العصاة ، بحيث يصر خون هذا المريح ، بعذاب قليل ، فلم يحسروا على ما يوجب للعذاب الشديد ؟

وقد بالغ في تقليل ذلك للعذاب الذي يصر خون به ، بثلاثة أشياء : بالمس ، وبالمفح ، فإنه في معنى القلة . نفحة الدابة : رمحه يسرها ، وبصيفة المرة وعن ابن عباس للمفحة : الطرف .

وقيل : المراد بها هذا النفحة التي يهلك الناس بها . وفيه أنهم إذا سمعوا لم يلبثوا قدر ما يقول ذلك ، إلا أن يقولوا بعد الارت ، أو يخطر في قلوبهم ، في ذلك الوقت الضيق .

( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ النِّسْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) النسط : مصدر نعت به مبالغة وإذا أمر دكاها لشدة قسوطها نفس للنسط ، أى العدل ، أو بقدر مضاف ، أى ذوات النسط ، أو يؤول بقاسطة ، بمعنى عادلة .

والحق عندنا - معشر الأباضية - أن وضع الموازين كذبة عن إثبات الحساب في المكلفين ، وجزائهم على أعمالهم ، أى يبالغ في الحساب مبالغة شديدة كما قال :

( فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ) أى ظلمًا ، أو مفعول ثان لتظلم ، بمعنى تنقص ، أو تميز محمول عن اللائب على هذا المعنى ، أى لا ينقص شيء نفس ، أى علمها ، أى لا ينقص من حسناتها ، ولا من سيئاتها ، اللام ظرفية ، أى في يوم القيامة . قاله أبو حيان وابن هشام . وعن بعض بأنها بمعنى عقد .

وقيل : للتعليل ، بلى حذف مضاف ، أى لأجل يوم القيامة

وقال الشنوائى : أر الجزاء يوم القيامة .



( وَإِنْ كَانَ ) تامة بمعنى حصل ( مِثْقَالَ ) زنة ( حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ) ما يرى في الشمس من الهباء ، أو بذر اللفت ونحوه .  
 وقرأ غير نافع بنصب منقل على نقصان كان ، وسمها ضمير للفعل ، قيل :  
 أو في غير الظلم ، وهو ضعيف ، إن لم يكن باطلا .  
 ( أَنْيَدْنَا بِهَا ) اللواء للتمدية ، أي أحضرناها ، وضمير المؤنث المنقل ، وإثمة  
 أنت اتأويله بالزنة ، أو لإصاحته المؤنث ، مع صحة الاستغناء عنه ، فإنه لو قيل :  
 وإن كانت حبة من خردل ، اظهر المراد .  
 وقرأ ابن عباس ومجاهد أنيذا بالمد ، أي أعطينا صاحبها ثوابها أو عقابها  
 وعدّى بآباء ، انضمه معنى المجازاة ، أو هو بمعنى المؤاناة ، فإلهم أنوا بالعمل ،  
 وأقام بالجزاء .

وقرأ حميد أنيذا بها ، من الثواب . وقرأ أبي جهمها بها .

( وَكَفَىٰ بِنَا ) الباء صلة ، ونا فاعل به .

( حَاسِبِينَ ) حال لا يتميز ، لضعف كون التمييز وصفاً . والمضى : إن حسابها  
 كاف فوق كل حساب ؛ لكمال علمنا وحفظنا . وفي ذلك ترغيب في الحسابات  
 ومعد عن السيئات قال ﷺ : لا تفمروا بالله ، فإنه لو كانت مَفْغَلًا شيئاً لأغفل  
 للذرة والبهوضة والخردلة .

### ﴿ نَصْل ﴾

مذهبنا .. معشر الأباضية .. كما مر - أن الميزان عبارة عن إثبات الحساب  
 والجزاء ، وإظهار أن نعلك أيها المكلف كذا وكذا ، قد أوجب لك من  
 الخير أو الشر كذا وكذا أصح . وإن شركك مقهور ، وخيرك مقهور .  
 وإن خيرك غير مقهور ، وشررك مؤاخذ به ، وذلك مذهب أكثر المعتزلة .

وقالت الأشعرية وغيرهم : إن الميزان . ميزان محمود وكفتين واسان ، وإن طول الدنيا وسعة كفتيه سعة السموات والأرض .

وروى أن داود - عليه السلام - سأل ربه أن يريه الميزان ، فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب . فلما رآه غشي عليه ، ثم أفاق وقال : إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات ؟

قال : يا داود إني إذا رضيت عن عبيدي ملأتها بقمرة .

وذكر أحمد بن حنبل وابن حبان والحاكم ومسلم والترمذي وابن ماجه واللفظ للترمذي عن عهد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : إن الله عز وجل سيستخلص رجلا من أمتي على رأس الخلائق يوم القيامة ، يُؤمّن عليه تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مثل مد القبر ، ثم يقول : أتذكر من هذا شيئا ؟ أظلمك شيئا كذبتني الحافظون ؟

فيقول : لا يا رب .

فيقول : ألا عذر ؟

فيقول : لا يا رب .

فيقول الله تبارك وتعالى : بل لك عندنا حسنة ؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فيقول : احضر وزنك .

فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟

فيقول : فإنك لا تعلم فتوضع السجلات في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء .

والسجل : الكتاب الكبير . والبطاقة : الصغير . والطيش : الخفة . وأجر

الشهادة كما ذكرُوا وأكثروا ، ولكن المراد أن ذلك لمن مات تائباً ، فيظهر الله  
أن ذنوبه مثل تلك السجلات ، وأنه لما تاب قبلت توبته ، غلبت عليها شهادته .  
ونسبوا كونه ميزاناً في كفتين وهو ولسان إلى الحسن ، رذكروا أن الكفة  
اليمين كفة نور توسع فيها الحسنات ، واليسرى توسع فيها السيئات ، وهي كفة  
ظلمة . فبعض يقول : ليس علينا البحث عن كيفية الوزن ، بل تؤمن به ونفوض  
كيفية إلى الله تعالى .

وقيل : توزن صحائف الأعمال .

قلنا : إذا تكون الزيادة في الموزونات من الأعمال .

وبعض يقول : تجعل الحسنات أجساماً نورانية بهضاء حسنة ، والسيئات  
أجساماً ظلمانية قبيحة ، جواباً عما يقال : إن الأعمال أعراض لا توزن ، وأنها  
قد عدمت ، فلا توجد . سلمنا أن الله قادر على قلب الأعراض أجساماً ، بل وعلى  
إيجاد الأعراض الممدومة وعلى وزنها ، لكن لا فائدة في الوزن ، مع أن الله عالم  
بمقاديرها ووزنها غيب .

وإن قالوا : فائدته امتحان العباد بالإيمان بالغيب في الدنيا ، وجعل ذلك  
علامة لأهل السمادة والشقاوة .

قلنا : هذا موجود في تفسيرنا الميزان ، بتعريف العباد ، ما لهم من الجزاء على  
الخير والشر ، وإحضار ذلك الجزاء .

وبعض يقول : يخلق الله أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلبها . وفيه  
ما في الذي قبله . وإذا أدحضت حججهم قالوا : إن لوزنها حكمة أبهىها الله ، كما  
صرح به بعض ، وأن ذات الميزان لا تعرف من أي شيء هي ؟ وما ورد في ذلك  
من الأخبار فمعناه معنى الآية الذي أوضحناه .

فمن ذلك ما روى عنه عليه السلام أنه يوزن الصحف : فممن وزنها الجزاء بما فيها  
وترجيح خيرها على شرها ، أو شرها على خيرها .

وزعم بعضهم أن الراجح في ذلك الميزان يرتفع والمرجوح يتسفل . ولا توزن  
أعمال المشركين لقوله : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » عند بعضهم .  
والراجح عندهم وزنها ؛ لقوله عز وعلا : « ومن قات - إلى - تكذيبون » .  
وأحيب عن الآية الأولى ، أن المعنى احتقارهم ، وأهم لا قدر لهم في الآخرة .  
أو أنه لا قيمة لهم وزن نافع .

وقالوا : إنه يوزن سيئات من لا حسنة له إعلانا بقصوحه ، وحسنات من  
لا سيئة له ، إعلانا بشرفه .

وقول : بعض الكفار يسجل بهم إلى النار بلا وزن ، وبعضهم يوزن له ،  
ويبقى في النار

وقال الفزالي : من الأمة سبعمون ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ، لا يرفع لهم  
ميزان ، ولا يأخذون صحفا ، يكتب لكل واحد صحيفة ، فيها برائة فلان ابن  
فلان . ولا توزن أعمال الأبياء ، ولا أعمال الملائكة .

قال أبو الحسن الفايومي : وللصحيح أن الحوض قبل الميزان . وما ذهب إليه  
أبو طالب المكي وغيره أن الحوض بعد الصراط غلط فيه .

وأحيب عن قوله عليه السلام لأبي : إن لم تلقني عند الصراط فاطابني عند  
الميزان ، فإن لم تلقني عند الحوض ، فإن الذكر فيه بحسب الأهمية .

وسمح الفرطبي أن للنبى عليه السلام حوضين ، كلاهما يسمى كوتر ، وأن الحوض  
الذى يذره من بدل أو غير ، يكون في الموقف قبل الصراط .



وإن قلت : إذا كان الميزان بمعنى ما ذهبت إليه ، أو بمعنى ما ذهب إليه  
القوم فكيف جمع ؟

قلت : جمع إما للمعظم ، وإما نظراً لتعدد الموزون ، وإما لأن لكل صنف  
من الأعمال ميزاناً ، وإما لأن لكل مكلف ميزاناً . أقوال .

والجمهور على أن الميزان واحد .

قيل : إن الموازين جمع ، ووزن .

واختلفوا : هل تجعل حسنات لعباد كلها في كفة النور ، وسينئاتهم في كفة

الظلمة ، ويخاف الله علماً ضرورياً لكل إنسان ، يعلم به خفة أعماله ، أو ثقلها ؟ أو

يقوم عمود من نور من كفة النور ، ينفطى كفة الظلمة ، يظهر السعيد ،

وبالعكس للشرى ، أو يوزن عمل كل أحد على حدة ، كما رزقهم على كثرة

عددهم ؟ أقول .

قالوا : وصف الأعمال التي توزن كلها تحت الأرض . وهل الحوض مختص

بهم ؟ أو لكل نبي حوض بقاءهون أبيهم كثر ورث حوضه ، كما روى

في حديث غريب لا تقوم به حجة ؟ قولان .

( وَقَدْ تَبَيَّنَا مُومِي وَهَرُونَ الْفُرْقَانِ ) للتوراة الكثيرة : المورق بين

الحق والباطل .

( وَصِيَاءَ ) هو التوراة أيضاً ؛ لأنه يسقضاء بها في ظلمت الجمل .

( وَذِكْرًا ) هو هي ؛ لأنها عظة . ( لِلْمُتَّعِينَ ) وأما غيرهم ممن سبق في علم

الله أنه لا يكون مستقيماً ، فلا يمحط بها .

وبحتمل أن يكون مصدرين ، أى وضواء بها ، وذكرها بها . فعلى الأول

يكون ذلك كطف صفة على أخرى ، كقوله : جاء الرجل الكريم والعالم  
والورع ، وأنت تريد بالكل واحداً ، أن في إيمانها كقابا جامعاً بين تميز  
الحق والضوء والوعد .

وقرأ ابن كثير وضيئاً بهمزة قبل الألف وبمدها ، ومساها في سورة  
يونس - عليه السلام .

وقرأ ابن عباس ضياء ، بدون واو ، على الإبدال ، أو الحالية من الفرقان .  
ومنه : الفرقان : الفتح والنصر ، كقوله عز وعلا : « يوم الفرقان » .  
ومن الضحك : فلق البحر .

ومن محمد بن كعب : المخرج من الشهات .  
وقيل في الذكر : إنه ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم ، أو  
للشرف .

( الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ) نعمت ، أو يقطع إلى الذنب أو الرفع مدحاً .  
( بِالْغَيْبِ ) حال من الواو ، أى يخشونه ، وم لا يرونه ، أو يخشونه وم  
غائبون عن أعين الناس ، على ما يأتى في مثل هذا الموضع ، أو متعلق بـ يخشون ،  
أى يخشونه في الخلوة عن الناس كما يخشونه في حضرتهم .

( وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ ) وأهوالها

( مُشْفِقُونَ ) خائفون . ولو قال : الذين يخشون ربهم ومن الساعة يشفقون  
أو مشفقون من الساعة لصح . لكن صدر الجملة بالضمير ، وبني الحكم عليه مبالغة  
وتعويضاً بأن الكفار غير مشفقين منها لأنكارهم إياها .

( وَهَذَا ) أى القرآن . ( ذِكْرٌ ) لك يا محمد ، كما أن التوراة ذكر لموسى

وهارون .

(مُبَارَكٌ) كثير الخير .  
 (أَنْزَلْنَاهُ أَفَانْتُمْ لَهُ مِنْ كُرُونِ) الاستفهام توبيخى .  
 (وَأَقْدَ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ) الاعتداء لوجوه الإصلاح، من الهدى والنبوة  
 وغير ذلك ، كتوبيخه إلى الجواب السديد .  
 وإن قلت : إذا كان له رشد موجود فتوبه : آتيناه إياه نحصول الحاصل .  
 قلت : لا بل المعنى : آتيناه ما له عندنا من الرشد فى قضائنا ، أو المراد :  
 آتيناه رشداً يليق بمثله ، وهو رشد له شأن .  
 (مِنْ قَبْلُ) قبل موسى وهارون ومحمد .  
 وقيل : قبل استنبائه .  
 وقيل : قبل بلوغه ، وهو وقت خروجه من الشرب وقوله : إلى وجه .  
 وعن مجاهد : الرشد : الهدى .  
 وعن الحسن : النبوة .  
 وقرئ بفتح الراء والشين .  
 (وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) أى عالمين بأحواله البديعة وأسراره المعجبة ، وصفناه  
 المرضية المحمودة ، المثبتة لأن يكون أهلاً لذلك . وفى ذلك نداء جسيم ، وإشارة  
 إلى أن فعله - عز وجل - باختيار وحكمة ، وأنه عالم بالجزئيات .  
 (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) إذ متعاق بعالمين ، أى هو فى حال القول ، قد علمناه  
 كما علمناه فى سائر الأوقات ، فلم يفلحوه عند القول ؛ لأننا عالمون بحاله ، ونصرناه ،  
 أو متعلق بآتيناه ، أو برشده ، أو مفعول به لمخدرف ، أى اذكر من أوقاته وقت  
 قوله لأبيه وقومه .

( مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ) مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي أَنْتُمْ  
مُقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا ؟ !

ومبر بالتمثيل تمثيلاً لها ؛ فإن التماثيل صورة لا روح فيها ، أى ما هذه الصور  
التي على صورة الإنسان ، غير أنها خالية من كل نفع .

وأيضاً استغفاهم من تجاهل المعارف ، تجاهل لهم ليعتقروها ، أو ليعفروا مع علمه  
بمظلومتهم لها ، ولللام اللاحقة خاص ، أى بوجود المكشوف لها .

ويجوز أن تكون اللام بمعنى على ، أى عاكفون عليها بالعبادة ، أو  
عاكفون على عبادتها . وعكف تعدي بعل . وعلى الوجه الأول لم يعتبر بجانب  
معنى تعدية بعل .

ويجوز كون قوله : « عَاكِفُونَ » مقصوداً بمعنى عابدين ، فتكون اللام لقطعية .  
( قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ) حال من آباء ، على أن الوجود وجود  
لقاء ، أو مفعول ثان ، على أنه وجود علم ، أى علمنا أو شاهدنا آباءنا يعبدونها ،  
واقترافاً بهم واللقاء على حال يستلزم العلم بها ، وذلك جواب عما تضمنه السؤال  
فإن قوله : « مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ » بنزلة ما اقتضى عبادتها ؟ أو ما حالكم على  
عبادتها ؟

أجابوا بأنه للتقاييد . وما أفصح للتقاييد ! وما أعظم كود الشيطان به ، حين  
استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة الأصنام ، وعفروا لها جهاهم ، معتقدين  
أنهم على شيء ، وبحج دالين لأبطل الحق عن الباطل وكفى أهل النفاق سبباً أن  
عبدة الأصنام منهم والتقاييد - إن جاز - فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على الحق .  
( قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ ) نو كود ، وبصح للمطوف في قوله : ( وَأَبَاؤُكُمْ )



فإنه ولو كان للضمير الغاء وحده ، لكان هي والميم منزلة شيء واحد ، فلا بد من

فاصل غير الميم

وقد يقال : نكفي فاصلا لا على قول من قال : الضمير مجمع الغاء والميم  
( فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) منتظمين في سلك ضلال واضح ، لا يخفى على اقل ، لعدم  
استعداد الآباء والأبناء إلى دليل . والتفانيد ليس دليلا نافعا .

( قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ) أشدة تمسكهم بما لهم عليه ،  
واسبقه ادم ضلال آبائهم تردداً منهم بين أن يكون إبراهيم مازحاً في تضليل آبائهم  
وأن يكون صادقا ، أو ذلك حزم منهم بأنه مازح ، كما تقول لزيد ، وأنت عالم بأنه  
يقظان : أنا أنت أم يقظان ؟

( قَالَ بَلْ رَأَيْتُمْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ) أى الذى  
خلق السموات والأرض ، على غير مثال ، فهو المستحق للعبادة ، وذلك يضرب  
عن ادعاء أنه لاعب ، وإبطال له إقامة البرهان على ضلالتهم وضلالة آبائهم ،  
أو للضمير التماثيل وهذا الوجه أدخل في تضلولهم ، وأثبت الاحتجاج عليهم .  
وقد يقال : إن الأول أولى ، فإن الأرض شاملة في إرادته - والله أعلم -  
لما يخرج منها ، والتماثيل معمولة مما هو من الأرض فهو أبلغ .

ويجوز رجوعه للسموات والأرض والتماثيل .  
( وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ) الذى قلت لكم ( مِنَ الشَّاكِكِينَ ) المتحققين والمبرحمين علمه  
بما ذكرت ، وفيه تعريض بأنه ليس مثلهم ، فى أنهم ادعوا شيئا هجروا عن بيانه  
سوى أن قالوا : وجدنا آباءنا .

( وَنَالَهُ ) وقرأ معاذ بن جبل بالوحدة ، وهى أصل حروف القسم والثناء  
بدل من الواو ، والواو بدل من الباء

والقاء فيها زيادة معنى، وهو التعميم، تعجب من تسهيل الكيد على يديه،  
لأنه أمر صعب، متعذر في كل زمان، خصوصاً في زمان نمروذ، مع عقوه  
واستكباره، وقوة سلطانه، ونهايكه على نصرة دينه. ولكن إذا قضى الله  
شيئاً تيسر، ولعلك للصعوبة عبر بالكيد المضمن انواع من الحيل.

(لَا كِيدَنَّ) أسدها بالسكر. (أَصْفَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا) تدبروا عنها  
إلى مجتمع عيدكم.

وقرى بفتح اللام واللام أى تتولوا. ويدل لهذا القراءة: «فتولوا عنه  
مدبرين».

(مُدْبِرِينَ) حال مؤكدة لاملها.

(فَجَعَلَهُمْ جُذَاذَا) وقرأ الكسائي بكسر الجيم، وهو مصدر على وزن فاعل،  
بضم اللام وكسرهما، بمعنى مجذوزة، أى مقطوعة، أو يقدر مضاف، أى ذوى  
قطع، أى مقطوعين، وهم بمنزلة السفلاء. وأخبر أنهم نفس القطع. والضم  
والكسر افتان، والافتان جمعاً جديداً.

وقرى بالفتح مصدر، أو جمع جديداً.

وقرى جذذ، بضم الجيم وفتح اللذال وإسقاط الألف، جمع جديداً.

وقرى بضمهما، جمع جديداً، أو جذة بضم الجيم.

(إِلَّا كَبِيرًا) صنما كبيراً، تركه بلا كسر، وعلق الفأس التي كسر الأصنام

بها في عنقه.

قيل: علقه بيده اليمنى. (لَهُمْ) أو هو نعت كبير، أو نعت ثان، من

محذوف. وفائدته على اللاحقة الإشار بآن كبره إنما يثبت لهم لا لنا، فإنه عندنا

أهرون شيئا ، وكلما عظمت جنته وهيبته ، زاد بنفا وإهانة عندنا . وكان عندهم  
عظيم الجثة والمنزلة ، صاغوه من ذهب ، وجعلوا في عينيهِ جوهرتين ، مضيتتين  
لهلا ونهاراً ، وكللوا سائرهُ بالجواهر ، وسائر الأصنام بعضها من ذهب ، وبعضها  
من فضة ، وبعض من حديد ، وبعض من نحاس ، وبعض من رصاص ، وبعض من  
حجر ، وبعض من خشب .

( لَعَلَّكُمْ إِلَٰهَ ) إلى مكسوره . ( يَرْجِعُونَ ) كما يرجع إلى من عظم شأنه  
في الأمور المعضلة ، فيقولون له : ما هؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً ، والنفاس  
في منقك أو يدك ، فإنه - عليه السلام - قد علم أنهم يعظمون آلهتهم ، ولا سيما هذا  
ويعتقدون لها أباطيل .

وقائدة رجوعهم إليه : أن يتبين أنه لا يضر ولا ينفع ، وأنهم في عبادته على  
جهل عظيم . وقال ذلك وهو عالم بأنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم ، واستجهاً لا ؛  
فإن قياس من سجد له ، أن يرجع إليه في إزالة الأمور المعضلة . والضمير لإبراهيم ؛  
لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه ؛ افترده بعداوة آلهتهم واشتماره  
بعداوتها .

وقائدة رجوعهم إليه أن يفجهم بقوله : « بل فعلمهم كبرهم هذا » والأرل  
عندى أظهر ، ولثاني عند الثعالبى أظهر .

ويجوز عود الضمير إلى الله عز وجل ، أي أعلمهم يرجعون إلى توحيد الله ودينه .  
إذا رأوا أن الأصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا تدفع عن نفسها .

( قَالُوا ) بعد رجوعهم من العيد : ( مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا ) استهزاءهم  
توبيخي ، أعنى أنه يتضمن توبيخ الفاعل ونهـديده ، وإلا فهو حقيقى ،  
لجهلهم بالفاعل .

ويعتدل أن تكون موصولة . فعلى الأول جملة : ( إِنَّهُ آيِنَ الطَّارِئِينَ )  
مستأنفة ، وعلى الثاني خبر .

( قَالُوا ) سمي جماعه ممن كان في آخر القوم ، أو سمعه واحد ، وأسند للقول  
إليه ، لأنه منهم ، أو لكنا سمي أمشاه غيره .

ولا مانع من قولك : سمعا ريذا يذكر كذا ، مع أن بعضاً سمع من زيد  
وبعضاً سمع من غير زيد عن زيد ، أو كلهم سمع من غيره منه ، أو يقدر بضاف ،  
أي قال بعضهم ، وهو واحد :

( سَمِعْنَا قِيَّ يَذْكُرُهُمْ ) أي يسميهم ويهينهم ، وأطلقوا الذكر ، وأرادوا  
به الذكر باقبيح ؛ لأن الكلام في الإضرار بها ، والجملة مفعول ثانٍ لسمع ،  
والمفعول الأول سمع أبدأ مما يسمع . ويجوز كونها نعت فق ينسلط الجمع على النعت  
كما ينسلط على المفعول الثاني ، فلا يقدر له مفعول ثانٍ ، ذكره الشنوني كجار الله .  
وهذا الوجه الثاني المجمع في نسبة الذكر إليه .

إن قلت : كيف كان سمعنا يذكركم الخ جواباً لقولهم : « من فعل  
هذا بآلهتنا » ؟

قلت : وجهه أنه إذا كان هو الذكر لما بسوء فهو العاقل بها ذلك للكسب  
( يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) اللام للتخصيص لا للتعدية ، وإبراهيم خبر محذوف ،  
أي هو إبراهيم ، والجملة نائب ، أو للتعدية ، أو للتخصيص ، وإبراهيم نائب ،  
بسمي بهذا الاسم ، ويدعى به ، أو منادى لمحذوف ، وهو وحرف النداء نائب ،  
والجملة نعت متى ، أو حال منه إن وصف بيدكر ، أو من ضمير يذكركم .

( قَالُوا مَا نُنْوَإِيهِ قَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ) من ذلك نمرود وأشرافهم ، أو القوم  
بحكاية عنه . وذلك أمر الإنوان به ظاهراً ، بحيث تتمكن صورته في أعينهم ،  
عسكن الراكب على الركوب .



( لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) انه الماعل ، أو القائل ، أو يشهدون عقوبتها ، كما هم على الوجهين الأولين كرهوا أخذه بغير بينة ، وعلى متعلق باقيل قبله ، أو محذوف حال من الماعل .

قال الشعبي في عرائس القرآن : أراد إبراهيم - عليه السلام - أن يرى قومه الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزوا ، إلزاماً للعجبة ، وإثباتاً لها عليهم ، فجعل ينتهز لذلك فرصة ، يحتمل فيه إلى أن حضر دودهم .

قال السدي : كان لهم في كل سنة عيد ، يجتمعون فيه ، ويخرجون إليه . وكانوا إذا رجعوا من عيدهم ، دخلوا على الأصنام ، فسجدوا لها ، ثم جادوا إلى مناهلهم . فلما كان ذلك للميد قال أبو إبراهيم : يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى ميدنا أعجبك ديننا .

وبروي : أعجبك عيدنا ، بإسقاط لفظ ديننا فخرج معهم ، فأبقى نفسه في الطريق . فقال : إني سقيم ، أشتكي رجلي ، فانظروا رجلك ، وهو صريع ، فلم يروا شيئاً . فلما مضوا عثدين في أحرم ، وقد بقي ضعفاء الناس قال : « والله لا أكمدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين » فسمعوها منه .

وقال مجاهد وقتادة : إنما قال إبراهيم هذا في سر من قومه ، لم يسمع ذلك إلا رجل منهم وأفشاه ، فرجع من الطريق إلى بيت الآلهة . فإذا بباب به هو عظيم ، يستقبل باب البهو صنم عظيم ، إلى جنبه صنم آخر أصغر منه . وكل صنم أكبر من الذي يليه إلى باب البهو مصطفة .

قلت : هي اثنتان وسبعون صنماً ، فإذا هو بطعام مجروح بين أيديهم . يقولون : إذا رجعنا أكلنا ، وقد تناولت الآلهة منه ، فتبرك به . فقال لهم : ألا تأكلون . فما لكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين . فأقبلوا إليه يزفون . قال قتادة والسدي والضحاك : قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقابه .

وقيل : لما خرجوا للعيد وهو مهم ، بدأوا بالأصنام ، فدخلوا عليها ، فسجدوا إلا إبراهيم لها ، ورضعوا طاماً ، وأخرجوا به ثم رجع .

وقيل : بقي معها . وقال : إلى سقيم .

وقيل : إنها سيمون ، وكسرها كسراً عظيماً ، مع أنها - مما علت - من ذهب وغيره ، مما هو قوى بحون الله .

وروى أنه قطع أيديها وأرجلها ، وفقاً أعينها وكسر وجرحها إلا كبيرها . فلما رجعوا من عيدهم ، رأوا هذا الكسر الشديد ، فحسبوه من الظل ، لجرامة فاعله على الآلهة الخنثية عديم بالتوفير ، لإمراط في كسرها والاستهانة بها .

( قَالُوا أَنْتَ ) بتحقيق الهمزتين ، وإبدال اللذان ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسئلة والأخرى وتركه . وأنت مهقداً خبره ما بعده ، أو فاعل المحذوف مدلول عليه بما بعده ، وهو عديم أولى .

والأصل : أعلت . ولما حذف الفعل انفصل للضمير .

( مَعَلَّتْ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ ) : لا .

( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) غضباً أن تعبد معه هذه الأصنام التي دونه وإيس - عليه السلام - صريداً حقيقة هذا الكلام ، ولكنه أراد أنه ما فعل ذلك إلا أن يبيحهم تعريضاً لا نصراً ، وهو أبلغ ، كما لو فعلت فعلاً حسناً ، وقد اشتهرت بحسن ذلك الفعل ، وقال لك من لا يفعل مثله أصلاً ، أو يفعله ولا يحسنه : أنت فعلت هذا ؟ فتقول له : بل فعله أنت . فإن قصدك بهذا الجواب تقرير للفعل لنفسك ، ونفيه عنه ، مع الاستهزاء به . وهذا قصد إبراهيم ، مع قصد النجاة من ضرهم ، بأن يحملوا كلامه على ظاهره ، من أن الفاعل هو كبيرهم ، وإن فطنوا به فقد فطنوا بالحجة عليهم ، والله منجيهم ، أو أسند الفعل إلى كبيرهم ؟

لأنه هو السبب لفعل إبراهيم ذلك . وذلك أنه فاعله تلك الأصنام ، إذ رآها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد بما رآه من شدة تعظيمهم له ، أو أراد أن القياس - على زعمكم - أن يكون الفاعل هو الكبير . ومن شأن من يُعبد أن يفعل هذا وأشد معه .

ويمحتمل أن يريد بل فعله إبراهيم والفتى ، وهو هو . وبدل له وقفُ بعض على « فَعَلَهُ » ويكون كبيرهم هذا مبتدأ أو خبراً . وعبر بالفتية ، مع أن مقتضى الظاهر أن يقول : بل فعله ، ايتوهموا أن الفعل مسند إلى كبيرهم ، وأن هذا بدل ، أو بيان ، كافٍ الأوجه السابقة . وعلى هذا قبل إضراب عن الشك الموقع في الاستفهام .

وقال القراء : الأصل : فَعَلَهُ ، حذفت اللام الأولى من فعل ، وخففت النانوة ، وهو تكلف ، لكن تطابقه قراءة محمد بن السمين فَعَلَهُ كبيرهم ، بالتشديد اللام . وفي حديث الشفاعة : إنهم يأتون إبراهيم فيقولون له : قم اشفع في أهل الموقف . فيقول : لست بأهلها ؛ لثلاث كذبات : قولي : « إني سقيم » وقولي : « بل فعله كبيرهم هذا » وقولي في سارة لما تعرض لها سلطان : إنها أختي ، مع أنها زوجتي . أو قال لها : إن سألوكِ فقولي : إنه أختي

وقال رسول الله ﷺ : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات . قلنا : أيسر حل ذلك على ظاهره من قول المسلمين ، ولكن سميت المعارض كذباً لأنها على صورته . وقد قال ﷺ : إن في المعارض لمندوحة عن الكذب . فالمراد أنه لم يكلم ، ما على صورة الكذب ، لكرهته صورته ، إلا بهذه الثلاثة واشتق منها .

أما قوله : « بل فعله كبيرهم » فقد مر بيانه .

وأما قوله : إن سارة أخته ، فالمراد به أنها أخته في الدين ، أو أنها بنت آدم ، وهو ابن آدم .

وأما قوله : « إلى سقيم » فمعناه إلى معتم اضلالتكم  
وأما قوله : « بل فعله كبيرهم » فيحتمل التعليق بقوله : « إن كانوا  
ينطقون » وما بينهما اعتراض .

وزعم بعض أن ذلك كذب حقيقة ، أذن الله له فيه ، لمصلحة الدين  
قال الأنصري : فليجبر هذا فيما أخبر به الأنبياء . وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ،  
وبطرق النعمة إياها . وإنا قل إراهم ماذا أسهم أتوا به إلى بت الأصنام  
( قَالُوا لَهُمْ ) عني فاعله . ( إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ) - جواب إن محذوف ،  
يدل له أنه ألوههم ، أو فعله كبيرهم وفي ذلك تعرض ، بأن من لا يفعل شيئا أو  
لا يتكلم لا يكون إلها . وقواس الخط أن تكتب صورة ألف بعد الفاء ، ولم  
تكتب في مصاحف المغرب .

( ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ ) با تفكر والتأني .

( قَالُوا ) أي قال مضمع لبعض : ما ترى الأمر إلا كما قل ، من أن القاهر  
هو الكبير ، أو من أن الطريق أن نسألهم ، أو من ضلالة من يعبد النماثيل :

( إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ) على الحقونة بقولكم : أنت فعلت هذا ، بل  
اسألوا آلهتكم ، أو بقولكم : « من فعل هذا آلهتنا إنه من الظالمين » أو بعبادة  
من لا تكلم ، أو بعبادة الأصنام مع الكبير .

( ثُمَّ نَبِّهُوا عَلَى رُبِّهِمْ ) رُدُّوا إلى حالهم للصعوبة بعد ملابستهم  
بقولهم : « إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ » فإنهم بعد ما قالوا : « إِنْ كُنْتُمْ الظَّالِمُونَ »  
في سؤاله ، بل اسألوا آلهتكم قالوا له : « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » فكيف



نسأله . والجملة مفعول لقول محذوف ، كما رأيت أو مفعول انكسوا ؛ انضمامه  
معنى جعلوا قائلين . وهذا القول نفس الانكسار ، شبه التصعب بعد القلين ،  
بجعل أسفل الشيء . أعلاه ، وهو الانكسار .

ومنه الجملة تدل على التعرجية الأولى ، والثاني في قوله : « إنكم أنتم  
الظالمون »

وأما على باقى التعرجيات ، فالانكسار : الرجوع إلى الكفر بعد الإقرار ،  
بطلان تلك العبادة إلا التوجه الأخير ، فالانكسار عليه : الرجوع إلى عبادة الكل ،  
بعد الاختصار على الكبر .

وعن بعضهم : الجملة مفعول لقول محذوف ، يتدرج حالا ، أى قائلين :  
لقد لم

ويصح أن يكون المعنى انكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم ، المجادلين  
عنه ، حين نقوا عنها القدرة على النطق ، أو قلبوا على رؤوسهم حقيقة ، افترط  
إطرافهم خجلا وانكسارا ، مما بهتهم به إبراهيم ، وما وجدوا إلا ما هو حجة  
عليهم .

وقرى بتشديد الكاف . وقرأ رضوان بن عبدالمعبود انكسوا بالهاء لفاعل  
مع التخفيف ، أى انكسوا أنفسهم على رؤوسهم .

( قَالَ ) لما انضحت له الحجة بقولهم : إن هؤلاء لا يخطئون :

( أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ) أى نقوا ، فهو مفعول  
مطلق ، أو معناه : لا ينفعكم شيئا من رزق أو غيره ، على أنه مفعول ثان لينفع ،  
مقتضيا معنى يعطى .

( وَلَا يَمُرُّكُمْ ) إن تركتم عبادته . أنكر عليهم عبادة جواد لا ينطق ،  
فضلا عن أن ينفع أو يضر .

( أَتَىٰ نَسَكُكُمْ وَإِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) أي نقنا وقبحا لكم . والأصل  
مثلا قبحتم أنتم وما تعبدون قبحا ، حذف قبحتم وما تعبدون ، فجىء بما هو عوض  
من ضميره ، مجرورا باللام مضافا ، وبما مجرورا باللام أيضا . فاف مفعول مطلقا ،  
كذا قيل . والمصواب أنه اسم فعل .

قال بعضهم : أف صوت إذا صوت به ، علم أن صاحبه متصجر ، أصجره  
ما رأى من ثباتهم على عبادتهم ، بعد وضوح الحق .

وقرى أف بكسر الهمزة ، وأما بفتح الفاء .

( أَمَلَا تَعْمَلُونَ ) أن هذه الأقدام ليست أملا للمعادة .

( فَأَوَا حَرْفُوهُ ) أي إبراهيم لما عليهم الحجة أرادوا إحراقه . وهكذا  
المبطل ، إذا أدحضت شبهة بالحجة وافتضح ، لم يكن أحد أنقض إياه من الحق ،  
ولم يكن له مفرع إلا معاداته ، كما مات قريش برسول الله ﷺ ، حين أعجزهم .  
وذكر ذلك عن نمرود

وقال ابن عمر : رجل من لأكراد ، مني فارس ، من باديتهم ، وهو عجمي .

مال شبيب الجاني : اسمه هرز . وهو قول ابن عباس .

وقيل : نمرود بن لو ش

وقيل : هينون ، وخسف الله به الأرض ، فهو يتجأجل فيها إلى يوم القيامة  
ونسب الأول إليهم ، إما حكما على المجموع ، وإما لرضام قول القائل وأتباعه ،  
أو لقولهم تبعنا لقوله ، فاسكل قال ، لكن بعض قال أصالة ، وبعض تبعنا ،

واخفوا العذاب بالنار لأنها أحول ما يعقب به وأنظمه ولذلك لا يعذب بالدار إلا خالقها كما قال .

(وَأَنصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) أى ناصرين لها نصراً مؤزراً ،  
ولا كنتم مقصرين في حقها .

قال التلمبى في عرائس القرآن : لما عزم عمرو وقومه على إحراق إبراهيم ، حبسوه في بيت ، وبدوا له بنينا كالخظيرة ، في قرية تسمى « كوثى » بناء مثلثة ، من العراق ويقال لها : حرة السواد ، وبها ولد ، ثم جمعوا له الحطب من أصناف الخشب ، حتى إن المرأة مرض وتقول : من عوفيت لأجمعن خطبا لإبراهيم . وكانت المرأة تغذر إن أدركت ما تطلب لتجمعن له خطبا ، وكذلك الرجل يفعلون ذلك أحسابا ، وتنزل المرأة ، وتشقى الحطب بغزلها .

وكانوا يوصون بشراء الحطب ، حتى إن الشيخ الكبير الفاني الذي لم يخرج زمانا يجىء بالحطب ، وبلقيه تقربا إلى آلهتهم .

قال ابن إسحاق : كانوا يجمعون الحطب شهرا ، وجما كثيرا ، أشطروا النار في كل ناحية ، واشتد النهابها ، حتى إن الطائر يمر بالهواء فيحترق .

قيل : أوقدت سبعة أيام ، ثم أرادوا إلقاءه فيها ، ولم يتمكنوا منه لشدة الحريق ، فجاء إبليس في صورة شيخ فقال : أنا أدلكم على صنعة آلة يلقى بها ، فعملهم صنعة المنجنيق ، وهو أول ما صنع ، موضعه مقيد مقلوب في المنجنيق .

وقيل : رفع إلى رأس الجبان وفيد ، وصنع المنجنيق ، وأمسكوا المنجنيق ، فقبضت الملائكة على أسنانه . فقال لهم إبليس : إيتوا بالنساء منكشفات ، ينكشفن للرجال ، ففعلوا . وصاحت السموات والأرض ، من الملائكة والدواب إلا الإنس والجن صيحة واحدة : يا ربنا إبراهيم حميلك ليس في الأرض أحد يعبدك غيره ، يحرق فيك . فأنذنا لنا في نصرته .

فقال لهم تبارك وتعالى : إن استغث بشيء منكم أو دعه فلا ينصروه ، فقد  
أذنت له ، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به ، وأنا وليه . فخلوا بيني وبينه .  
فلما أرادوا إلقاءه ، أتاه ملاك المياه فقال : إن أردت أخذت النار ، فإن  
خزائن المياه والأمطار بيدي . وأتى خان الريح فقال له : إن شئت طيرت  
النار في الهواء ؛ فإن خزائن الريح بيدي . فقال لهم إبراهيم : لا حاجة لي إليكم  
ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم أنت الواحد في الأرض ، ليس في الأرض  
أحد بمعدك غيري .

وقيل : قال لهم : لا حاجة لي إليكم ، حسبى الله ونعم الوكيل .  
ومن المتن عن أبي بن كعب عن أرقم : قال إبراهيم - حين أدقوه ليلقوه  
في النار - : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك ،  
لا شريك لك . قالوا : ثم رموا به في النار من موضع بعيد . فقال له جبريل  
في الهواء : يا إبراهيم ألك حاجة ؟  
قال : أما إليك فلا .

قال له جبريل : فاسأل ربك .

قال له إبراهيم : حسبى من سؤالي الله بحالي ، حسبى الله ونعم الوكيل .  
وفي الخبر أن يحيى بقوله : حسبى من سؤالي الخ .  
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إبراهيم : حسبى الله ونعم الوكيل .  
حين ألقى في النار . وقالها سيدنا محمد ﷺ ، حين قيل له : إن الناس قد  
جمعوا لكم .

وجعل كل شيء يطفىء النار بالماء إلا الورقة ، فإنها كانت تنفخ في النار .  
ولذلك أمر ﷺ بقتلها ، وفي قتلها أجر عظيم ، هي سامة أبرص تشد يد الميم ،  
وسم أبرص ، بإسقاط الألف .



وفي القاءوس : إن ساماً أرض ، وسم أرض : الوزعة للكهنة الجسم .  
وأكثر اجساداً في إطفاء النار للصفادع ، كانت نحوم حولها ما لا يحوم  
غيرها .

قال الشيخ إسماعيل - رحمه الله - عن النبي ﷺ : لا تنقلوا الصفادع ،  
فإن الذي تسمعون منها نسيح وتقدس ، . إن إبراهيم - عليه السلام - لما أقي  
في النار استأذنت دواب البر والطير أن تطفئ . عن إبراهيم للنار ، فأذن الله  
للصفادع ، مزكأت على النار ، أي رمت بنفسها عليها ، مذهب ثلثها ، أي ثلثها  
كل صفدع ، وبقي الثلث ، فأبدل الله ما يحارقه النار برد الماء . وظاهره ما أذن  
في الإطماء إلا للصفادع وذكر بعضهم خلاف ذلك .

وروي أن الدواب التي يحمل عليها استنفت من حمل الحطب إلا البقل  
والهبله ، فأعقها الله . وناداهما جبريل : « لا تاركوني برداً وسلاماً » وهو المراد  
بقوله :

( قلنا ) أمرنا بالقول فإن القائل جبريل ، أو من قول الشيء ، بمعنى إيجاده .  
( يا نار ) نكرة منصودة .

( كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ) أمرها أن تكون نفس البرد  
والسلامة معاً ، أو يقدر مضاف ، أي ذات برد وسلامة ، أو يؤولان بالوصف ،  
أي بأداة رسالة ، من أن تعمره ، أو مصدران لخبر محذوف ، أي كوني باردة  
برداً وسلامة سلاماً ، والواو عاطفة المحذوف على قلنا ، أي وسلما سلاماً عليه .

وفي الكلام مبالغة ، يحس للنار مسخرة بقدرته ، مأمورة مطيعة ، وإقامة  
كوني برداً مقام أبردى ، وصرها بأن تكون نفس البرد ، على ما صرح . والمراد  
برداً عالياً لكثرة غير صار .

وعن ابن عباس وعلى : لو لم يقل : وسلاما ، لضره البرد فيموت .  
 قيل : لو لم يقل : على إبراهيم ، لتهيت بردا أبدا ، نزع الله طبعها الذي هو  
 الإحراق .

ويحوز أن يكون باقيا فيها ، لكن دفعه الله عن جسم إبراهيم ، وأذاقه  
 عكسه ، كما دفعه عن الخزائن عليهم السلام ، وكما يرى في السمندر ، وهو طائر ،  
 يرمى نفسه في النار ولا تؤذي .

قال عمرو بن واصل : كنت عند سهل ليل ، فأخرجت فتيلة السراج ،  
 فنالت من أصبعي شيئا يسيرا ، تألمت منه . فنظر إلى ، ووضع أصبعه على النار ،  
 نحو ساعقين ، لا يجد ألما ، ولا أترا بأصبعه ، وهو يقول : أعود بالله من النار .  
 وبدل لهذا قوله : « على إبراهيم » وما روى أنهم قالوا : هذه النار مسحورة  
 لا تحرق ، فرموا فيها شيئا منهم فاحترق ، ولم تحرق من إبراهيم إلا ما رطوه  
 به ، ولم يبق يومئذ نار إلا طفئت .

وعن كعب وقهادة والزهرى : ما انتفع يومئذ أحد بنار في الدنيا .  
 ولما كان في الهواء أخذت الملائكة بضبعيه ، فأقعدوه على الأرض فإذا عين  
 ماء عذب ، وورد أحمر ، وخرج من أصفر ، وطعام من الجنة وفراش منها .  
 وروى أن العيدان اثمرت له ثمارها هناك ، وأقام فيها سبعة أيام .  
 قال المسهال بن عمر : قال إبراهيم الخليل : ما كنت قط أباما أنعم عيشا من  
 الأيام التي كنت فيها في النار .

قال ابن إسحاق : بعث الله له ملاك الظل في صورة إبراهيم ، فقدم إلى جنبه  
 يؤانسه ويحدثه . وأتاه جبريل بقميص من الجنة فقال : يا إبراهيم إن الله تعالى  
 يقول لك : أما علمت أن للنار لا تضر أحبابي . وألبسه القميص .

روى أنه أتاه بقميص حرير وطففة منها ، ألبسه للقميص ، وأقعدته على  
الطففة ، وأشرف عليه نمرود من علية له ، وما يشك أنه غير محترق حاله ،  
فراه جالسا على تلك الحال المذكورة كلها ، والخطاب يشتمل حوله .  
فناداه : يا إبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته إلى أن حال بينك وبين  
الدار ، وصرف عنك ضررها لكبير . يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها ؟  
قال : نعم .

ثم قال : نخشى إن أقت فيها أن نصرك .

قال : لا .

قال : قسم فأخرج منها .

فقام فخرج منها .

فقال له : يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت يجذبك في مثل صورتك قاعدا ؟

قال : ذلك ملاك الظل ، أرسله ربي إلى ليونسي .

قال نمرود : يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قربانا ، لما رأيت من قدرته

بما صنع لك ، حتى أبديت لإلهاده وتوحيده .

قال إبراهيم : هو إله قاهر .

قال نمرود : إني أريد أن أذبح له أربعة آلاف بقرة .

قال له إبراهيم : إذن لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقوه

وترجع إلى ديني .

قال : يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكي ، ولكن سوف أدبحها له ، فذبحها

له نمرود ، وصرف الله ضرره عنه من يومئذ . وقال له : نعم الرب ربك يا إبراهيم .

قال شعيب الجهماني : ألقى في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق ،

وهو ابن نسع سبعين ، وولدت سارة له ، وهي بنت نسع بن سفة ، وصعدت يومين ،  
ومانت في اليوم الثالث ، وآمن به لذلك رجال من قومه ، على خوف من عمرو .  
وقيل : كان ذلك في كوثي للشام لا كوثي للعراق ، وهو باطل .  
( وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ) إملأ كما عظماء وهو المنحرف .

( فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْمَرِينَ ) للكاملين الخمران في سعيهم ، اجتهدوا في  
الخطب والبهتان ، وإفاد في المال ، مضاع سعيهم ، ولم تحرقه القار .  
قال أحمد بن حنبل : يملق على المحموم : بسم الله الرحمن الرحيم . يا الله .  
يا الله محمد رسول الله ﷺ . يا نار كوني بردا وسلاماً - إلى - الأحمريين . اللهم  
رب جبريل وميكائيل ، أشف حامل هذا بحولك وقوتك ، يا أرحم الراحمين .  
( وَنَجَّيْنَاهُ وَأُوطَا ) وهو ابن أخيه هاران ، من العراق ، على الصحيح ،  
ووالد هاران تارخ ، ولها أخ ثالث يقال له فاخور بن تارخ .

قال النخعي في عرائس القرآن : فهاران أبو لوط ، وفاخور أبو توبيل بن  
لابان بن فاخور ، ورفعا بنت توبيل امرأة إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب .  
ولياً وراحيل زوجا يعقوب هما ابنتا لابان ، وآمنت به سارة بنت عمه ، وهي  
سارة بنت هاران الأكبر ، عم إبراهيم . وكانت سارة بنت ملك حران ، طعنت  
في دين قومه ، فتزوجها إبراهيم .

قل ابن إسحاق : خرج إبراهيم من كوثي ، وهي قرية في العراق ، ونزل  
لوط المؤتفكة وهي من العراق . ونزل إبراهيم بخران ، فكث ما شاء الله ، ثم  
قدم مصر ، ثم الشام فنزل للسمع من أرض فلسطين .

( إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) وهي الشام . نزل إبراهيم السبع



ولوط المؤتفكة ، ريدهما نحو يوم وليلة : وذلك قول الجمهور . وبركة الشام : الخصب ، وكثرة الشجر والثمار والأنهار .

قال أبي : ما من ماء عذب إلا ينهم من تحت صخرة بيت المقدس .

وقيل : إن أكثر الأنبياء منها .

وقال عمر بن الخطاب لكعب - رضى الله عنهما - : ألا تهول إلى المدينة ؟

فيها مهاجر رسول الله ﷺ ، وقبره .

فقال كعب - : إني وجدت في كتاب الله للنزل أن الشام كنز الله

في أرضه .

وعنه ﷺ : ستكون هجرة بعد هجرة . فتهجر أهل الأرض ، ثمهم

مهاجر إبراهيم . أراد الهجرة : إلى الشام ، وغت في المقام فيها . وقال : طوبى

لأهل الشام ؛ لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها .

وأمر أوبس هرم بن سنان أن يكون بالشام .

وقال رجل لرسول الله ﷺ : أين تأمرني ؟

فقال : ها هنا ، وأشار إلى الشام بيده الكريمة ، وهي أرض الحشر ، وبها

ينزل عيسى - عليه السلام ، ويقفل الدجال .

فهل لسفيان - وقد رحل إليها - : إلى أين ؟

فقال : إلى بلاد يملأ فيها الخراب بدمهم .

وقيل : المراد بالأرض : مكة .

وروى أن عمرو - أمه الله - قال له : أين جنود ربك الذي تزعم ؟

فقال له : سيريك مض أضعف جنده .

فبث الله إليه سحابة بعوض، فأكلت جنده ودوابهم وما لهم، حتى إن البضام بقيت بيضا، ودخلت بعوضة في رأسه. وكان يضرب بالعمود ثم هلك.  
(وَوَدَّعَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) قيل: بمعنى عطية، فهو حال مؤكدة  
لما ملها، وكلاهما عطية.

وقول: بمعنى زيادة على التنجية، فهو حال غير مؤكدة، والإفراد لتضمن معنى المصدر.

وقيل: النافلة: ولد الولد، فهو حال من يعقوب؛ فإنه ابن إسحاق بن إبراهيم وهو قول ابن عباس.

وروى أنه سأل ولدا فأعطيه، وأعطى ولد الولد، زيادة ونضلا، من غير سؤال.

(وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ) بالتوفيق للصلاح: إبراهيم ولوطا وإسحاق ويعقوب.

وقيل: المراد: هو ولداه.

(وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً) يقصد بهم في الخير، بهمزة مفتوحة مخففة، بهمزة مكسورة مسهلة، وبعض بحقهما، وبعض يبدل الثانية ياء.

(يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) أي يهدون الناس إلى الحق بأمرنا لهم: أن يهدوا، وإلا سالفا.

وفي الآية إشارة إلى أن من صلح أن يكون قدوة في دين الله، فالهداية محتومة عليه، ليس له أن يتناقل عنها. وإلى أنه يجب أن يقدم على هداية غيره، اعتدائه في نفسه. فإن الانقضاء بهداه أهم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل. وبذلك يكون كاملا.

( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ نَقَلَ أَخْطِرَاتٍ ) للعمل بالشرائع .  
 قيل : الأصل : أن يفعل الخيرات ، بالفعل وحرف المصدر ، ثم فعلا الخيرات  
 بالمصدر المذون العامل ، ثم قيل : فعل الخيرات ، بترك التنوين ، وبالإضافة .  
 ( وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ) الأصل : إقوام ، نقلت فتحة الواو للقاف ، فقلت أفا ،  
 فحذفت إحدى الألفين ، لالتقاء الساكنين ، أو لما نقلت الفتحة ، حذفت الواو  
 لذلك ، ولم يعرض للقاء عن المحذوف ، على خلاف القياس .

وقيل : عدم القمويض مع الإضافة مقيس لقيام الإضافة مقام القاء ، والأول  
 مذهب ابن هشام .

قال في المفتي : وأما « وإقام الصلاة » فما يوقف عنده . انتهى . وأطأت في  
 شرح اللامية .

( وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ) في إقام الصلاة ، وفي إيتاء الزكاة ونحوها ، من المصادر  
 المضافة لعمولها ، ما صرف في قوله : « فعل الخيرات » وعطف إقام الصلاة ، وإيتاء  
 الزكاة على فعل الخيرات ، عطاف خاص على عام المزية ؛ فإن الصلاة أفضل العبادات  
 للبدنية ، وشرعت لذكر الله والخشوع . والزكاة أفضل العبادات المالية ، وشرعت  
 للشفقة على خلق الله .

( وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) مطيعين أو موحدين بإخلاص كما يفيد تقديم لانا .  
 ( وَأَوْطَأَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا ) فصلا بين الخصوم ، أو حكمة ، أو ذبوة ( وَعِدْنَا )  
 يليق بالنبى .

( وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ) وهى سدوم ، أى يعمل  
 أهلها الخبائث ، وهى اللواط ، والرمى بالبندق ، واللعب بالطيور ، والضرط  
 فى مجالسهم .

(إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِيٍّ فَاسِيَّيْنَ) دليل على تقدير المضاف في قوله : «نعمل»  
قبل هذا كما تملأ لما قبله والسرور مصدر ساءه قيص سره والفسق : للشرك .  
قال الشيخ هزاد .

(وَأَذْنَاهُ فِي رَحْمَةٍ بَارِعَةٍ) الفهوة ، أو الثوب وهو الجنة ؛ أو الرحمة للعامة لذلك  
ولأنجته من قومه ، أنزل . وقد رخص في أهل رحمة .  
(إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) هم الأنبياء . أو أهل الجنة ، قولان (وَنُوحًا) مفعول  
محذوف ، أي أذكر نوحًا .

(يَذُ) بدل اشمال من نوح . والرابط ضمير الجملة المضاعف إليها ، وهي  
قوله : (نَادَى مِنْ قَبْلُ) من قبل هؤلاء المذكورين . وقيل : من قبل إبراهيم  
ولوط . وناداه هو دعاه : «ب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً» الخ  
(فَأَسَجَّنَا لَهُ) دعاه (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) قيل : كان معه في السفينة ثلاثة  
بين ونساؤهم وامراته ، وأملها امرأة يبر الكافرة .

(مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) الكرب : الغم . وقيل : الشدة . والمراد : للفرق  
وتكذب قومه له . وروى أنه عليه السلام - كان أطول الأنبياء عمراً  
وأشدهم بلاء .

(وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) قال ابن هشام : من  
بمعنى على .

وقيل : من على بابها لتضمن النصر معنى المنع . والأول قول أبي عبيدة .  
ويجوز أن يكون المعنى جعلناه منقصرين منهم . قال جار الله : سمعت هـ بن علياً  
يقول على سارق : اللهم انصرهم منه ، أي اجعلهم منقصرين منه .



(إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِيٍّ أَغْرَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ) لأمرين ما اجتمعوا في قوم

إلا هلكوا : لكذب ، والانهك في الشعر

(وَدَاوُدَ) مفعول محذوف مئة نف ، أى واذاكر ، أو ، طرف على نوحا

وقد مر أن نوحا مفعول محذوف .

ويجوز عطف نوحا وداود على لوطا ، أى وآتيناه لوطا ونوحا وداود . وهذه

الأوجه أيضا في قوله : « وإيوب » وقوله : « وإسماعيل » . وقوله : « وذاللون

وزكريا ومريم » وإذ في الكل بدل اشتمال مما قبله ، والرابط للضمير من الجملة بعده .

(وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَكِمَانِ فِي الْحَرْثِ) قال ابن عباس والجمهور : كان الحرث

كرما قد نزلت عناقيده .

وقيل : كان زرعاً مثل الفات والجزر والبر والشمع (إِذْ نَفَثَتْ) رعت

(فِيهِ غَنَمُ الْمَوْمِ) ليلا بلا راع ، بأن انفطت .

قال بعضهم : للفش : الرعى ليلا .

وقيل : الانتشار فيه ولو من الغلا .

(وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ) للضمير سليمان وداود الحكيم ، ولأن حكاه ، ومن

حكاه عليه .

وقيل : لداود وسليمان ، والاثنان جمع مجازا . وقيل : حقيقة . ويدل لرجوع

الضمير لها قراءة بعضهم : وكنا لحكما

(شَاحِدِينَ) حاضرين عالين .

(فَقَهَّمْنَاهَا) أى الحكومة ، أو القضية المفرومة من الكلام . وقرئ

فقهمناه (سُلَيْمَانَ) أى ألهمناه إياها ، مفعول ثان مقدم ، وسليمان مفعول أول .

( وَكَلَّا ) داود وسليمان ( آتَيْنَا حُكْمًا ) نبوة ( وَعَلَّمَا ) بأمور الدين ،  
على وجه الاجتهاد .

وقيل : على طريق الوحي . فضل الله حكم سليمان ، ونسخ به حكم داود .  
وفي ذلك دليل أن الاعتبار بالحق لا بالتقدم والأبوة ونحوهما . فقول : حكما  
بالوحي ، ونسخ وحي سليمان وحي داود .

وقيل بالاجتهاد بناء على جوازه للأقبياء . والاجتهاد لا ينسخ الوحي ،  
فهو محتمل أن الله قد عرفهما أن حكم سليمان هو الحق .

وبحتمل أنه لم يعرفهما ، وأخبر الله به هذا النبي الكريم .  
والحاكم المجتهد إذا أخطأ فله أجر واحد ، ولا إثم إلا في الخطأ في الأصول .  
وإذا أصاب فله أجران .

وإذا اختلف المجتهدون ، فالحق مع واحد فقط عند الله ، لا معهم ، على  
الصحيح . ويمكن خطأهم . وفي مضمونه « وكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمَا » دليل على  
إصابتهما لكن أحدهما أولى .

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا دخل على داود أحدهما صاحب  
حبوب ، والآخر صاحب غنم . قلت : ظاهر هذه الرواية أن الحرث في الآية  
الزرع .

قال : يقال صاحب الزرع : إن غنم هذا أكلت زرعى ليلا وأفسدته ، ولم  
يبق شيء .

قلت : هذا نص أن الحرث : الزرع . وإنما كتبت ما كتبت من  
الاستظهار ، قبل اطلاعي على هذا .

فأعطاها داود رقاب الغنم ، فخرجوا فمروا على سليمان فقال : كهف قضى بينكما ؟  
فأخبراه .

فقال سليمان : لو واهت أمر كما قضيت فغير هذا .  
وقيل : قال : غير هذا أرفق بهما . فأخبر بذلك داود فدماه وقال : كذب

تقضى ؟  
وروى أنه قال : بحق الغبوة والأبوة إلا ما أخبرتنى بالذي هو أرفق .  
قال : صاحب الغنم يدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدراها ونسلها  
وصوفها ومجانمها ، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه ، ويقوم به  
حتى يصير كميلته ، فيدفعه إلى صاحبه ويرد غنمه .  
فقال داود : للنضاء ما قضيت . حكم بذلك .

وفي ذلك بيان أن الغنم هنا : الضأن لقوله : وصوفها . وسليمان إذ ذاك ابن  
إحدى عشرة سنة . ووجه حكومة داود أن الضرر وقع بالغنم فلم يجنايته إلى الحنف  
عليه ، كما أن العبد إذا جنى مثل قيمته أو أكثر بلا أمر صاحبه ، فالحنفي عليه  
يأخذ العبد له ، عند بعض أصحابنا . وبه قال أبو حنيفة . وزاد : أو يفديه صاحبه .  
وقال الشافعي : يبيعه في ذلك أو يفديه .

وقال بعض أصحابنا : الخيار له يدفعه أو قيمته ، وإن أمره لزمه كل ما فعل .  
قال جار الله : وأمل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث

ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع  
بالحرث ، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يرجع كما كان ، بناء  
على أنه بقيت أصوله ، أو يحدد حرثا يربيه ، حتى يصير كذلك ، وصاحب الحرث  
لم يأخذ زيادة ؛ فإنه ولو كان قد رجع حرثه ، واستفيع بالغنم ، لكنه قد يفنى  
بالغنم ، كما أن من غصب عبدا ، وأبق من يده ، يرد قيمته إلى صاحبه ينتفع بها .  
فإذا رجع ترادوا ، عندنا وعند الشافعي .

وص الشيخ مود - رحمه الله - عن الكلبي : أن ثمن الحرث قريب من ثمن  
الغنم . ونص الشيخ مود - رحمه الله - أن داود لما دعا سليمان ، ودخل عليه واستأمنه  
قال : قد عدل النبي وأحسن ، وغيره كان أرفق . وذكر له ما مر ولا يخفى ما فيه  
من لطيف وأدب .

وروى عن الكلبي : الحرث كان تبعاً

وقال ابن مسعود وشرح : إن راعياً نزل ذات ليلة قريباً من كرم ، فدخلت  
الأغنام الكرم ولا يشعر ، فأكلت النضبان ، وأفسدت الكرم . قاله في عرائس  
القرآن ، وذكر فيه أن ابن عباس وقتادة قالا : كان الحرث زرعاً ، وجعل تلك  
القصة منه . وكذا غالب النقص أنقلها منه ، وموافقاً للتمالي ، وهو غير ثعلب ،  
وغير التمثالي . وهو مجموع عظم في النقص نقط

وإن قلت : فما الحكم في مثل ذلك إن وقع بالإسلام ؟

قلت : مذهبننا - معشر الأباضية - أن ما أفسد الحيوان قرناً أو كثر ،  
في مال ، أو نفس ، بضمه صاحب الحيوان إلا إن عقر حيواناً آدمياً أو غيره ،  
ولم يعرف أنه يعقر ، فلا ضمن إلا أن يعود ، وإن عرف أنه يعقر في منف ،  
فيعقر في غيره ضمن .

وقيل : لاحق يعود .

وإن هربت دابة فأفسدت في هروبها فلا ضمان إن لم يصنع عليها .

وقيل : وإن صاح وإن طت فيما برط فيه . ثمها نقطته لم يضمن .

وقيل : ما أفسده الحيوان ليلاً ضمن صاحبه ، ولا ضمان عليه فيما أفسدت

نهاراً .

وروى أن ناقة البراء بن عازب وقعت في حائط رجل من الأصار أفسدت ،



فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : لا أجد لكم إلا قضاء سليمان بن داود .  
وقضى على أهل المواشى بحفظها أولا ، وعلى أهل الحوائط بحفظ حوائطهم نهارا .  
وبذلك يحكم شريح ، وهو مذهب الشافعي وشيخه مالك ، وجهور الأمة  
ووجهه أن للمار وقت لرعيها .  
وقال ابن سعدون بن عطاء الأندلس : ذلك في أمثال المدينة التي هي  
حيطان ، وأما للبلاد التي هي غير محروطة ، فبلى أصحاب الغنم فيها الفئان اهلا  
ونهارا .

وعن مالك أن الدواب المعادة أن تأكل الزرع والثمار تباع في بلد لا زرع  
فيه . قال ابن حبيب : وإن كره أصحابها . وأما ما يستطاع الاحتراز منه ، فلا يؤمر  
صاحبه بإخراجه من ملكه .  
وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا ضمان بالهابة إلا أن يكون معها سائق أو قئد .  
وعن أبي رحة من أصحابنا - رحمهم الله - في من أفسد غرسه : إن تم لها  
سنة فعليه دينار ، أو سنتان فديناران ، أو ثلاث مثلاثة ، أو أربع فأربعة أو خمس  
خمسة . وما زاد فهو تيممه .

وفي زرع دخلته ماشية قوم بين غنم وجمال وبقر دراب فوطئته بأرجلهم إن  
هشر شاه بدرهم ، ولكل جمل أربعة دراهم ، ولكل ثور درهم ، ولكل ذي حافر  
درهم ونصف .

وتيل : في للفرس ثلاثة دراهم .

ومن أحكام داود وسليمان - عليهما السلام - ما روى أن النبي ﷺ قال :  
« بيما امرأتان معهما ابنان لهما ، إذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين فقحا كفا إلى  
دارد ، فقضى به لكبرى . فخرجتا فدعاها سليمان . فقال : هاتوا للسكين أشقه

يهدى : فئات الصغرى : واحدك الله ، هو ابنها . لا تشقه . تنقضي به الصغرى .  
 أى استدلالاً بشقتهما . والله أعلم .  
 ( وَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجَبَالِ يُسَبِّحْنَ ) حال من الجبال ، أو مستأنف .  
 أفندرها الله على التسبيح : بقلن : سبحان الله هذا قول الأكثرين .  
 وزوى أنه كان يمر بالجبال يسبح ، فيجأ به الجبل بالتسبيح . وفى ذلك  
 تشبیه له .

وقال منذر بن سعيد : تسبيح الصلاة .

وقيل : تسبيح الجبال وإذا سمع تسبيحها فينشط .  
 وقيل : إن الجبال تسير معه ، فمن رآها تسير ، سبح تعظيماً لقدرة الله . ولما  
 كانت حاملة على التسبيح وسبوا له ، جعلت مسبوقة .  
 وقيل : التسبيح : السير من السبابة . شبه سيرها ؛ لأنه ليس كالسير  
 فى الماء .

وقيل : يسبحن بلسان الحال ، أو بصوت من غيرها يتمثل له . ومع  
 يعاق يسبحن أو سخرنا .

( وَالطَّيْرَ ) مفعول لله ، أو مفعول على الجبال .  
 وقوى بالرفع على الابتداء . عطف على نصير المرفوع المتصل ، وهو نون  
 يسبحن بلا فاص ، وعلى الابتداء . وبقدّر الخبر هكذا : أى والطير كذلك ،  
 أو تسبح .

( وَكُنَّا قَائِلِينَ ) لذلك وأمثلة . وليس يبدع فى قدرتنا وإن كان  
 هجوها عندهم .

وقيل : وكذا فاعلين مثل ذلك للأنبياء .

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤٍ) : اللبوس : الدرع ؛ لأنها تلبس فهو كقولك :  
خاكة ركوب . وهو أول من صنعها ، وكانت قبل ذلك صفة نوح ، خلقتها وفردما ،  
ويحتمل أن يكون اللبوس بمعنى مطلق اللباس ، ولو كان المراد الدرع  
فلا يكون كخاكة ركوب ، بل كجمل ركوب . وكان الحديد في يده كالطين ،  
يصنع منه الدرع للحرب بلا نار . وفي صنعها جمع الخفة والتمهين .

(أَنكُمْ) في جملة الناس ، معلق بملناه ، أو بمحذوف نعت لللبوس .  
(لِيُحَصِّنَكُمْ) أي ليحصنكم داود ، أو ذلك اللباس اللبوس ، على طريق  
جل ركوب ، أو ليحصنكم الدرع اللبوس . وذكرنا لتأويلها باللباس .  
وقرأ ابن عاصم وحسن بالهاء ، أي ليحصنكم الدرع اللبوس أو اللباس ؛  
لتأويله بالدرع ، أو ليحصنكم الصفة .

وقرأ أبو بكر وورش بالفون .  
وقرى بشديد للمعاد واتق الحاء ، قبلها مثناة تحوية .

والحصن والحصين : المفعول سكن في الثاني مبالغة ، وايحصنكم بدل من  
لكم بدل احتمال .

(مِنْ بَأْيِكُمْ) حرب عدوكم أو وقع السلاح فيكم .  
قال بعضهم : وقيل : ليحصنكم الله ، يعني على طريق الالتفات  
(يَوْمَ أَقَامُوا شَاكِرُونَ) والخطاب في ذلك كله لهذه الأمة ، أو لجملة الناس

بعد داود وأهل بيته .

وظاهر اللفظ استفهام . والمراد : الأمر بالشكر ، وفي ذلك مبالغة وتقريع .

(وَالسَّالِمِينَ الرِّيحَ) عطف على معمولي عامل ، أي وسخرنا لسلامان الريح .

وقرى بارفع على الابتداء والخبر .

وقرى الرّاح بالنصب والرفع .

قال القاضي : لغة اللام فيه دون الأول ؛ لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع ه . وى الأول أمر يظهر في الجبال والظفر مع داود بالإضافة إليه . انتهى .

قوله : الريح جسم لطيف ، يمنع لطفه من القبض عليه ، يظهر للحس بحركته .  
( عاصفة ) حال من الريح ، في قراءة النصب ، ومن ضميرها في قوله : سليمان .  
في قراءة الرفع ، أي شديدة الهبوب . وإذا أراد لانت كما قال : رخا .

وقيل : تحمل بساطه ومن معه فيه من الأرض ، وهي عاصفة وتسهر بهم ليلة .

وبصح أن يقال : عاصفة ، من حيث عملها ، إذا كان غدوها شهراً ، ورواحها شهراً ، ورحية : طيبة في نفسها .

قيل : ويحتمل أن يكون المصوف في الرجوع ، على عادة الدواب في الإصرع إذا رجعت ، واللين في الذهاب ، بأنه وقته نأى وتدبر ما يصلح .

( تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ) هي الشام وهو منزله ، وجرى بها إلى ما جرى رجوع بعد ذهاب .

وقيل : الأرض هذا هي التي سبق في علمه أن تكون فيها البركة ، فهو مشى إليها سليمان عامه السلام ، يصلحها . والجملة حال ثانية ، أو حال من ضمير الأولى .  
قوله : أو بدل منها .

قال زيد بن ثابت بينما نحن حول رسول الله ﷺ فواف القرآن من الرقاع ،  
إذا قال : طوبى لأهل الشام .

قيل : يا رسول الله ولم ذلك ؟

فان : لأن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتهم عليهم .



وعن عهد الله بن حوالة . قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله فيكم أرض فارس والروم وأرض حير ، ثم تكونوا أحباداً ثلاثة : جند بالعراق ، وجند باليمن ، وجند بالشام .

قلت : أخبرني يا رسول الله إن أدركني ذلك أين أكون ؟  
قال : أعمار لك للشام ، وإيها صفوة الله من بلاده ، وإيها ينتهي صفوة الله من عباده . يا أهل الإسلام عليكم الشام وأمله .

وعن عهد الله بن مسعود قال : ظهر عشرة أحزاء : نسمة بالشام ، وواحد بالعراق . ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ ، فيهم سبعون بدياً .

وعن الكلبي : صعد إبراهيم جبل لبنان . فقيل : انظر فما أدرك بعرك فهو مقدس ، وهو ميراث لذريتك من بعدك ، فذلك قوله عز وجل : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم » أي أن تسكنوها .

قال الثعلبي في عرئس القرآن : قيل : ما تنقص الأرض تراه بالشام ، وما تنقص الشام تراه بقرطاجين . وذكر أن وهب بن منبه قال : بينا سليمان - عليه السلام - يسير على ساحل البحر ، والريح تهبه ، والإس عن يمينه ، والجن عن شماله ، والظلم تظله ، إذ نظر إلى أمواج البحر ، فدعاه نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكت .

ثم قعد على كرمي ملكه ، ثم دعا رئيس الغواصين فقال : اختر لي من أصحابك مائة ، فاختار مائة .

قال : اختار لي ثلاثين منهم فاختار .

ثم قال : اختر لي من الثلاثين عشرة ، فاختر .

ثم قال : اختر لي من المشرة ثلاثة ، فاختر .

فقال لأحدهم : فص حتى تنظر قعر البحر ، وتأتيني بالخبر . ففص وأبعد .

ثم خرج فقال له سليمان - عليه السلام - : ما الذي رأيت ؟

قال : رأيت يا نبي الله أمواجاً وجموعاً وبنينا ، غير أني رأيت ملكاً .

فقال لي : أين تريد ؟

فقلت : إن نبي الله سليمان بعثني أنظر قعر البحر .

قال : ارجع إليه ، واقرأه مني السلام ، وقل له : إن قوماً أركبوا البحر مذ

أربعين سنة ، فسقط من أيديهم قدوم ، فهو يفلج الجح في البحر ما بلغ قعره بعد .

قال : فتعجب من ذلك وأنى بما قصد . فبينما هو على شاطئ البحر ، رأى

قبة من زجاج ، تضربها الأمواج في لجة البحر .

فقال سليمان - عليه السلام - : غوصوا في أثرها ، ففاصوا فأخرجوها .

فلما وضعت على ساحل البحر انفجحت لها بابان ، أي مصراعان .

فخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن ، كأن رأسه بقطر ماء .

فجاء حتى وقف بين يدي سليمان . فقال له : أمني الجن أنت يا فتى ؟ أم من

الإنس ؟

فقال : من الإنس . فعجب منه ومن هيلته .

فقال : ما بلغ بك ما أرى ؟

قال : يا نبي الله كانت لي والدة ، وكنت من أبرّ الناس بها ، أطعمها وأستقيها

بمدي ، ولا أترك شيئاً من صفائح البر إلا صدقته بها .

فلما أدركتها الوفاة سألتها أن تدعولي . فرفعت رأسها إلى السماء وقالت :  
يا رب قد عرفت برّ ولى ، فارزقه المهادة في موضع لا يكون لإبليس وجنوده  
إليه سبيل فيه . ثم ماتت ودفنتها .

فلما ذهبت إلى الساحل إذا أنا بهذه القبة فدعيتني فمسي أن أدخلها . فلما  
دخلتها انطبق عليّ بابها ، وتزاحرت الأمواج بها .

فقال له : من أين معطيك ومشربك ؟

فقال له : يا نبي الله إذا كان الليل جاني طائر أبيض ، في منقاره ثمرة أبيض ،  
فيقدمه إليّ ، فهو يصمغني من الطعام والشراب .

فقال : من أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمات البحر ؟

قال : في القبة خيطان : خط أبيض ، وخط أسود . فإذا رأيت الأبيض غالباً  
علمت أنه النهار ، وإذا رأيت الأسود غالباً علمت أنه الليل . وقال له : هل لك  
في صديق ؟

فقال : يا نبي الله ائذن لي حتى آتي فمسي . فأذن له ، فانطبق عليه بابها ،  
وتزاحرت بها الأمواج ، والله أعلم .

( وَكَذَٰلِكَ نُنْذِرُ عَادِيْمِیْنَ ) سجدى الأشياء على ما يقتضيه العلم وحكمتها  
فما أعطى سليمان يدعوهم إلى الخضوع لربه .

قول القملي في عرائس القرآن : عن مجاهد وابن إسحاق وابن بشار وغيرهم .  
كان سليمان - عليه السلام - رجلاً غزياً ، لا يكاد يقعد عن الغزو . وكان لا يسمع  
بلاك إلا اتاه وأذله وفهره . وإذا أورد الغزو بمسكره يضرب له ، بحيث يحمل  
عليها الناس والدواب وآلة الحرب . وما يحتاج ، أمر العاصف تحتملها عن  
الأرض ، فيأمر الرثاء

قال ابن إسحاق : ذكر لي أن منزلاً من ناحية دجلة ، وجد مكتوب فيه :  
 كتب به بعض أصحاب سليمان من الجن ، أو من الإنس : نحن يزكناه وما بنيدها .  
 غزونا من إسطخر قلعا ونحن راثمون : إن شاء الله يائنون بالشاء ، وتمر ريحهم  
 الحائلة لذلك بالمزرعة ، ولا تحركها ، ولا تحمل ترابا ، ولا تؤذي طائرا  
 ، وريوما بحرث : لقد أوى ابن داود مأكا عظاما . فحملت الريح  
 كلاه . وألقته في أذن ساجان . فنزل ما إلى الحرث . فقال : إني سميت كلامك .  
 ورنم مشيت إليك ، لئلا تقضي ما لا تقدر عليه . تسبيحة واحدة بقلها الله خير  
 من أوني آل داود .

### مقال الحرث : أذهب الله همك كما أذهبت هي

ومن مقاتل : نسجت الشياطين لساجان ساطا ، فرسغا في فرسخ ، ذهبا  
 في إربسم . ويوضع له منبر من الذهب ، في وسط البساط ، فيقعد عليه ، وحوله  
 ثلاثة آلاف كرسي ، الأنبياء على كراسي الذهب ، والعلماء على كراسي الفضة .  
 وحولهم الإنس ، وحولهم الجن . وحول الجن الشهابيين . ونظلمهم الظلم  
 بأجنعها ، لا تقع عليهم الشمس ، وترفع ريح الصبا البساط .  
 وكان في مسكره خمسة وعشرون فرسغا للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ،  
 وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للظلم ، وخمسة وعشرون ألف  
 بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاثمائة حرة ، وسبع مائة مربية ؛ تحمل الريح  
 ذلك .

وبينا هو تمشي به الريح بين السماء والأرض إذ سمع : إني قد زدت في مأكلك :  
 أن لا يتكلم أحد من الخلائق إلا أخبرتك الريح بما قال . وهذه الريح عوض عن الخليل  
 الذي عقرها غضب الله ؛ إذ شغلها عن المعسر . وكان يزور من إيليا يقول بإسطخره ،



فدروا منها وبصل إلى كابل في الغروب . وسار يوماً من العراق . وقال في بلخ .  
وسار متخللاً بلاد الترك ، ثم جاوزهم إلى الصين إلى غير ذلك .

وروى أن سليمان كان يصنع نيروزاً فاجتمع إليه جميع الإنس والجن والطير  
والوحوش والحوام . كل يحمل على طاقته . وإذا نملة تحمل في فيها نبتة ، لم تنطق  
أن تحمل غيرها فلم يعبأ بها سليمان - عليه السلام - فأنكسرت وذلت ، وأنشأت  
تقول :

على المبدى حق وهو لا شك فاعله	وإن علم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله حقه	وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
فلو كان يهدى للجلود بقدره	أقصر ماء للبحر عنه مناهله
ولا كنهنا نهدي لمن من نعمه	ولو لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فلما فرغت من إنشادها نزل عليه جبريل - عليه السلام - فقال له : ربك  
يقروك السلام ويقول لك : أقبل هديتها ، فقد أبكت أهل السموات والأرض .  
فقبل منها ﷺ . على نبيها وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

( وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَفُوصُونَ لَهُ ) مبتدأ وخبر ، أو مَنْ مفعول ، أى  
وسخرنا من الشياطين من فوصون له ، على الاستئناف ، أو معطوفة على الريح ،  
وهى نكرة موصوفة ، أى شياطين فائصة ، أو موصوفة . والجمع مراعاة لمعنى مَنْ .  
والفوص : الدخول في الماء ، كانوا يأتون له بالجواهر النفيسة وغيرها من  
قعر البحر .

( وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ) كالبناء والصنائع المعجوبة ، كاتخاذ الزجاج

والصابون

( وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ) عن أن يفسدوا ما عملوا ؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا

من عمل قبل الليل أفسدوه ، إن لم يشغلوا بغيره ، وعن أن يخرجوا من أسرهم ،  
وعن أن يفسدوا شيئاً ما ، ومقتضى جيلهم على الفساد ، وعن أن يتصرفوا في  
الصدقة والخدعة .

( وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ) أي باني .

وقرأ أ ب كسر الهمزة تضييها للفداء معنى النول ، أو تقديرا للقول .

والضر ، بالضم : ما في النفس من مرض أو هزال أو نحوها ، وبالفتح شائع  
في كل ضرر . فالضر هنا : مرضه وهزاله واتشار لحمه .

وقيل : المضموم كالمفروق . وقد أسر به بعض هذا بما ذكر ، وذئاب أولاده  
وماله ، وتفرق الناس عنه غير زوجة . بقي كذلك ثمانى عشرة سنة .  
وقال قتادة : ثلاث عشرة سنة .

وقال مقاتل : سبع سنين ، وسبعة أشهر ، وسبع ساعات .

وقيل : ثلاث سنين . وهو قول وهب

وقال كعب : سبع سنين .

وقال الحسن : سبع سنين وأشهرها .

وكان - عليه السلام - من الروم ، من ولد عيص بن إسحاق . وسكن حمزة  
بألمسى ، فتحذف لساكن بعدها .

( وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّاحِمِينَ ) وصف خالقه بغاية الرحمة ، بعد ذكر نفسه بما  
يقتضى الرحمة ، مما مر . وذلك تمريض لطيف في السؤال ، كقول الفقير  
للسلطان : عندي كذا وكذا ولدا ، وقد باقى جودك للعام .

تعرضت عجوز لاسليمان بن عبد الملك وقالت : يا أمير المؤمنين مشيت جُرْذَان  
يبقى على المعى ، أرادت أن الثران لم تجد ما تأكل في بينهما حتى كأنها رجال  
ضعيفة ، تجري على المعى .

فقال : أطفئت في السؤال إلا جرم ، لأردنها ثوب وثوب القهود ، وملاً بيتها حبا .

وروى أن امرأته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف ، أو ماخير بنت ميسا بنت يوسف . قالت له : لو دعوت الله .

فقال : كم كانت مدة الرخاء ؟

ف قالت : ثمانين سنة .

فقال : أنا أسقي من الله أن أدعوه ، وما بلغت مدة بلأني مدة رخائي .  
( فَاسْقِ بِئْنَا لَهُ ) نداءه .

( وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ خُرٍّ ) أزله . قال أسامة بن زيد : إن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى ملكاً موكلًا بمن يقول : يا أرحم الراحمين ، فمن قالها ثلاثاً قال له الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل .

ومر ﷺ برجل يقول : يا أرحم الراحمين .

فقال له ﷺ : سل فقد نظر الله إليك ، أي رحمتك .

( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ) أولاده الذكور ، وهم سبعة . وقيل : ثلاثة ، وأولاده

الإناث ، وهم سبعة ، أو ثلاثة . القولان : أحياهم بعد موتهم .

( وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) من زوجته . رد شبابها ، وزيد فيه . وذلك قول ابن

مسعود وابن عباس والجمهور .

وفي رواية عن ابن عباس : رد الله عز وجل على المرأة شبابها ، فولدت له

سبعة وعشرين ولداً ذكراً . فلما أن يكونوا قبل ذلك ذكورا ، كلهم ، على نصف

هذا المدد ، أو يكونوا ذكورا وإناثاً ، أو أقل من النصف . فاللثاية في الوجهين

الأخيرين : في المدد والجلل ونحوهما .

وعن عكرمة : قال الله له : إن أولادك في الآخرة ، فإن شئت رددناهم إلى الدنيا ، وإن شئت كانوا لك في الآخرة ، وأنيذاك مثلهم في الدنيا .  
 فقال : يكونون لي في الآخرة ، ويكون لي مثلهم في الدنيا : ( رَحْمَةً ) مفعول لأجله . ( مِنْ عِنْدِنَا ) نعمت رحمة .

قال الثعلبي في عرائس القرآن : كان أيوب رجلاً من الروم طويلاً ، عظيم الرأس ، حسن الشعر ، حسن العينين ، قصير اللحي ، غليظ اللسان ، ولانضدين ، مكتوباً على جبهته : المهتلى الصابر .  
 وهو أيوب بن أفرص بن زارح بن عوفان بن روم بن غنص بن إسحاق ابن إبراهيم .

وكانت أمه من ولد لوط بن هارون وكان الله قد اصطفاها ونبأه .  
 وكان له الثلث من أرض الشام كلها : سهلها وجبلها وكل ما فيها .  
 وكان له من أصداف المال كله : من الإبل والبقر والضم والحمار وغير ذلك ما لا يكون غيره .

وكان له خمسمائة مدان ، يجمعها خمسمائة عهد ، لسكل عبد مال وأمره وولده .  
 ويحمل آلات كل فديات أتان ، لسكل أتان ولد أو ولدان إلى خمسة وأعطاه الله أهلاً وولداً رجالاً ونساء .

وكان تقياً رحيماً بالمساكين ، يكفل الأرمال والأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ، شاكراً لأنعم الله ، محمداً عن عدو الله إبليس أن ينال منه ما ينال من أهل النقي ، من الغرة والغفلة عن الله .

وكان معه ثلاثة نفر ، قد آمنوا به وصدقوه ، وعمرنوا فضله : رجل من اليمن ، اسمه النيزور . واثنان من بلدة تملك وظفر ، وكانوا كهولاً .



قال وهب : إن لجبريل م قفاً بين يدي الله ليس غيره وهو الذي يتلقى  
الكلام ، فإذا ذكر الله عبداً بخير تلقاه ثم ميكائيل ، وحوله الملائكة المقربون  
والخائون من حول العرش ، فإذا شاع ذلك في الملائكة ، صارت الصلاة عليه منهم  
ثم تهبط الصلاة إلى ملائكة الأرض .

وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات حتى رفع الله عيسى - عليه  
السلام - فحجب من أربع ، فكان بعد في ثلاث فلما بعث الله نبيها محمداً ﷺ  
حجب من الثلاثة أيضاً .

وهو وجنوده محجوبون من جميع السموات إلا من استرق السمع فلما سمع  
إبليس تحارب الملائكة بالصلاة على أيوب والثناء عليه ، أدركه الهوى والحسد ،  
وصعد مررباً حتى وقف موقفاً كان يقفه . فقال : يا إلهي نظرت إلى عبدك أيوب ،  
فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك ، وعافية فحمدك ، لم تبهله بشدة ولين ،  
خربة ، بهلا ، ليس كفرن بك وينداك .

فقال له : انطلق إليه ، فقد سلطتك على ماله .

فانطلق وجمع العفاريات فقال : ما عندكم من القوة ؟ إني قد سلطتُ على مال

أيوب ، وزوال المال هو المصيبة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال ؟

قال عفريت : أعطيتُ من القوة ما إذا شئت تحولت إحصاراً من نار ،

وأحرقتُ كل شيء آتى عليه .

قال إبليس : فانتِ الإبل ورعاتها .

فانطلق إلى ذلك ، ووجد ما وضعت رءوسها في مراعيها ، ولم يشعر الناس

حتى ثارت من الأرض إحصاراً من نار . فنفخ فيها ريح السموم فأحرقتها

ورعاتها .

ولما فرغ إبليس على قومود منها ، وانطلق إلى أيوب فوجده يصلي . فقال :  
يا أيوب .

قال : لبيك .

قال : هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اختربته وعبدته بإلك ورعاتها ؟  
قال أيوب : إنها ماله أعارني ، وهو أولى به .

فقال إبليس : أرسل إليها ناراً من السماء فأحرقت .

فمن الناس من يقول : ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور .

ومن يقول : لو كان إله أيوب يقدر على أن يجمع شيئاً لمنع عن وليه .

ومن يقول : أفضل به ربه ذلك ليشتت به عدوه ، ويفجع به صديقه ؟

فقال أيوب : الحمد لله حين أعطاني ، وحين نزع مني . عريانا خرجت مني

بطن أمي ، وأعود إلى القبر بلا مال ، وعريانا أحشر إلى الله . ليس لك أن تفرح

حين أعارك ، ولا أن تجزع حين رد للمارية . ولو علم فيك خيراً لفتلك مع تلك

الأرواح ، كذا قال .

والخطاب للرجل الذي تمثل به إبليس . وهو مشكل ، فإنه إنما يقول : لو

علم فيك خيراً لفتلك مع تلك الأرواح ، لو كان مؤمناً ، وأمل الخطاب لنفسه فرجع

إبليس - أبعد الله - خائباً ذليلاً . فقال لأصحابه : ما عندكم ؟

فقال عفريت : عندي ما إذا شئت صحت بصوت لا يسمعه ذو روح

إلا مات .

فقال له : إيت الغنم ورعاتها .

فانطلق وتوسطها وصاح ، وماتت ورعاتها ، ثم خرج إبليس متملاً بقرمان

الرعاة إلى أيوب ، وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الأول ، ورد عليه أيوب

كرده الأول .

فرجع إلى أصحابه . فقال لهم : ما عندكم فإني لم أكلم قلب أيوب ؟  
فقال عفریت : عندى ما إذا شئت تمحوأت ريحاً عاصفاً تنسف كل  
ما صرت عليه .

فقال له : إيت الفدادين ، فأناها ريحاً نسفت كل ما فيها من بذر وتراب .  
فخرج إبليس - أبعد الله - معتملاً بقهر مان الحرث ، فجاء أيوب ، وهو يصلى ،  
فقال له كما مر ، وأجابه بما مر ، وجعل يصيب أمواله مالا مالا ، كلما أتاه هلاك  
مال أحد الله ، وأثنى عليه ، ولم يبق له مال . فلما رأى إبليس - أبعد الله - قد  
أفنى ماله ، ولم يقل شيئاً شق ذلك عليه ، وصعد مريعاً ، حتى وقف الموقف الذى  
يوقفه فقال : اللهم إن أيوب يرى أنه إذا تمتعه بنفسه وولده فأنت تعطيه المال ،  
فهل أنت مسلط على ولده ؟ فإنهم للفتنة المضلة والمصيبة التى لا تتوم لها قلوب .

فقال الله سبحانه : قد سلطتك على ولده ، فجاءهم فى قصورهم فزلزلها بهم ،  
ووقعت عليهم .

فجاء إلى أيوب معتملاً بالمعلم الذى يعلمهم الحكمة ، مخدوش الوجه ، سائل  
الدموع فقال : لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف نكسوا على رؤوسهم تسيل  
دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وأنفواهم ، ولو رأيت كيف شقت بطونهم  
وتذاثرت أمعاؤهم ، لانتطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق قلب  
أيوب ، فبكى .

فوضع . قيل : قبضة من التراب على رأسه ، فاغتم إبليس ، فصعد مريعاً يجزع  
أيوب ، ثم تفكّر أيوب وقاب . فسبقت ملائكته بقوبته إبليس .

فرقف خاسئاً فقال : يا إلهى إنما دعوت على أيوب ماله وولده ، أنه يرى  
أنك إذا تمتعه بنفسه أعدت له المال والولد ، فبل أنت مسلط على بدنه ؟

فقال : قد سلطتك عليه إلا لسانه وقببه ، فأمرع إليه ، فوجدته ساجدا ،  
فجاءه من تحت الأرض ، فنفخ في منخره نفخة ، فخرج من قرنه إلى قدميه  
ثأليل مثل آيات الفم ، ووقعت به حكمة لا يناسك عنها ، فحك بأظفاره حتى  
سقطت كلها ، ثم حك بالمسوح الخشنة ، فلم يزل يحكمها حتى تقطع لحمه  
وتغير وأتقن .

فأخرجته أهل القرية ، وجعلوه على كفاية لهم ، وجعلوا له عرشاً ، ورفضه  
خلق الله كلهم غير امرأته راحة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب وكانت تختلف  
بما يصلحه ويكرمه .

لم رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به انهموه من غير أن يتركوا دينه  
فما طال عليه البلاء انطلقوا إليه و و في بلائه فبكثوره ولا موه وقالوا  
له : قرب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به . وحضر معهم فتي حديث اللسان ،  
وقد كان آمن به فقال : إنكم تكلمتم أيها الكهول ، ولم تدروا حق من  
انقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي انهمتم ؟

الم تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الأرض ؟ ولم  
تعلموا أن الله سخط شيئا من أمره ، مفذ آياه الله النبوة . فإن كان للبلاء هو  
الذي أزرى بكم عنده ، ووصفه في أنفسكم . وقد علمتم أن الله تعالى يعلو المؤمنين  
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وأيس بسلاؤه لأوليائه على سخط  
عليهم ، ولا هو انهم عليه ، وانكها كرامة ، وخبر لهم . ولو كان أيوب على غير  
هذه المنزلة إلا أنكم صحتموه ، فليس للعليم أن يعزل عن أخيه ، فد المصيبة ،  
ولا أن يعيب ما لم يعلم ، بل يرحمه ويبكي معه ويستغفر . فالله الله أيها الكهول ،  
قد كان لكم في عظمة الله ما يقطع ألسنتكم ، ويسكن قلوبكم . ألم تعلموا أن الله  
عهادا سكتهم خشية من غير عى ولا بكم ، وانهم لهم للفصحاء النبلاء .



العالون الله وآياته ، ولكم إذا ذكروا عظمة الله ، انطابت أنفسهم ،  
واقشعرت جلودهم ، وانكسرت قلوبهم ، وطاشت عقولهم إعظاما لله ، وإعزازا  
وإحلالا ، يستبشرون إلى الله بالأعمال الزاكية ، يعدون أنفسهم مع الخاطئين  
المفترطين ، لا يستكثرون الله الكثير ، ولا يرضون له بالقليل ، ولا يدئون عليه  
بالأعمال ، فهم ورعون خاشعون .

فقال أيوب : إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير . فقد  
ثبتت في القلوب أظهرها الله على اللسان . وليست الحكمة من قبل السن ، للتجربة  
عاجزا جعل الله العبد حكيما في الغيب ، لم تستط منزلة عند الحكمة ، وهم يرون  
من الله تعالى عليه نور الكرامة .

ثم أقبل أيوب على الثلاثة فقال : أتيتكم غضايا قبل أن تستنضبوا ،  
ورهبتم قبل أن تسترحبوا ، وبكميتم قبل أن تُخبروا كيف بكم لو قات لكم :  
تصدقوا على أموالكم ، أمل الله بخلصي ، أو قربوا على قرأنا أمل الله بقبوله  
ويرضى عني ، وإنسك قد عجبتكم أنفسكم ، وظننتم أنفسكم عوفونم بإحسانكم ،  
ولسكم عيوب سترها الله بالعافية ، وقد كنت موقرا . سموع الكلام ، وليس  
لي اليوم رأي ، ولا كلام معكم . أنتم اليوم أشد من صبيتي .

ثم أعرض عنهم . فقال : يا رب لأى شيء خلقتني . لهاتني إذ كرهتني لم  
تخلتني . يا لهاتني كدت حيضة ألقني أمي ، ولا ليتني قد عرفت الذنب الذي  
أذنبت ، فصرمت عني وجهك . لو أمثنتي وألحقني بالموتى كان أجرا لي .

يا لهي ألم أكن للغريب والمساكين قرارا ، ولليتيم وليما ، وللأرامل قيا ؟  
يا لهي أنا عبد ذليل ، وإن أحسنت فالمنة لك ، وإن أسأت فالعقوبة بيدك ،  
جعلتني للبلاء فرحاً ، وللنفقة نصيباً ، وقد وقع على بلاء لو ساطقه على جبل صنف  
عن جهله .

إلهي تقطعت أصابعي ، فلا أرفع أكلة إلى في إلا على الجهد .  
 إلهي تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين أدنى من شيء ، حتى إن أحداها  
 لتري من الأخرى ، وإن دماغي ليسيل من في .  
 إلهي تساقط شعر عيني وحدقتاي مائلتان على خدي ، وورم لساني في ،  
 حتى ملأ في ، فما أدخل فيه طعاماً إلا غصني ، وورمت شفتي حتى غطت  
 للعلها أنفي ، والأسفل دقي ، وتقطعت أمعاني في بطني ، وإني لأدخل الطعام  
 فهوخرج كما دخل ، ولا ينفق .  
 إلهي ذهبت قوة رجلي فلا تحملاني ، وذهب المال ، فصرت أسأل بكفي ،  
 ويطلب مني من كنت أمونه ، وأعير بهلاك أولادي ، ولو بقي واحد أمانني على  
 بلاني .

إلهي ماني أهلي ، وعقبي أرحامي ، وتنكرت إلي مصادقي ، ورغب عني  
 صديقي ، وقطعت أصدابي ، وجحدت حقوقي ، ونسيت صفائي . أصرخ فلا  
 يصرخوني ، وأعتذر فلا يعذروني ، وأدعو غلامي فلا يجوبني ، وأنصرع لأمتي  
 فلا ترحمني . كذا قيل ، ولعله تمثيل للإهانة ، وإلا فلا غلام ولا أمة له إذ ذاك ،  
 وإن قضاءك هو الذي أذني ، وسلطانك والذي أستمني وأحل جسمي ، فلو  
 أطلق لساني حتى أنكلم .

ثم قال : لو كان ينبغي للعبد أن يحتاج عن نفسه لرجوت أن تعافيني عند  
 ذلك مما بي ، ولكنه ألقاني فهو يراني ولا أراه ، ويسمعني ولا أسمعه .  
 قال ذلك أيوب ، وأصحابه عنده ، فأظلمته غمامة ، حتى ظنوا أنه عذاب ؛  
 فزادته الملائكة منها ، أو خلق الله فيها كلاماً : يا أيوب إن الله قريب منك في  
 كل حين ، فأدل بمذكرك ، وتكلم ببرائكك ، وخاصم عن نفسك ، واشدد عليك

إِذَا رَكَ ، وَقَمَّ مَقَامَ جَبَّارٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبُذُ أَنْ يَخَاصِمَنِي إِلَّا جَبَّارٌ مِثْلِي إِلَّا مَنْ يَحْمِلُ  
السُّخَالَ فِي فَمِ الْعَقَاءِ ، وَاللَّخَامَ فِي فَمِ اللَّتَيْنِ ، وَيَكِيلُ مَكِيلًا مِنَ الرِّيحِ ، وَبَصُرَ  
حَصْرَةَ مِنَ الشَّمْسِ ، وَيُرَدُّ أَمِيرٌ . لَقَدْ تَمَتَّتَ نَفْسَكَ أَسْرًا مَا يَبْلُغُ بِمَنَّاكَ ، أَمْ أَرَدْتَ  
أَنْ تَكْبُرَ فِي بَعْضِكَ ، أَوْ تَخَاصِمَنِي بِفَمِكَ أَوْ تَحَاجِبَنِي بِخَطِّكَ ؟

أَيْنَ أَنْتَ يَوْمَ خَلَقْتَ الْأَرْضِينَ ؟ هَلْ عَلِمْتَ عِلَامَ وَضَعْتَ أَسَاسَهَا ؟ وَكَمْ  
قَدَرَهَا وَبُعْدَ زَوَايَاهَا ؟ أَبْطَاعَكَ حَمْلَ الْمَاءِ الْأَرْضِ ؟ أَمْ بِحِكْمِكَ كَانَتِ الْأَرْضُ  
غَطَاءً لِلْمَاءِ .

أَيْنَ أَنْتَ يَوْمَ رَفَعْتَ السَّمَاءَ سَقْفًا ؟ وَهَلْ يَخْتَلِفُ بِأَمْرِكَ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا ؟  
أَيْنَ أَنْتَ يَوْمَ سَخَّرْتَ الْبَحَارَ ، وَفَلَقْتَ الْأَنْهَارَ ؟ أَقْدَرْتَكَ حَبَسَتْ أَمْوَاجُ  
الْبَحْرِ عَلَى حُدُودِهَا ؟ أَمْ نَقَعَتْ الْأَرْحَامُ ؟

أَيْنَ أَنْتَ يَوْمَ خَلَقْتَ الْبِهْمُوتَ ، وَجَعَلْتَ مَكَانَهُ فِي مَنَقَطِ الثَّرَى ؟  
وَأَيْنَ أَنْتَ يَوْمَ خَلَقْتَ الْجِبَالَ ؟ وَهَلْ تَدْرِي بِأَيِّ مَقْدَارٍ وَزَنَتْ ؟ وَعِلَامَ  
أَرْسَيْتَ ؟ وَهَلْ لَكَ ذِرَاعٌ تَحْمِلُهَا بِهَا ؟ وَهَلْ تَدْرِي مِنْ أَيْنَ الْمَاءُ ؟ وَمِمَّ أُنْشِئَتْ  
السَّحَابُ ؟ أَمِنْ خَزَانَةِ التَّلَجِ ؟ أَمْ مِنْ جِبَلِ الْبَرَدِ ؟ وَأَيْنَ خَزَانَةُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ ؟  
وَحَزَانَةُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ ؟ وَأَيْنَ خَزَانَةُ الرِّيحِ ؟

وَبِأَيِّ لُغَةٍ تَتَكَلَّمُ الْأَشْجَارُ ، وَمَنْ جَعَلَ لِلْعُقُولِ فِي أَجْوَافِ الرِّجَالِ ؟ وَشَقَّ  
الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ ؟ وَمَنْ ذَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ لِلْمَلِكَةِ ؟ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ بِحِكْمَتِهِ ؟

أَيْنَ أَنْتَ يَوْمَ خَلَقْتَ لِلْقَتَنِ رِزْقَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَمَسَكَنَهُ فِي السَّمَاءِ ، وَعِوْنَاهُ تَقْوِيقِدَانِ  
فَارًا ، وَخَرَاهُ يَفْثَرَانِ دَخَانًا ، وَفَوْهُ يَشُورُ مِنْهُ نَارًا ، جَوْفُهُ يَحْتَرِقُ ، وَنَفْسُهُ يَلْتَهَبُ  
وَزَبْدُهُ جَهْرٌ كَالصَّخُورِ ، وَصَرِيرُ أَسْفَانِهِ كَأَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ ، وَنَظَرُ عَيْنَيْهِ كَلَعٌ لِلْبَرْقِ ،

والحديد عيده كالنبن ، والنحاس كالخيط يسير في الهواء كالمصفور ، وبهلك كل ما سر عليه . هل أنت آخذة وواضع الاقسام في شدة ؟ هل تحصى عمره ؟ هل تدري ما خرب من الأرض ؟ وماذا يخرب بما يفنى من عمره ؟ أنطبق غضبه حين يغضب ؟ أم تأمر فيطيعك .

قال أيوب : إلهي قصرت عن هذا الأمر الذي عرض علي . أيت الأرض افشقت لي فذهبت فيها ، ولم أنكلم بشيء بسخط ربي . اسمع عني البلاء ، وقد علمت أن ذلك كله صنعك ، وأعظم مني . ولا تخفي عنك خايبة . ولا يسبرك شيء . وقد علمت في بلائي هذا ما لم أكن أعلم ، وخفت أن يكون أسرا أكثر ، كان إلهي كنت أسمع بطونك ، والآن شاهدت .

تسكمت حين تسكمت ، تمدرني ، تسكت حين تسكت لترحمي كما زلت على لساني فلان أعود ، وقد وضعت يدي على في ، وعضضت على لساني ، وألصقت بالتراب خدي ، ودمست فيه وحمي ضاربي ، فما عفر لي ما قلت . فلان أعود شيء ، تسكره مني . واستجرتك من جهد البلاء . مأجرتي ، واستعنت بك من عقابك أعني ، وتوكلت عليك فأكفني ، واعتصمت بك فأعصمني .

يقال الله : يا أيوب نفذ فيك حكمي ، وسبقت رحمتي غضبي . قد عفرت لك ورحمتك ، ورددت عليك أملاك ومالك ، ومنلتهم معهم ، لتذكروا لمن حلفكم آية ، وعبرة لأهل البلاء ، وعزاء للصابرين .

اركن برجلك هذا مفتسل بارد وشراب ، فيه شفاء ، وفرغب عن أصحابك قرمان ، واستغفر لهم ؛ لأنهم قد عصوني فيك . فمسل وأقبلت امرأته تلتقيه في مضجعه ، لم تجده . فوالت وقالت : يا إلهي الله من لك لرجل البائس الذي كان



فقال لها : وهل تعرفينه إذا رأيت ؟

قالت : نعم . ومالي لا أعرفه .

وتبسم . وقال لها : أنا هو . فعرفته لما تبسم ، فاعتذرت .

قال ابن عباس : هو الذي نفسي بيده ما فارقة من عناقته ، حتى مريبها

ما كان لها من المال والولد .

وعن أس عن رسول الله ﷺ : إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثمانى

عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوته يقدوان إليه ويروحان .

فقال أحدهما لصاحبه : والله لقد أذنب أيوب ذنباً ، ما أذن به أحد من العالمين .

فقال له صاحبه : وما ذاك ؟

فقال : منذ ثمانى عشرة سنة ، لم ير حه الله

ولما راحا إلى أيوب ، ذكر الرجل ذلك له . فقال أيوب : ما أدري ما تقول .

فغير أنى كنت أسر بالرجلين بقنارغان فهذا كرا ن الله ، فأرجع إلى بيتي ، فأكفر

عنهما كراهة أن يذكر الله تعالى في حقى .

قل : وكان يخرج الحاجة ، فإذا قضى حاجته أمسك امرأته بيده حتى يبلغ

منزله . ولما كان ذات يوم أبطأ عنها . وذلك أنه أوحى الله تعالى إليه : اركض

برجلك . فأتبعها تعلقه لتعظم ما شأنه ، فقبل عايتها وقد أذهب الله عنه ما أصابه

من الهلاء ، وهو أحسن مما كان . ولما رآه قالت له : هل رأيت نبي الله هذا

المبغى ؟

قال لها : إلى أنا هو .

وكان له أندران : أندرا لقمح ، وأندرا للشعر ، فبث الله سبحانه أفرغتهما  
إحداهما على أندرا القمح الذهب حتى قاض ، والأخرى على أندرا الشعر الفضة  
حتى قاض .

وروى أن الله ببث إليه ملكاً وقال : إن بك بقروك السلام بصبرك ،  
فاخرج إلى أندرك فخرج إليه ، فأرسل الله إليه جرادة من الذهب ، فطار  
واحدة ، فأتبعها وروها إلى أندره .

فقال له الملك : أما يكفوك ما في أندرك ؟

فقال له : هذه بركة من بركات ربي ، ولا أقنع من بركاته .

وعنه عليه السلام : بينما أيوب يمثل عريانا ، مر عليه جرادة من ذهب ، فجعل  
يخشى في ثوبه . فندبه ربه : ألم أكن أغنيك عما قرى ؟  
قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي من بركاتك .  
لا وعن وهب : لم تكن بأيوب أكلة . وإنما كان يخرج منه مثل ثدي المرأة  
ثم ينقطع .

قال الحسن : لم يبق له غير امرأته رحمة ، صبرت معه ، تقصدق وتأتية بطام  
وتحمد الله تعالى معه ، إذا حمده .

وكان أيوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله ، والثناء عليه ، والصبر على  
ما ابتلاه . فصرخ الالعين صرخة ، جمع فيها جنوده من أطوار لأرض جزعا من  
صبر أيوب .

فلما اجتمعوا حوله قالوا له : ما جزعك ؟

قال لهم : أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلمني على ماله وولده ،  
فلم أدع له مالا ولا ولدا ، فلم يزد ذلك إلا صبرا ونقاء على الله تعالى ، ثم ساءت

على جسده ، فتركه ، كخزفة ملقاة على كفاية ، لم يقربه أحد إلا امرأته ، قد  
انقضت من ربي ، واستعنت بكم ليعينوني عليه .

فقالوا له : أين مكرك ؟ أين عليك الذي أهلكك به من مضي ؟

قال : بطل ذلك في أيوب . فأشبهوا على .

قالوا : أشبه عليك بما أتيت به آدم .

قال : من قبل امرأته ؟

قالوا : شأنك بأيوب من قبل امرأته ، فإنه لا يستطيع أن يعصمها ، وليس

أحد يقربه غيرها .

قال : أصبتم .

فانطلق إبليس إلى امرأته ، فوجدتها وهي تصدق ، فثقل لها في صورة رجل .

فقال لها : أين بهلاك يا أمة الله ؟

قالت : هو ذلك يحك فروجه ، وتتردد الدواب في جسده . فلما سمعها طمع

أن تكون كلمة جزع ، فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال ،  
وذكرها جمال أيوب وشبابه ، وما هو به من الضر ، وأن ذلك لا يقطع أبداً .

قال الحسن : فصرخت . فلما صرخت علم أنها قد جزعت . وأنها بسعلة فقال

لها : لهذبح هذه أيوب لغير الله وبيراً . فجاءته وهي تصرخ وقالت : يا أيوب إلى متى

يعذبك ربك ! ألا يرحمك ؟ أين المال ؟ أين الماشية ؟ أين لود ؟ أين العديق ؟

أين لوك الحسن ؟ اذبح هذه السخلة لغير الله وتستريح .

قال لها أيوب : أناك عدو الله تعالى فنفخ بك ؟ ! وراك . رأيت ما تبكين

عليه ، مما كفا فيه من المال والولد والصحة . من أنعم بها عليفا ؟

قالت : الله عز وجل .

قال : وكم مقعدا به ؟

قالت : ثمانين سنة .

قال : فبئسكم ابقلاى الله تعالى بهذا البلاء .

قالت : منذ سمع سنين .

قال : وبئس ما عدلت ، ولا أنصفت ربك . ألا صبرت في هذا البلاء الذى

ابتلانا به ربعا ثمانين سنة كما كذا فيه من الرخاء ؟ والله انى شفى الله لأجل ذلك

مائة جلد ، حيث أمرتني أن أذبح اغبر الله طعامك وشراؤك الذى تأتيني به

على حرام . فاذعبي ولا تأتيني .

ولما رأى أنه لا طعام ولا شراب ، وقصرت امرأته ، خر ساجدا وقال :

رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

فقبل له : ارفع رأسك ، فقد استجب لك . اركض برجلك فركض فخرج

ماء ، فاعتسل منه ، وذهب ما به . ونسب وذهب ما في باطنه .

وقبل : ركض برجله أيضاً ، فبمع فشراب . وجعل يقلقت ، ورأى جميع

ما كان له من مال وولد ومثله . فقدم في مكان مشرف ثم إن امرأته قالت :

أرأيت إن طردني إلى من أكله ؟ أأدعه يموت جوعاً ، وتناكله السباع ؟ والله

لأرجعن . فرجعت للكفاسة ولم تجده ، فوجدت الأمور قد تغيرت ، وجعلت

تهكي ، ويوب يراها . مدعاها فقال لها : يا أمة الله ما تريدن ؟

فبكت وقالت : أردت ذلك البقي الذى كان مهبوذاً على الكفاسة ، ولا

أدرى أصاع أم ماذا فعل به ؟

قال لها أيوب : ما كان منك ؟

فبكت وقالت : بعل . وقل لها : أتعرفينه إذا رأيته ؟



قالت : وهل يخفى على أحد . ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه . قالت : أما إنه أشبه خلق الله بك إن كان صحيحا .

قال : فإني أتأنيب أيوب . أمرتني أن أذبح لإبليس ، فأطعت الله ، وعصيت إبليس - لعنه الله - فدعوت الله ، فرد علي ما تزين .

قل وهب : فلما غلب أيوب إبليس ، اعترض امرأته في موكب عقاب إبليس كوكب للناس ، وفي هيئة وجمال ، ليس كجمال بني آدم فقال لها : أنت صاحبة أيوب المبتلى ؟

قالت : نعم .

قال لها : هل تعرفيني ؟

قالت : لا .

قال لها : أنا إله الأرض ، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت . وذلك أنه عيّد إله السماء وتركني . ولو سجد لي سبعة رددت عليه ما كان لي كما من مال وولد ، فإنه عندي . ثم أراها إمام يبطن الوادي الذي لقها فيه .

قال وهب : وقد سمعت أنه قال : لو كانت صاحبك أكل طعاما لم يُسم عليه لعرّفي .

وفي بعض الكتب أنه قال لرحمة : وإن شئت فاسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد لك الأولاد والمال ، وأعافى زوجك . فذكرت لأيوب ذلك . فقال : ذلك إبليس - عدو الله - أراد أن يفتنك عن دينك . وأنسم : آئن طاماني الله لأخربك مائة جلد .

وذُكر أنه قال له الله : اركض برجلك . فركض ففزع ماء اغتسل به . ولما

اغتسل تطاير من الماء الذي كان يغتسل منه جراد من ذهب ، فجعل يضمه إلى صدره فقال له : ألم أغمك عن ذلك ؟

قال : بلى ، ولكن من يشبع من بركتك ! ومشى أربعين خطوة ، وأمره أن يركض ، فركض بالأخرى ، فذبح ماء ، وشرب منه .

وظاهر الآية التي في ص أن الركض واحد ، وكانت امرأته تكسب وتقوته ولما طال الأمن شتمها الناس ، ولم يستعملها أحد . فخرت قرنا من رأسها بأعقه ، وأنته بتممه طعاما . فقال لها : أين قرارك فأخبرته .

فقال : رب إني مسني الضر .

وقيل : قل ذلك لقرض إبليس لزوجته : أن تسجد له ، ولأمره : أن تذبج لغير الله ، ولأمره : أن يسجد له .

وقيل : لثماتة أصدقائه به .

وقيل : لطرده إياها .

وقيل : لقصد الدود قلبه ولسانه فخشى أن يبقى مقطعا عن الذكر والذكر . وكانت الدودة . قيل : كالذراع .

وقيل : قل ذلك لما وقعت دودة فردما لموضعها ، وقل لها : قد جعاني الله طعامك ، فعوضه عضة زاد ألمها على ما قامى من عقر الديدان .

وعن عبد الله بن عمر : كان له أخوان ، فقاما من بعيد لفته . فقل أحدهما : لو علم الله فيه خيرا ما ابتلاه . فسمع ذلك ، وما كان شيء أشد عاياه من كلامه .

فقال : رب إني مسني الضر ، وأنت أرحم الراحمين اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت قط شعبان وأنا أعلم بمن كان جائعا فصدقني . فصدق من السماء ، وها يحسمان . فخر ساجدا لله . فكلام الرجل هو الضر الذي مسه .

كل المصائب قد تمر على النبي تهون غمهم شمانة الحساد  
 إن المصائب تنقضي أيامها وشمانة الأعداء بالمرصاد  
 قال الجنيد : غرته فاقة للسؤال ليق عليه بكثرة الذوال .  
 ومات . قيل : وهو ابن ثلاث وتسعين سنة . وسماه الله صابراً مع قوله :  
 رب إني مسني الضر ؛ لأن قوله هذا ليس بشكوى ، بل دعاء - كما مر - بدلول  
 « فاستجبنا له » .

وأيضاً إظهار الشكوى ولو للناس مع الرضى بآقضاء ليس - زعماً ، وقد قال  
 ﷺ لجبريل في مرض موته : أجدني مغموماً . أجدني مكروباً .  
 وقالت عائشة : وأرأساه .

نقال : بل أنا وأرأساه .  
 وقيل في رحمة : إنها بنت يوسف الصديق .  
 وقيل في أبوب : إنه من بني إسرائيل لا من الروم .  
 وروى أنه إذا وفعت دودة ردّها ، وقال : كلّي رزقك ، وأنه دعا حتى مر  
 عليه أعداء له فشمعوا به ، وأنه لما أمطرت عليه سحابة من ذهب ، جعل يجمع  
 ما طار أو بعد في ثوبه .

وروى أن الله أذن لإبليس في هلاك قرابة أبوب ، كما أذن في أولاده .  
 وروى أن إبليس - لعنه الله - قال لأبوب عيانا : اذبح سَخْلَةَ .  
 قال : لا ، ولا كَفْأً من تراب .

( وَذِكْرِي لِلْمَآبِدِينَ ) اصبروا كما صبر ، وتثابروا كما أثيب في الدنيا  
 والآخرة .

ذكر الشيخ هود عن ابن مسعود : أنه لا يبلغ المرء الإشراف بالله حتى يصل  
إلى الله ، أو يدعو غير الله ، أو يذبح لغير الله .

وذكر عن الحسن أن الله جل وعلا يجمع على أهل الجلال - إذا قالوا : آتيتنا  
بجبالا ، واشتدنا عن العبادة - يوصف . ويقول : بجالكم خير أم بجاله ؟  
فيقولون : بجاله .

فيقول : لم يشده . وعلى أهل اللولاء بأيوب . وعلى أهل الملك بسلامان .  
ويسألهم : من أشد ؟ فيقولون . ويقول : لم يشده ذلك .

وذكر عن الحسن أنه لم يبلغ شيء في أيوب مثل قولهم : لو كان نبيا ما أبغى  
بذلك . ودعا عند سماعه قولهم ذلك : اللهم إن علمت أني لم أعمل حسنة في العلالة  
إلا علمت مثلها في السر ، فاكشف ما لي من السر .

( وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ) قيل : هو إلهاس . وقيل :  
زكريا .

وقيل : يوشع . سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله .  
وروي أنه كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه ، وضعف ثوابهم .  
وقيل : خمسة من الأنبياء ذوو اسمين : إسرائيل ، وهو يعقوب . وإلهاس  
أو زكريا ، أو هو ذو الكفل . وعيسى ، وهو المسيح . ويونس ، وهو ذو النون .  
ومحمد ، وهو أحمد عليه السلام وعليهم أجمعين .

وقيل : ذو الكفل غير نبي ، وإنما كان رجلا صالح . سمي بذلك لأنه تكفل  
بمؤنة عابد تفرغ للمادة .

وقيل : التبجأ إليه رجال مؤمنون فكفلهم .  
وقيل غير هذا ، مما تراه قريبا - إن شاء الله .



قال النعماني في عرائس القرآن : إنه بشر بن أيوب المثلث ، سماه : ذو الكفل ، وأمره بالذبح إلى الله ، وأرصاده عند موته . وبمسه الله نبيا ، وأقام بالشام هجرة ، وهو خمسة وسبعون عاما ، وأنه أوصى بعده ابنه عهد بن .

قال : روى الأعمش بن المنهال بن عهد الله بن الحارث أن نبيا من الأنبياء قال : من يكفل لي أن تقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟

فقال شاب فقال : أنا .

فقال : اجلس . ثم أجاد ، فقال من قال مش قوله الأول . فأعاد فقال كذلك .

فقال : تقوم الليل ، وتصوم النهار ولا تفطر ، وتقضي بين الناس ولا تغضب ؟ فقال : نعم . فمات ذلك النبي . فجلس الشاب مكانه ، فوقى بذلك ، فجاءه الشيطان - أبده الله - في صورة إنسان له فضبه ، وهو صائم يريد أن يقبل . فغضب الباب ضربا شديدا .

فقال : من هذا ؟

فقال له : رجل له حاجة .

فأرسل إليه رجلا .

فقال له : لا أرضى بهذا الرجل .

فأرسل معه آخر .

فقال : لا أرضى بهذا فخرج إليه ، وأخذ يوده إلى السوق ، فتركه ولم

يغضب .

قال : وقال بعضهم : ذو الكفل : بشر بن أيوب ، بعثه الله بعد أبيه إلى أرض الروم ، يأمنوا به وصدقوه واتبعوه ، ثم أمرهم الله بالجهاد ، فضعفوا وقالوا :

إنا قوم نحب الحياة ، ونكره الممات ، ومع ذلك نكره أن نمسى الله ورسوله .  
ولو سألت الله أن يطيل أعمارنا ، ولا يميتنا إلا إذا شئنا ، أفعبدنه ونجاهد  
أعداءه .

فقال لهم : كلتموني شططا .

ثم قام وصلى ودعا وقال : إلهي أمرني ببليغ الرسالة ، وأمرني بجهاد  
أعدائك ، وأنت أعلم أي لا أملاك إلا نفسي ، وأن قوتي سألوني في ذلك ما أنت  
أعلم به ، فلا تؤاخذني بجريرة غيري ، وأنا أعوذ برضاك من سخطك ، وبغفوك  
من عتوبك .

وأوحى الله تعالى إليه : أنت قد سمعت مقالة قومك ، وإني قد أعطيتهم  
ما سألوني ، فلا يموتون إلا إذا شاءوا . فكن لهم مني كفيلاً بذلك . فتكفل لهم  
بذلك ، فسمي ذا الكفل . وكثروا حتى ضاقت بهم الأرض ومعيشتهم : فسألوه  
أن يرد الله آجالهم ، فكانوا يموتون لآجال مثل آجالهم السابقة قبل . ولذلك  
كثرت الروم ما لم يكثروا غيره .

وسموا روما . قيل : لأن جدم روم بن عيسى بن إسحاق .

وقيل : إن ذلك للنبي - وكان من بني إسرائيل - أوحى الله : إني أريد  
قبض روحك ، فأعرض ملكك على بني إسرائيل ، فمن تكفل منهم بذلك ،  
فادفع إليه ملكك .

وقيل : لما كبر ليسع قال : إني أستخلف رجلا على الناس في حياتي ، أظن  
كيف يعمل . فجمع الناس وقال : من يتكفل بثلاث أستخلفه : بصوم للنهار ،  
وبقوم الليل ، ولا يغضب .

فقام رجل تزدرية المين فقال : أنا ، فرد .

فقال ذلك في اليوم الثاني .

فقال : أذا .

فاستخلفه . فأنابه إبليس في صورة شيخ ضعيف ، حين أخذ مضجعه للقائلة .

وكان لا ينام من الليل والنهار إلا تلك الذومة : فدى الباب فقال : من هذا ؟

فقال : شيخ كبير مظلوم .

فقام ففتح الباب .

فقال : بيني وبين قوم خصومة ظلموني وظلموا . وأطال في الكلام حق

ذهبت القائلة .

فقال : إذا جلست فأت حق أخذ حقك .

ولما جلس انتظره ، ولم يحى حق جلس من الفد وفرغ ، وأخذ مضجع

القائلة . فدى الباب .

فقال : من هذا ؟

فقال : الشيخ المظلوم . ففتح له . فقال : ألم أقل : إذا جلست فأت ؟

قال : إنهم أخبث قوم . إذا جلست قالوا : نمطيك حقك . وفاته القائلة .

وقال : إذا جلست فأت ولم يأت .

ولما كان اليوم الثالث ، وفرغ ولم يأت ، أخذ مضجع القائلة قال لبعض أهله :

لا تدع أحدا يضرب الباب حتى أنام ، قد شق على النفس . فجاء إبليس ، فلم يأذن

له الرجل . ودخل من كوة فاستيقظ فقال : يا فلان ألم أمرك ؟

فقال : أما من قبلي فلم تؤت . فانظر من أين أتيت ؟

فقام إلى الباب ، فإذا هو مغلق .

فقال الشيخ : أنام والخصوم بهابك ؟ فنظر إليه فعرفه فقال : أعدو الله ؟

قال : نعم . أعيقتني وفعلت ما أمات لأغضبك ، فعصمك الله .

( كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ) على الطاعة ، والبلاء ، وعن العصية .  
فإسماعيل صبر على الذبح وأما إدريس فقد مر الكلام عليه . وأما  
ذو الكفل فرآفقا .

( وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ) النبوة والحكمة والجنة .  
( إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ) للرحمة ، أو من الصالحين في أنفسهم والصالحون :  
الأنبياء . واللكال .

( وَذَا الدُّونِ ) صاحب الحوت ؛ أضيف للحوت لأن الحوت بلمه ، وهو  
يونس بن متى .

قال السهولي : هذا مقام ثناء على يونس ، ولما عبر عنه بذو ، بخلاف :  
« ولا تكن كصاحب الحوت » وإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب ؛  
لأن ذو تضاف إلى الغاييم وصاحب يضاف إلى المقروع . انتهى . وأهل هذا غير  
لازم ، وهو نبي من أهل نينوى .

( إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ) أقومه أي غضبان عليهم غضبا شديدا ، مما قسى منهم  
من الكذب وغيره ، ولم يؤذن له في ذلك . ستم بقومه ، وذهب عنهم غضبا ،  
قبل أن يؤمر .

وقيل : وعدم بالذاب غدا ، ولم يأنهم للذاب غدا لقوتهم ، ولم يعرف  
بذلك ، وظن أنه يقال فيه : كذب .

وغضب من حيث بلغه تكذيبهم إلى هذا المقام ولم يقل : غضبان ، بل  
مغاضبا ؛ لأنه مفاعل والفتاء عمل بكثيرا المبالغة ، فاستعمل منه مفاعل  
هنا ، قصدا للمبالغة ، أو الألف للتعدي ؛ لأنه أغضبهم بالمهاجرة ، لخوفهم لحوق  
العذاب ، كما يقال : ما شئت وسأيرته .

وقرأ أبو شرف مغضبا بفتح الصاد . ونقل عنه أبو حيان مغاضبا بفتحها .



(يُظَنُّ أَنْ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ) لَنْ يَقْضَى عَلَيْهِ مَا قُضِيَنا ، مِنْ حَبْسِهِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ . وَيَدُلُّ هَذَا أَنَّهُ قَرَأَ الْآخِرَى وَالْحَسَنَ يَقْدُرُ بِضَمِّ الْعَوْنِ وَفَتْحِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْهَالِ .

وَقَرَأَ يَقْدِرُ بِفَتْحِ وَسُكُونِ الْقَافِ وَكُسْرِ الْهَالِ .

وَقَرَأَ بِمَقْرُبِ بِالْهَاءِ وَالْبِنَاءِ الْمَفْعُولِ .

وَقَرَأَ بِالْهَاءِ وَالْبِنَاءِ الْمَفْعُولِ مَعَ التَّشْدِيدِ . وَقَاعِلٌ دَى الْهَاءِ ضَمُّهُ اللَّهُ ،

وَنَائِمُهُ : عَلَيْهِ .

وَقِيلَ فِي الْمَعْنَى : ذَلِكَ هُوَ التَّضْيِيقُ ، أَوْ تَقْدِيرُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ ، أَوْ الْمَرَادُ

أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ تَعْمَلَ فِيهِ قُدْرَتُنَا .

وَقِيلَ : ذَلِكَ مِنَ الْجَازِ لِلْمَرْكَبِ لاسْتَعَارَى ، مُنْثَلِ حَالِهِ بِحَالٍ مِنْ يَظُنُّ أَنَّهُ

لَنْ يَقْدِرَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فِي مَرَاغَمَتِهِ قَوْمَهُ ، مِنْ غَيْرِ انْتِظَارٍ لِأَمْرِنَا ، أَوْ وَسْوَاسِ لَهُ

الشَّيْطَانُ : أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْكَ وَلَمْ تَهْبِ ، وَلَا كَادَ يَتَّبِعُهُ ، أَوْ يَقْبَلُ وَسْوَاسَهُ ،

وَلَكِنْ سَمِعْتَ ظَنًّا ، لِلْجَبَالَةِ وَالْفَقَاهِظِ عَلَيْهِ ، حَيْثُ ذَهَبَ وَلَمْ يَوْزَرْ ، بَلْ أَمْرٌ قَبْلَ

ذَلِكَ بِالصَّبْرِ عَلَى دَعَائِهِمْ ، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَسْوَغُ لَهُ ، إِذْ لَمْ يَفْعَلْ إِلَّا غَضَبًا اللَّهُ تَعَالَى

وَبَعْضًا لِلْكَفْرِ وَأَهْلِهِ . وَتِلْكَ لِلْعَالِي كَلَامُهَا ، بِتَقْلِيلِهَا لِلتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ .

وَإِذَا رَأَيْتَ التَّشْدِيدَ مُسْتَقْفًى مِنْهُ فَاجْعَلْهُ لِمُرَاقَقَةِ التَّخْفِيفِ ، أَوْ لِلتَّوَكِيدِ .

وَحُصِّنَ بِمَعْضَمِ التَّفْسِيرِ ، بِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ تَعْمَلَ فِيهِ قُدْرَتُنَا وَالتَّفْسِيرُ بِالْجَازِ

الْمَرْكَبِ وَالتَّفْسِيرُ بِالْوَسْوَاسَةِ بِقِرَاءَةِ التَّخْفِيفِ . وَمَنْ قَسَرَ الْآيَةَ بِالتَّحْدِيدِ لَا بِالقُدْرَةِ

ابْنُ عَبَّاسٍ . رُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : قَدْ خَرَبْتَنِي أَمْوَاجُ الْقُرْآنِ

الْبَارِحَةِ فَفَرَّقْتُ ، فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي خَلَاصًا إِلَّا بِكَ .

قال : وما ذلك يا معاوية ؟

فقرأ الآية فقال : أَوَ يَظُنُّ نَبِيُّ اللَّهِ أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَيْهِ اللَّهُ ؟

قال : هذا من التذر لا من التدرة .

وزعم بعضهم أنه غضب لأن المذاب لم ينزل عليهم ، وهو باطل ؛ لأن فيه طرفاً من معاداة الله . وإنما فر سامة وغضباً لدين الله . كما صر - أو خشية أن ينسب إليه الكذب ، أو يعمه المذاب ، ولم يؤمر . فذلك دونه .

وعن ابن عباس : إن يونس وقوه . يسكنون فلسطين ، فزام . لك . فسيه . منهم سومة أسباط ونصف ، وبق سبطان ونصف ، فأوحى الله إلى أشعيا النبي : أن مر إلى حرقيا الملك ، وقل له يوج . نبياً قويا ، فإني ألقى في قوب أدلك حتى يوصلوا معه بني إسرائيل ، فقبل .

فقال الملك : فمن ترى ؟ وكان في مملكه خمسة أنبياء .

قال : يونس ؛ لأنه قوي . فدعاه الملك ، وأمره أن يخرج .

فقال : هل أمرك الله بإخراجي ؟ وهل سماني لك ؟

قال : فيها هذا أنبياء أقوياء غيري .

والخرا عليه ، فخرج مفاضباً الملك والأنبياء واللقوم ، وأتى بحر الروم فركبه .

وقيل : خرج من قومه لما لم يؤمنوا ، وكان عندهم عادة أن يقتلوا الكاذب .

وقيل : اعتادوا هذا بعد إيمانهم .

وعن ابن عباس : أتى جبريل يونس فقال : انطلق إلى أهل نينوى فأذروهم .

فقال : ألتبس دابة .

قال : الأمر أعجل من ذلك . فغضب وانطلق إلى السفينة .

قال وهب : كان في خلق يونس ضيق ، فلما حل أنزال الدجوة تفسخ تحتها ،  
تفسخ الربع تحت الحن للتيل ، فقفنما من يده ، وخرج هارباً منها . ولذلك  
أخرج الله من أدنى للمزم : إذ قل لنبيه : « فاصبر كما صبر أولو المزم » وقال :  
« ولا تكن كصاحب الحوت » .  
وزعم بعض أن الشيطان استزله حتى ظن أن الله لا يقدر عليه ، وهو  
قول منكر .

ولبت في بطن الحوت عشرين يوماً بلياليها .

وقيل : سبعة أيام .

وقيل : ثلاثة .

وقيل : أربع ساعات .

وقيل : إن الحوت ذهب حتى بلغ تخوم الأرض السابعة . وقاب إلى الله ،

وراجع نفسه في بطن الحوت .

وروى أنه طال عليه تكذيبهم ، فأدعى الله إليه : أن العذاب يأتيهم يوم

كذا وكذا . فلما دنا الوقت تدعى عنهم . ولما كان قبل الوقت بيوم ، جعل يطوف

بالدعوة يهكي ويقول : يأتيكم العذاب غداً ، فسمعه رجل فانطلق إلى الملك ، فأخبره

أنه سمع يونس يهكي ، ويقول كذا .

فدعا لك قومه ، وأخبرهم . فقال : إن كان هذا حقاً فسمعتكم غداً .

فاجتمعوا حتى نظروا . وخرجوا غداً ، فنظروا فإذا بظلمة وريح شديدة أقبلت ،

فهمزوا الحق ، وأبسروا الشعر ، وجهسوا التراب والرماد على رؤوسهم تواضعاً لله

وتضرعاً ، ربكروا وآمنوا . فعرف الله منهم العذاب . فاشتد عليهم على بعض :

ألا يكذب أحد كذبة إلا قطعنا لسانه .

فجاء يونس من القيد، فنظر فإذا المدينة على حالها، والذاس داخلون وخارجون  
فقال: كيف أقم بوجه كاذب.

فأتى إلى ساحل البحر، فمرت سفينة، فأشار إليهم، فمعلومهم ولم لا يعرفونه  
فجمع في ناحية منها فرأوه، فلما مضوا إلا قليلاً حتى جاءتهم ريح كادت  
للسفينة تفرق.

فاجتمعوا فقالوا: أيقظوا الرجل ليدعوا معنا فأيقظوه. فدعا معهم، فرفع  
الله تلك الريح، وعاد لمساكنهم. فعادت الريح، فسكادت السفينة تهلك، فأيقظوه  
فدعوا فزالت الريح فتفكر. فقال: هذا من خطيئتي.

فقال لهم: شددوني وثاقاً، وألقوني في البحر فقالوا: لا نفعل، وحالك  
ما نرى، واسكن نقرع. ففعلوا، فجاءت له، وقالوا: لا حتى نعبد، فأعادوا،  
فجاءت له.

فانطلق إلى صدر السفينة الملقى نفسه، فإذا بحوت طامح فيه. فانطلق لجانب  
آخر، فإذا فيه الحوت، فألقى نفسه. فأوحى الله: إني لم أجعل لك رزقاً،  
بل جعلت بطئك له سجداً، فلا تسكبرن له عظماً، ولا تنظمن له شعراً، فبقي  
في بطئه.

قال الشيخ هود: أربعين ليلة.

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ) مخفية من النقيصة، أي بأن أر تفسيرية (لَا إِلَهَ  
إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) في دهاج من غير أن تأمرني،  
أر في غضبي لنفسى أن أسبى كاذباً.

والمراد بالظلمات: الظلمات الموكنة في بطن الحوت.



وقيل : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .  
 وقول : بلغ حوته حوتا أكبر منه ، فهو في ظلمة بطن الحوتين ،  
 وظلمة البحر .

وعنه عليه السلام : دعوة أخى ذى النون : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت  
 من الظالمين » ما دعا بها مؤمن ، أو قال : مسلم ، إلا استجوب له .  
 وعنه عليه السلام : أبما مسلم دعا بها في رضى أربعين مرة ، مات في مرضه أعطى  
 أجر شهيد ، وإن برى ، برى وقد غفر له جميع ذنوبه .  
 ومصدق عموم بركة هذا الدعاء ، لكل مسلم دعا به : « وكذلك تنجى  
 المؤمنين » كما روى عنه عليه السلام .

وروى أنه هوى به الحوت إلى مسكنه أسفل البحر ، وسمع يونس فيه حسا  
 فقال في نفسه : ما هذا ؟

فأوحى الله إليه : هذا تسبيح دواب البحر ، فسبح هو بالدعاء المذكور .  
 فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة .  
 وفي رواية : صوتا معروفا في مكان مجهول .

فقال : ذلك عبدي يونس ، عصاني فحبسته في بطن الحوت .  
 فقالوا : العهد الصالح الذى كان يصمد منه كل يوم وليلة عمل صالح ؟  
 قال : نعم . فشفعوا له عند ذلك .

وروى أنه سجد في بطن الحوت ، حين سمع تسبيح الحوت .  
 ورأى بعضهم للنبي عليه السلام في النوم . فقال : يا رسول الله لى حاجة إلى الله ؟  
 فماذا أتوسل إليه ؟

فقال : مَنْ كانت له حاجة إلى الله تعالى فليتوضأ ، وليسجد وليقل في سجوده أربعين مرة ، ويشر بأصبعه : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » فإنه يستجيب دعونه .

ومنه **الكتاب** : اسم الله عز وجل الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ أعطى : دعوة يونس بن متى .

وقالوا : مَنْ كتبها في جلد ظبي وعلقها في وسطه ونام ، فإنه لا يستيقظ حتى يقطع هذه الكتاب . وهذا يصلح لمن طال سهره لفكرة وخوف ، أو نحوها .  
( فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ) كأنقص في أن سبب استجابته دعاؤه المذكور .

قال الحسن : والله ما نجاه إلا إقراره بالظلم على نفسه . وأما ما تقدم من شفاعة الملائكة ، فمماها أنها سبب لتأثير دعائه في الإجابة ، أو شفَعُوا ولم يُشَفَّعُوا ، بل نجاه الله بدعائه .

( وَبَجَيْنَاهُ مِنَ النَّمِّ ) غم الالتهام ، أو غم الخطيئة نجاهه بأن أمر الحوت ، فقتله في الساحل كالصبي ، فأصابه حرارة الشمس . فأثبت عليه شجرة من يقطر فدام فاستيقظ وقد يبست فحزن .

فأوحى الله إليه بلسان جبريل عليه السلام : حزنت على الشجرة ، ولم تحزن على مائة ألف أو أزيد . فانطلق إليهم . فقال لأراعى : اسقني ابناً .

فقال : ما هذا شاة ابن ، فمسح بيده على ظهر واحدة فدرت . فشرب من لبنها .

فقال له الراعى : مَنْ أنت يا عبد الله ؟

قال : أنا يونس .

فانطلق إلى قومه فبشرهم ، فأخذوه وجاءوا به إلى الموضع فلم يجدوه . فقالوا :  
 شرطنا الربما أن لا يكذب هذا أحد إلا قطعنا لسانه . فتكلمت للنساء بإذن الله  
 عز وجل . فقالت : قد شرب من لبنى . فقالت للشجرة : قد استعظلت بى . فطلبوه  
 فأصابوه ، فسكان معهم حتى مات في مدينتهم نينوى ، من أرض الموصل على  
 دجلة .

وروى أنه ألقى نفسه في دجلة وأنها البحر ، وأن الحوت ذهب به إلى البحر  
 الكبير ، ثم رجع فألقاه بساحل دجلة . ونسبت هذه الرواية لابن عباس  
 ( وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ) من غمهم إذا استقنأوا بما . هي في مصاحفنا  
 مذكورة للثون لثانية حمراء إشارة إلى إختلافها . وفي مصحف عثمان بنى بدون  
 واحدة وجيم مشددة ولاء ما كمة . وهي قراءة ابن عاصم وأبى بكر .

قال الشيخ خاد : هي قراءة عامم وابن عاصم . أصله ننجى بنونين ، حذفت  
 الثانية تخفيفا للتكرار ، فإنه ولو اختلفت الحركة لكان الحرفان واحدا ، والضممة  
 دليل على أن المحذوف الثانية ، وبها حصل التكرار ، نهى أحق بالحذف  
 ولو كانت أصلا ، وهى فاء للكلمة ، والإدغام متعذر . ولم تحذف تاء و نتج فى  
 للابس .

وقول : هو فى قراءتهما ماض مبنى المفعول ، وأنه لا حذف ، وأن التائب  
 ضمير المصدر .

وبرده أن لام الماضى الأخيرة لا تسكن إوملا وسعة ، وإملا يحذف آخره  
 بالإسكان فى الشعر ، أو يسكن وقفاً ، وأن المصدر لا يسند إليه مع وجود المفعول  
 به ، على الصحيح .

وإن قلت : لو كان كذلك لقول : نجيث بالقاء ؛ لأن المصدر الذي رجع إليه الضمير المتعجبة .

قلت : هو من نجا بنحو ، ضمنت منه ، وبقي للمفعول ، ورجع الضمير للنباء قال ابن هشام .

وأجيب بأن ذلك الإسكان لغة قرأ بها الأعرابي : « نذقي ولم نجد » والحسن : « ما بقي من الرى » وأنه قد بدوب غير المفعول به مع وجوده .

وردد أيضاً : بأن ضمير المصدر إذا كان مفهوماً من الفعل لا بدوب .

وأجيب بمرود نيابة في : « رحيل بينهم »

قال هو والشيخ خالد : وقيل : الأصل : نجيى بسكون النون ، أدغمت في الجيم ، كإضافة : واحدة الإحاص ، وإجانة : قصرية بفعل ويعجن فيها . يقال : إنجاسة وإنجانة ، لغة بمانية أنكرها الأكفرون .

قال : وإدغام النون لا يكاد يعرف .

قال الشيخ خالد : لأن النون تخفى عند الجيم ولا تدغم .

وروى نجيى بنونين والتشديد .

وزعم بعضهم أن هذه الواقعة كانت قبل نبوة يونس - عليه السلام - جواباً عما نسب إلى نفسه من الظلم .

قلت : قد مر معنى ظلمه ، ومثله يجوز صدوره من الأنبياء .

والحق أن النبي معصوم من الكهرة ، قبل النبوة وبعدها .

قالوا : « وذا النون - إلى خاشعين » لزوال الهم والكيد وضيق الأسباب .

وروى : من ضاقت حاته دنيوية ، أو أخروية ، فليرجع إلى الله ويتب ،

ويستغفر ، سبعين مرة ، ويصل على النبي ﷺ كذلك ، ثم يتوضأ ويصل .



ركعتين بالفاتحة وغيرها فإذا سلم استغفر وصلى - كما مر - وقرأ: « قل لهم للناس  
إن الناس - إلى - الوكيل » « وأيوب إذ نادى - إلى - إلهه مدِين » « وذا النون -  
إلى - المؤمنين » و « فستذكرون ما أقول - إلى - المذاب » و « فإن تولوا فقل  
حسبي الله » الخ وسأل حاجته

وقالوا : من أصابه ثم فليسكب في قرطاس ويلقّه في الماء الجاري : بسم الله  
الرحمن الرحيم : من العبد الذليل إلى المولى الجليل . رب إني مسقى للضرر أنت  
أرحم الراحمين . اللهم بحرمة محمد ﷺ اكشف ضري وهمي ، وفرج عوفي .  
( وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ ) يارب . ( لَا تَذَرْنِي ) لا تتركني .  
( فَرْدًا ) بلا ولد يرثي . والجملة مفعول أقول محذوف ، أي بقوله : « رب لا تذرني  
فردا » أو قال : رب لا تذرني .

( وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ) رد أمره . فسلمنا إلى الله كأنه قال : إن لم ترزقني  
ولدا فلا أبالي به ؛ فإليك خير الوارثين .

( فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَعَدْنَا لَهُ لَمَحْنِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) أي جعلنا له زوجة ،  
يسمى يحيى ، وأصلحنا رحم امرأته لولادة بعد ، أي جعلناها ولودا ، بعد أن  
كانت عقيما .

وقيل : إصلاحها : تحسين خلقها ، وقد كانت سيئة الخلق ، طويلة اللسان  
ولا بعد في إرادة الكل

( إِنَّهُمْ ) أي من ذكر من الأنبياء

( كَانُوا بِإِسْرَءُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) في الطاعات يدخلون فيها بمسابقة ومصارعة  
أو « في » بمعنى « إلى » وذلك إشارة إلى أنهم استحقوا إجابة دعائهم ، لمبادرتهم  
إلى أبواب الخير .

وقيل : للضمير تركيها - عليه السلام - وزوجه ويحيى .

( وَتَدْعُونَنَا رَغَبًا ) في رحمتنا ، أو طاعتنا .

( وَرَهَبًا ) من عذابنا ، أو مصيبتنا .

وقرى : بإسكان الذين والهاء ، وهما مفعولان مطلقان ليدعونا ، مضاعفاً معنى

الترغبة في رحمتنا والرهبة من عذابنا ، أو حالان مباينة ؛ أو تقديرها بالوصف ،

أو بتقدير مضاف .

( وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ) معراضين في عبادتهم ، وسائر أحوالهم .

قيل : الخشوع : الخوف اللازم للقلب ، حتى إن صاحبه يحذر ، ولا يدخل

في الأمور ، خوف الوقوع في الإثم .

وعن الجليل : الخشوع : تذلل القلوب لعلام الغيوب

قيل : من خشع قلبه لم يقرب به للشيطان .

وعن بعض : إن الخشوع أن يفعل الظاهر إذا أرخى ستاره وأغلق بابه ، لا أن

يأكل خشفاً ، ويلبس خشباً ، ويطأ طي رأسه .

( وَآلَتِي أَحْصَيْتَ ) حفظت ( مَرْجَهَا ) عن الحرام والحلال ، وهي صريم .

والعطف على المنصوب ، أو لاقى مفعول به محذوف ، أي وادكر . وذلك مدح

وتتميد لولادة عيسى - عليه السلام - من غير أب .

وزعم بعض أن الفرج هنا هو فرج ثوبها ، وأنه مذهب الجمهور .

( وَتَفَخَّخْنَا فِيهَا ) متعاقق بتفخخنا ، فإن الدفخ واقع فيها ، نصار منه عيسى ، أو

بمحذوف حال من محذوف ، أي تفخخنا في عيسى ، وهو فيها . وهذا بناء على أن

عيسى كان شيئاً فيها قبل الدفخ ، مثل النطفة المجمعة منها .

ويجوز تعليق فيها بتفخخنا على تقدير : في عيسى . ونحو ذلك أن يقول الزمار :

ففتحت في بيت فلان ، أي فتحت في الزمار في بيته .

( مِنْ رُوحِنَا ) أى من الروح الذى هو ملك ومخلوق لنا ، أى ألقينا فيها الروح بلا واسطة ، أو المعنى : أمرنا جبريل بالنفخ فيها ، أن ينفخ من الروح الذى هو ملكنا ومخلوقنا ، وأسند للنفخ إلى نفسه ؛ لأنه الأمر به ، والقاضى به ، أو المراد بالروح : جبريل ، أى نفخنا فيها ، من جهة جبريل ، أى بواسطة .  
والإضافة على كل للتشريف .

( وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) الإنس والجن والملائكة ، إذ ولده من غير فعل ، ولم يقل : آيتين ؛ لأن الآية واحدة ، وهى قصتها التى هى ولادته من غير فعل ، فيقدر مضاف ، أى جعلنا قصتها وقصة ابنها .

وإن قلت : فقد قدرت قصتين ، فهل قيل : آيتين ؟  
قلت : هما قصة واحدة . وإنما قدرت القصة الثانية ؛ لئلا يقع اللطف على المتصل بالمرور بلا إعادة الجار . وهذا كما تقول : بينى وبين بكر .

( إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) هذه إشارة إلى مدة الإسلام .  
والأمة : الدين ، وأمة حال لازمة مؤكدة ، وصاحبها أمتكم . والإضافة إشاراً بأنه يجب أن تكونوا عليها ، وهى لا تختلف بين الأنبياء . وهذا خطاب للناس .

ويجوز اتصاله بقصة مريم ؛ فلها دأول الملة وانحادها . ويجوز كون صاحب الحال هذه .

وقرأ الحسن بنصب أمتكم ، على الإبدال من هذه ، أو المفعولية لأعنى أو أمدح محذوفاً ، ويرفع أمة واحدة على الإخبار .

وقرى برفعهما على الإخبار الممعد ، أو الثانى خبر المحذوف ، أى هى أمة .  
( وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ) وحدونى وأطيعونى ، والخطاب للناس ، وإن قلنا باتصال ذلك بالقصة .

(وَنَقَطُوا أَمْرَهُمْ كَيْدَهُمْ) أى قطع مض الخطابين أمر دينهم ، متخالفين فيه . وم طوائف لليهود والنصارى ، اختلفت اليهود على سبعين فرقة ، وكذا النصارى ، كل في الدار إلا واحدة . واختلفت هذه الأمة على ثلاث وسبعين ، كل في الدار إلا واحدة .

وروى : كل في الجنة إلا واحدة .

والأصل : فقطعتم أمركم بينكم . فنقل الكلام من الخطاب للقبيلة ، وفي ذلك تبيين امتزاج مؤلا . إلى من سوم ، وهو قائدة الاقنات ، كأنه قال : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكبوا في دين الله ، جعلوا أمر دينهم قطما ، كما تورع الجماعة شيئا وفرقة . ، يكون لكل واحد نصيب ، وذلك تمثيل لاختلافهم وصيرورتهم فرقا .

قال أبو البقاء : نصيب الأمر على تقدير : د في ه أ . هو مفعول انقطعوا بمعنى قطعوا ، أى فرقوا أمرهم ، فكل بلعن آخر

(كُلُّ) من المانطعين (إلينا راجعون) فجاز به بأعم له .

(مَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) وأما الكافر فعمله باطل محبط . (وَلَا كُفْرًا لِسَمِيهِ) لا يجحد سميته ، ولا يضيع ، بل يجازى به .

وأصل الشكر : الثناء على الحسن بما أولاه من الله وف أو الإحسان بخير اللسان بما أولاه ؛ والكفر عكسه . ومعنى ذلك الشكر في حق تعالى محال ، ولكنه يستعمل بمعنى الإعطاء مجازاة .

قال الكفران هذا : عبارة عن عدم الإطاعة ، ونفاه لا للتبرؤ ، ترك كيدا ، وزاد التبرؤ بلفظ الكفران ، وكان يكفي أن يقال : لا كفر .

(وَلِئِنْ لَمْ يَكُفِّرُوا) أمرون الحفظة بكفابته ، تأ كيد لعدم الكفران .



(وَأَنبَأَهُمْ) ، قرأ حمزة واللكساني وأبو بكر وحيزم بكسر الحاء وإسكان

الراء .

وقرى وحرم يفتح وإسكان . ورويت القراءة الثانية أيضاً من ابن عباس  
وحنس عن عاصم ، وهو مصدر في الثانية والثالثة بمعنى الوصف .

وقيل : وصف . وكذا الأولى ، قولان فيها .

(عَلَى قَرْيَةٍ أَذْلَكْنَاهَا) أردنا إهلاك أهلها ، أو قدرنا إهلاكهم وأهلكناهم ،  
أو وجدناهم حال كين بإهلاك كذا .

(أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) وحرام بمعنى ممتنع خبر ، وأنهم الخ مبتدأ ، أى عدم  
رجوعهم إليها يوم القيامة للجزاء . ممتنع « لا » نافية ، أو حرام بمعنى حتم وجزمه  
أى عدم رجوعهم إلى الدنيا ، أو إلى التوبة ، قبل موتهم ، فرض محتموم . « لا »  
خافية كذلك .

ويحوز أن يكون حرام بمعنى ممتنع ، و « لا » زائدة ، أى رجوعهم إلى الدنيا  
أو إلى التوبة في حياتهم ممتنع .

ويضعف كون « حرام » مبتدأ « وأنهم لا يرجعون » فاعله ، أغنى عن الخبر  
لأنه لم يتقدم استفهام ، أو نفى .

ويضعف كونه مبتدأ خبره : توبتهم ، أو حياتهم ، أو عدم بينهم محذوفاً ،  
لأن حرام وصف ، أى في معناه ، خلفه أن يكون خبراً لا مبتدأ ؛ لأنه مجرد من أل  
ويحوز كونه خبراً لمحذوف ، أى المصطفى الحسن أو العمل للصالح حرام عليهم ،  
وأنهم لا يرجعون لتأويل ، أى لأنهم لا يرجعون إلى الدنيا .

ويؤيد هذا أن بعضاً قرأ بكسر الهمزة فلا يكون خبراً لما قبله ، ولا مبتدأ  
له ، ولا فاعلاً ، بل سبأ نفى للتعليل .

ولما كان الشيء الممتنع كالشيء المحرم دهانة ، كانت العرب تعبّر بالحرام عن الممتنع ، بجامع عدم الوقوع .

وذكر ابن هشام ذلك إلا قليلاً منه . وقال : إنه إذا جعل حرام خبراً لأنهم لا يرجعون ، فهو واجب للتقديم ؛ لأن المبتدأ أن وصلتها . وأجاز كون حرام مبعداً خبره محذوف ، أى قبول أعمالهم . وسوغ الابتداء به : تقييده بـ « بلى قرينة » وأهم لا يرجعون تعليل .

وغالب ما ذكرته إنما ظهر لى - والحمد لله - ظهوراً ، ثم رأيت منصوصاً لابن هشام .

وقوله : « ولاتى أحضت - إلى - راجعون » لحفظ ولد الحامل ، والإعانة على الولادة ، وبكثرت ذلك ويعلق على الحامل ، أول ما يفتن بحملها ، أربعين يوماً ، ثم ينزع إلى شهر الولادة ، رباطاً عليها . وإذا ولد ، علق في عنقه ، فتسهل ولادته وينجب .

( حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ) حق حرف ابتداء لإجازته على الصحيح وهو راجعة إلى حرام ، أو إلى « لا يرجعون » أو إلى محذوف دل عليه ذلك . وفيها غاية ، وهو مرادى نقول : راجعة إلى حرام الخ ، أى هى غاية لقوله : حرام ، أى بدوم الإهلاك ، أو عدم الرجوع إلى ذلك الوقت . فإذا كان ذلك الوقت ، وقامت القيامة رجعوا .

وقرى : يأجوج ومأجوج بالهمزة .

وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد للقاء .

ويأجوج ومأجوج : قبيلتان ، والاسمان أجميان ، ويقدر مضاف ، أى فتح سد يأجوج ومأجوج ، وهما تسعة أجزاء : يأجوج ، ومأجوج ، وسائر الناس جزء .

وروى أن يأجوج ومأجوج كل يوم يشرفون على فتح السد .

روى : حق إنه آتري ضوء الشمس ، فيقولون : غدا نفتح ، أو يقوله

رئيسهم ولا يقولون : إن شاء الله . وإذا كان الغد وجدوه مردودا كما كان .

وإذا أمر الله بفتحه ألقى على لسان أحدكم أو كيرم : غدا نفتح . إن شاء الله .

فيجدونه غير مردود فيفتحونه .

قال الإمام القرطبي : كلما حفروه وجدوه من اللند أقوى مما كان . وإذا

خرجوا تحصن اللداس منهم في حصونهم ، ويرمون بها مسمم إلى السماء ، فيرجع

عليهم الدم فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وغلبنا أهل السماء ، فيبعث الله نغفا

في رقابهم فيقتلهم .

وروى : في ألقائهم . والنغف : دواب . قال عليه السلام : والذي نفسي بيده إن

دواب الأرض تشكر شكريا من لحومهم ، أي تشمن . قال كمر : إنهم

يفقرون للسد بمناقرهم . والظاهر أن المراد مناقر حديد يخدمون بها لا مناقر

في أفواههم .

قال : وإذا خرجوا أتى أولهم الحيرة أوسطهم فيلحسون للطين ويأني آخرهم

فيقولون : قد كان هنا ماء . وإذا قتلهم النغف ننت الأرض من لحومهم ، ثم

يبعث الله عليهم طيرا تلقيهم في البحر ، فيرسل الله للسماء أربعين يوما فتنبت

الأرض ، حتى إن الرمانه أشبع للسكن . قيل : وما السكني ؟ قال : أهل البيت .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يفتح يأجوج

ومأجوج ، فيخرجون كما قال الله تعالى .

(وَمِنْهُمْ) أي يأجوج ومأجوج .

(مِنْ كُلِّ حَدَبٍ) مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ

وقرأ ابن عباس : حدث أي قبر . وبني تميم يسمون القبر جدنا .

(يَنْفِلُونَ) يسرعون .

وقرئ بهمس السين .

وقيل : الضميران للناس ، يخرجون من قبورهم . ونص قراءة ابن عباس

حدث وهي أيضاً قراءة ابن مسعود . والصحيح الأول ، للحديث المذكور . وثامه :

لأنهم يسمون الأرض ، ويتحصن المسلمون في مدنها مع مواشيهم ، حتى إذا

ليرون بالنهر ، فلا يذرون فيه قطرة الخ ما سوا ، فيهبزون حراهم لنحو السماء ، ترجع

بدم ، ويرمون بالسهام فترجع به . فيقولون : قد قتلنا أهل الأرض زاد فيه :

فهموتون موت الجراد بعض على بعض بدواب ، كثفت الجراد ، فيصبح المسلمون

لا يسمعون حسا ، فيقولون : من بشرى نفسه ونظر ما فعلوا فخرج واحد وقد

وطن نفسه على الموت فيجدهم موتى ، فينادي : أشيروا فقد ملك عدوكم ،

فيخرجون ويخلون سبيل مواشيهم . فما يكون لهم رعي إلا لحومهم ، فتشكر

كأحسن ما شكرت من نبات أصابته .

وفي الحديث دليل على جواز إطعام النجس للبدنة ، أو على جواز تركها

والشيء النجس .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى

وعيسى ، فذاكروا الساعة فسألوا إبراهيم عنها ، ولم يكن عنده علم شيء منها ،

ثم موسى كذلك ، ثم عيسى فقال : قد عهد إلي فيما دون وحييها . فذكر خروج

الذجال ، وأنه يقتله هو ، فيرجع الناس إلى بلادهم ، تستقبلهم بأجوج ومأجوج ،

وم من كل حدب يضطلون ، فلا يبرون بماء إلا شربوه ، ولا بشيء إلا أبلوه ،



فيجاء الناس إلى الله . فأدعو الله فومئذ هم ، فتنتن الأرض من ريحهم . فيجاءون  
إليه ، فأدعوه ، فيرسل السماء بالساء بليهم في البحر ، ثم ينسف الجبال ، وتمد  
الأرض كالآدم ، والساعة حينئذ كالحامل تضع ليلها أو نهارها ، كما قال  
الله تعالى :

( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدَ الْحَقُّ ) القوامه . قال حذيفة : لو أن رجلا افتنى فلوا ،  
بعد خروج بأحوج وأجوج ، لم يركبه حتى تقوم الساعة ، يعني منيراً .

وعن الفراس بن سمان : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غدا ، خفض  
فيه وزرع ، يعني خفض الصوت ورفعه ، من شدة ما تكلم فيه ، أو هو فيه وقبحه  
، هَظَمَ فتنه . ثم قال : غير الدجال أخوفني عليكم إن خرج الدجال وأنا فيكم  
فأنا حبيبه ، وإلا فالله حلقة كل مسلم إنه أعور ، وبينه طافية كعنبه . فقرأوا  
عليه فوانح الكهف . ويخرج بين الشام وال عراق ، يفسد بيننا وشمالا بأعباد الله  
ائتوا ، ولكه في الأرض . أربعون يوما يوم كسفة ، ويوم كشر ، ويوم  
كجمعة وسائر الأيام كأيامكم .

قالوا : ويصلي في تلك الأيام للكهار قدر صلوات ما فيها من الأيام المقادة .  
ويسرع كفيث اسعد برقه الريح فيؤمن الناس به . يأمر السماء فتمطر ، والأرض  
فتنبث ، فتكون هي ودوابهم أحسن ما كانت . وتنبه أموال الناس ، ويعر  
بالخربة ، ويقول : أخرجني كنزك فينبه . ويضرب شابا ، ويقطعه نصفين ، ويدعوه  
فقبل ضاحكا ، فيبهث الله عيسى ، عند المنارة البيضاء ، شرق دمشق بين  
مهرودتين - إمال الدال وإعجامها - أي شقين ، أو حلتين ، أو ثولي زعفران .  
أقوال واضعا كفيه على أجنحة ملكين . إذا طأ رأسه قطر ، وإذا رفعه  
نحدّ منه كجمان اللواؤ . وكل كافر وجد ريح نفسه مات ، ونفسه ينتهي حيث

يفتحى طرته . ويتغل الدجال ، ويمسح وجده قوم عصمه الله ، ويمدشهم  
بدرجائهم في الجنة .

ثم يوحى الله إليه : إني قد أخرجت عبادي لا طاقة لأحد بقتالهم ، فأحرز  
عبادي إلى الطور . فيخرج بأجوج ومأجوج ، وهم من كل حذب يفسدون ، فيمر  
أرائلهم ببعية طبرية ، فيشربون ما فيها ، فيمر آخرهم ، ويقول : لقد كان هذا  
ماء ، ويكون رأس النور يومئذ خيرا من ماء دبقار ، فيرغب هو ومن معه من  
المؤمنين إلى الله ، فيرسل عليهم الغف في رقابهم ، فيصبحون مرمي ، أي قتل ،  
جمع فريس ، كرت نيس واحدة ، فلا يجد الناس في الأرض موضع شبر إلا ملى  
برؤسهم وأجزاءهم .

والغف : دود يكون في أنوف الإبل والغنم فيرغب نبي الله والمؤمنون ،  
فيرسل طيرا كأعناق البخت ، فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا  
لا يكون منه بيت مدر أو شمر ، فيفصل الأرض حتى تكون كالمرآة اظافة  
واستواء ، فتكون الرمانة تكفي للعصابة ولقحة الإبل القليلة . ولقحة الغنم  
المنخذ ، ثم يموت الله ريحا طيبة ، فيقبض روح كل مؤمن . ويبقى شرار الناس ،  
يتهارجون كنهارج الحمر ، فعليه تقوم الساعة ، ولن تقوم حتى يكون الدخان ،  
والدجال ، والهابية ، وطلوع الشمس من مغربها ، وتزول عيسى ، ويأجوج وأجوج ،  
وخسف بالشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب . وآخر ذلك نار  
تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى المحشر . ويأجوج وأجوج كلهم لجهنم . صنف  
كشبر ، وصنف كشبرين ، وصنف طوله وعرضه سواء ، وصنف كلبهام ،  
وصنف كالفخلة السمحوق . وهم من ولد نافت بن نوح

ويأجوج ومأجوج أمة ، في كل أمة أربع مائة ألف أمة ، ليس منها أمة  
يشبه بعضها بعضاً .

وعن الأوزاعي : أنه قال : الأرض سبعة أجزاء : سعة يأجوج ومأجوج ،  
وجزء سائر الخلق .

وعن قتادة : أرض غير يأجوج ومأجوج ، اثنا عشر فرسخا للهند والهند  
وثمانية آلاف للصين ، وثلاثة آلاف للروم ، وألف فرسخ للعرب .

وأشد يأجوج ومأجوج من قرصه كطوله ، ومنهم من طوله مائة وعشرون  
فراخاً ، لا يقوم لهم جبل ولا حديد . ومنهم من يفرش أذنه ، ويقطلي بالأخرى .  
ولا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه ، وبأكلون من مات منهم ، ووطأ الولد .  
مقدمهم بالشام ، وساقهم بخراسان ، ويشربون ماء المشرق ، ويمشون من مكة  
والمدينة وبيت المقدس ، وبأكلون كل ما فيه روح . وليس في خلق الله من ينمو  
ويكثر مثاهم ، يقدعون كالحم ، ويمشون كالذئب ويتناكحون حيث اتفقوا ،  
ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة ، يأكلون اللحم بلا طبخ ولا شوي  
ومنهم من طوله أربعة أذرع ، ومن عرصه أربعة أذرع ، أكثر من طوله ،  
وليفصهم مخالب .

وعن علي : لهم شعور تقبهم الحار والبرد ، وآذان عظام ، إحداها وبرة يشتمون  
فيها ، والأخرى جلدة يصيفون فيها .

وعن كعب : احتلم آدم ، فاخطلط ماؤه بالتراب فخلقوا منه . قال لأندلسيون :  
هذا لا يصح ، لأن الأنبياء لا تعلم .

وإذا خرجوا عموا الأرض حتى لا يجد الطائر أين يضع أفراده .

وروي : أنهم يأتون بيت المقدس ، ويمشون المؤمنين بالنبل ، حتى يعمل

الظال فرفهم ، ويدعو عيسى ويؤمن المهدي والمسلمون ، فيهلكون بربيع عاصف ،  
تخرج لهم بها حُرَّاجات في مخرجهم .

وعن ابن عمر : اللاتسكة تسعة أجزاء : الكروبيون ، وأجزاء سوامم .  
والإنس والجن تسعة أجزاء الجن ، وأجزاء الإنس بأجوج ومأجوج وأجزاء  
سائر الناس .

وفي الحديث : تسع مائة وتسعة وتسعون إنساناً إلى النار تعد فيهم بأجوج  
ومأجوج كلهم والمشركون ، وواحد إلى الجنة من غيرهم ، بلغهم الدعوة . قول :  
ليلة الإسراء ، ولم يؤمنوا ، ولا يؤمنون ، ولا يؤمنون ، ولا يؤمنون ، ولا يؤمنون ، ولا يؤمنون ،  
وكل صنف منهم نشأ منهم .

وروى : أنهم مائة ألف أمة ، لا تشبه أمة أمة  
وقال قتادة : اثنتان وعشرون قبيلة . فشد ذو القرنين على إحدى وعشرين  
والقبيلة الأخرى غاربة . وم الترك ، سموا لأنهم تركوا .

وقال الأوزاعي : هما أمةان ، كل أمة أربع مائة ألف .  
وإن ابن عمر : ثلاث أمم لا يحصيهم إلا الله : نابل ، وقارمر ، ومناسك .  
وإذا خرجوا شربوا ماء البحار للعذب والمالح كلها .

وروى : أن الربيع التي بها حكمهم لله بها بمنية من تحت العرش ، ويحج البيت  
ويقتدر بعد موتهم .

( فإذا ) العاء عاطمة ، أو رائدة ، أو مستأنفة ، أو سببية مجردة عن العصف .  
أقول فيها . قيل : إذا الفجائية ، ويجوز كونها رابطة لشرط محذوف ، أي إذا  
وقع الوعد ، وإذا مدحها للمفاجأة ، مؤكدة للربط إذا جمعت للقاء رابطة .

( هي ) ضمير القصة عدل سببويه ( شاخصه ) خبر مقدم ، أي حديدة النظر  
دون أن تطرف . وذلك يكون لنحو الخوف المفرط ، والهول المذهل .



(أَبْصِرُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أصار مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر ضمير القصة لا تحتاج لربط ؛ لأنها مقسمة على .

وأجار الكفرة . كون هي ضمير للهم في الدفن ، توصلته الأفعال ، وكون الشفوع من أملا الأفعال . وعليه تشاخصة مبتدأ ، وأبصار خبر . والجملة خبره . كما مر . أو شاخصة خبر ، وأبصار قائل شاخصة . وابن هشام على الأول .  
 قل : راجع الكافرين والأخفش تفسر ضمير الشأن بفرد ، وعليه فيجوز كون شاخصة خبر الملقى مع أنه ضمير القصة ( يَا وَيْلَتَا ) أي يقولون : يا ويلتنا . أو قائلين : يا ويلنا . وصاحب الحال لاقى هي يقولون ، أو قائلين هو الذين ولو كان مصدرا إليه ؛ لأن المصنف جزؤه .

( قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَذَى ) أي من هذا اليوم .  
 ( بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ) أنفسنا بتكذيب الرسل ، وعبدنا من لم نبأ بالعبادة .  
 ( إِنْكُمْ ) يا أهل مكة ( وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) الأندلس وإبليس وإخوانه .

( حَصْبُ جَهَنَّمَ ) ما يرى به إليها ، وتهيج به ، من حصبه حصبا تكون صاد المصدر ، أي رماه بالحصباء .

وفرى حصب جهنم بالإسكان ، جعلوا مبالغة نفس الحصب ، أو بقدر مضاف أو يزول باسم مفعول ، أي محصورها ، أي ما تحصب به .  
 وفرى حصب بالإعجام مفعولاً ومسكناً .  
 وقرأ أبي حطب ، بالطاء المهملة .

وعنه عليه السلام : الشمس والقمر في النار . قال بعضهم : أليس تقرأون : إنكم  
وما تعبدون إلح ؟

روى أنه عليه السلام دخل المسجد ، وصعد أيد قرش في الحطيم ، وحول الكعبة  
ثلاثمائة وستون صنما يجلس إليهم ، فمرض له الضر بن الحارث فسكاه عليه السلام ،  
فأخذه ، وتلا : « إنكم وما تعبدون » إلح . وأقبل عبد الله بن الزبير فرجدهم  
يتهامون . فقال : فم خوضتكم ؟

أحبره الوائد بن المفيرة ، بقوله عليه السلام . فقال : أما والله لو وجدته  
خلصة فدعوه .

فقال له : أنت قلت ذلك ؟

قال : نعم .

قال : قد خصمك ورب الكعبة ، أليس اليهود عبدوا عزيرا ؟ والنصارى  
عيسى ؟ وبنو مذليج الملائكة ؟

فقال عليه السلام : بل عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك ، وإنك جاهل بآفة  
قومك فإن « ما » لغير العقلاء إلا بقريفة ، وهذا دليل على أن ما تعبدون مراد  
غير العقلاء ، وأيضا الخصاب لكم ، وأنتم تعبدون الأصنام ، وأن المراد هذه  
الأصنام الحاضرة وبقاس عليها غير ما قياسا . ونزل : « إن الذين سبقت لهم  
إلح ، وهم عيسى وعزير وغيرهما ممن لم يُعبد ، وأما الملائكة فيفهم إبعادهم  
عنها : لأولى .

قيل : يجوز أن يراد للعقلاء فيكون الجواب ، بأن الذين سبقت إلح  
دليل على ذلك ، وعلى إخراج مص العقلاء المعبودين .

وقد روى أن ابن الزبير قال : هذا خاص بالمتقاة أو كل من عُبِد ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ فَالْجَرَابُ مَقْأَمٌ عَنِ الْخَطَابِ بِنَاءً ، لَتَعْبُورَ فِي لَفْظِ « مَا » أَوْ لِلتَّخْصِصِ ، وَسَقَانِي الْقِصَّةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَرَوَى أَنَّهُ أَجَابَ بِالْآيَةِ بَعْدَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَا إِسَاءَةَ كَقُلْتَ ،

وَلَكِنْ تَفَكَّرْتَ إِذَا خَلَوْتَ .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : الزُّبَيْرِيُّ بِكَسْرِ الزَّيْ رَأَى رَفَعَ لِلْهَاءِ وَسَكُونِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ : مَعْنَاهُ اللَّسِيءُ ، الْخَلِاقُ ، أَوْ كَثِيرُ شَعْرِ الْوَجْهِ .

قَالَ : إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِيِّ هُوَ ابْنُ الزُّبَيْرِيِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدَى بْنِ سَعِيدٍ بِالْكَفِّ ابْنِ سَهْمٍ مِنْ أَعْيَانِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمِنْ فَحُولِ الشُّمَرَاءِ ، وَكَانَ يَهَاجِي الْمُسْلِمِينَ . أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَلَهُ أَشْعَارٌ يَمْتَذِرُ فِيهَا مِمَّا سَبَقَ مِنْهُ ، فَهُوَ لَمْ يَعْمَهُ الْخَطَابُ ، وَإِنَّمَا يُقَرِّئُونَ بِأَلْسِنِهِمْ فِي حَمَمٍ ، لَزِيَادَةِ غَمٍّ ، حَيْثُ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ بِهَا ، وَاللَّهُظَرُ فِي وَجْهِ الْمَدُونِ بَابٌ مِنَ الْمَذَابِ ، وَلَأَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا أَنْ يَشْفَعُوا ، فَإِذَا رَأَوْهُ بِتِلْكَ الْحَالَةِ كَانُوا أَبْغَضَ شَيْءٍ إِلَيْهِمْ .

( أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) دَاخِلُهَا ( لَوْ كَانَ ذُوْلَاءَ آيَةٍ مَا وَرَدُوهَا ) بِتَخْفِيفِ هَمزة آية وإخفائها .

( وَثِيٍّ ) مِنَ الْعَابِدِينَ وَالْمُعْبُودِينَ .

( هِيَ خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ) أَصْوَاتٌ تَوْجَعُ أَوْ تَنْفُسٌ ، بَعْدَ امْتِلَاءِ الْقُدْرِ .

وَقِيلَ : الزَّمِيرُ مِنْهَا جَزَاءُ أَعْمٍ .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ أَنَّهَا تَرْجُمُهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِأَعْلَاهَا ، ضُرِبُوا بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ

فِي وَوَن سَبْعِينَ خَرِيفًا .

وَرَوَى أَنَّهُمْ يَذْنُونَ مَالَكًا فَيَذَرُهُمْ مَقْدَارَ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيُجِيبُهُمْ : « إِنَّكُمْ

ما كثرون « ويدعون الله » ويذرم مقدار الدنيا مرتين . يقول : « اخسثوا فيها » .

وإن قلت : الزفير إنما يكون من العابدين والمعبودين للعلاء ، لا من الأصنام .

قلت : أثبت الزفير لكل ، لأنهم معهم وحكاً على المجموع وتغايباً والألبس مأمون ، أو الضمير لمن يكون قابلاً للزفير فقط ، أو ما يعبدون للعلاء فقط . وكذا الكلام في نفي السمع في قوله :

( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) أشدة غليانها ، أو يسمعون الله كما يسمعون .

وعن ابن مسعود : يجلسون في تواييت من نار فلا يسمعون ولا يرون شيئاً . وروى أن تلك للتواييت تجمل في تواييت أخرى ، وتجمل هذه في أخرى ومسامر الكل من النار ، ولا يرى أن أحداً يعذب في النار سواء .

وزعم قومها أن مدم السمع والجمال في العجاوت مختص بالمشرك .

وقيل : المراد لا يسمعون ما يدورهم .

وزعم مض أن تلك ثلاث آيات متصلات نستثنى ثلاث متصلات : « إن الذين سبقوا » الخ .

( إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْنا الْحُسْنَى ) المنزلة الحسنى ، والمذكر الأحسن . والمراد : عيسى وعزير والمؤمنون . وأما الملائكة فلا يشتهون النعم . وتلك المنزلة الحسنى هي ما لهم في الجنة ، أو السمادة أو البشري . وذلك في الآخرة ، أو للرفيق بالطاعة ، أو الوعد بالجنة .

( أَوَلَيْكَ عَنْهَا مَبْعَدُونَ ) .

وقيل : المراد بذلك كله من أطاع الله ، وعبد غيره وهو كاره لملك العبادة .



ويروى أن علياً خطب وقرأ الآية . ثم قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان  
وطالحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح . ثم أقيمت الصلاة  
فقام بحر دأبه ، وهو يقول قوله تعالى : ( لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا )

الحسيس : الصوت المحسوس .

وقال البخاري : الصوت الثاني .

( وَهُمْ فِي مَا اشْتَكَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ) أي ما طلبت أنفسهم من الذات ،  
وتقديم الحار والمحذور لفاصلة والحصر والامتنان . وجلة « لَا يَسْمَعُونَ » يدل على  
مبهدون ؛ لأنه في معنى الفعل ، أو حال من ضمير سبق للمبالغة .

وقوله : « إن الذين - إلى - كنتم توعدون » لزوال الحمى وجميع الأمراض  
تسكت في إناء طاهر ، ونمحي بماء طاهر ، من يتر لا تراها الشمس ، ثم يسقى منه  
المريض ثلاث جرعات ويرش على ظهره بانه ، ودلائل وقت اشتداد الوجع . قبل  
ذلك ثلاث مرات ، يبرأ بإذن الله .

ومن كتبها في إناء طاهر ، ومحاها بدمن البابونج ، ودهن به وجمع الوسط  
والركب والظهر ، فينفعه نقماً تاماً عظيماً - إن شاء الله .

( لَا يَحْزَنُهُمُ الْمَرْعُ لَا كِبَرُ ) قال ابن عباس : للنفخة الأخيرة ، لقوله تعالى :  
« وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ » الخ .

وقيل : مذهب الموت .

وقال الحسن : بأن يؤمر بالعبد إلى النار .

وقال الضحاك : بالإطباق على النار .

وقيل : بجميع أحوال القيامة

( وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) على أبواب الجنة .

وقال الحسن : حين الخروج من القبر ، مهتمين قائمين :

( هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) يثيبكم الله فيه .

( يَوْمَ ) مفعول به لا ذكر ، أو ظرف ليحزن أو ليعتقاه ، أو حال من يومكم

أو من مفعول توعدون المحذوف ، وهو على الحامية غير ظرف .

( نَطَوَى السَّمَاءَ ) الطى : ضد النشر . قيل : والمراد المحو كقولك : اطو عفي

هذا الحديث . وإنما طويت لأنها نشرت مظلة لخلق ، ونافعة بالإضاءة والاعتبار

وهو ذلك ، إذا زالوا زلات . والمراد : السموات . قال للاستفراق . ولك أن

أن تقول : هو جمع سماء . وكذا في مثل هذا المقام . ذكره الشيخ أحمد في

شرح العقيدة .

وقرى يطوى السماء بالمتناة التحتية ، والفاعل ضمير الله .

وقرأ أبو جعفر تطرى ، بالمشاة الفرقية ، والبناء المفعول ، ورفع السماء .

وقرى بالتحنية والبناء المفعول .

( كَتَبَ السَّجْدَ ) وقرى السجل بضم السين والجيم .

وقرى بفتح السين وإسكان الجيم ، وبكسر السين وإسكان الجيم ، وهو اسم

ملك يطوى كتب الأعمال إذا رفعت إليه .

( لِكِتَابِ ) صحيفة ابن آدم عند موته . وقيل : اسم لك يكتب أعمال العبد

إذا رفعت إليه .

ووى أبو دارد - وهو من علماء الأندلس - أنه اسم كاتب للنبي ﷺ .

قال السهيلي : هذا غير معروف . وعن ابن عباس : هو الصحيفة . وعلمه

فالكاتب بمعنى ما كتب فيها . واللام بمعنى على . ويدل له قراءة حزة أول الكتابي

وحفص على الجمع ، بضم الكاف والياء . كذا قيل .

والحق جواز كون السجل ماسكاً أو كاتباً للذي **وَالَّذِي** ، في هذه القراءة ،  
والإضافة إضافة مصدر لفاعله .

وإن جعلنا السجل : الصحيفة بإضافة مصدر للمفعول  
وعلى الأول فاللام لام للتقوية في المفعول به ، أو للتعامل على أن الكتاب  
مصدر أى من أجل الكتابة ، أو بمعنى ما كتب في الصحيفة .  
ويجوز التعامل أيضاً على تفسير السجل بالملك ، أو بالكاتب .  
وأخرج ابن أبي مردويه ، عن طريق ابن الجوزي ، عن ابن عباس : أن  
السجل بلغة الحبشة : الرجل .

قال ابن جني : السجل ، الكتاب قال قوم : فارمى ممرّب . وطىّ نعت  
لمصدر محذوف ، أى طوىّ ثابِتاً كطى ، وعلى حرفية الكاف .  
ويجوز تعليلها بنطوى وطوىً مثل طى  
وعن الحسن : تطوى السماء من فوقها ، كما تطوى الصحيفة من فوقها . فإما  
أن تشق من فوقها وتطوى منه ، أو تطوى متفّية ، وإلا نهى كقشرة البصل .  
والمعنى المراد : للكفاية عن مجرد الإزالة ، ولو كان التشبيه بمعنى السجل  
يضعف ذلك .

( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) الكف كاف كطى ، راجعة إلى نُعِيدُهُ ،  
وما مصدرية ، والهاء لأول ، كما أنشأنا الخلق من عدم ، على غير مثال ، بقدرتنا  
نعيدهم بعد إعدامهم .

ويجوز كون الكف مكفوفة ، وما كانه ، وأول مفعول بدأنا ، تقبل : أو  
مفعول محذوف دل عليه نُعِيدُهُ . قيل : أر « ما » اسم موصول ، والكف متعاق  
بمحذوف يفسره نُعِيدُهُ ، أى كالذى بدأنا ، وأول خلق ظرف لبدأنا ، أو حال من

ضمير المفعول المحذوف ، والخلق مصدر ، أو بمعنى امر مفعول ، والضمير إشارة إلى التفصيل كقولك : هو أول رجل جاني : تريد أول الرجال ، ولكن نسكت إرادة التفصيلهم رجلاً رجلاً .

وفي الآية إعلال بأن قدرته باقية ، كما قدر على الخلق ، بقدر على البعث ، وفيها قياس البعث على الخلق .

( وَعَدًا ) مفعول مطلق مؤكد لمعنى ، على حد : قدمت جلوساً ، وإن قوله : **« نهداه وعداه بالإعادة »**

( عَلَيْنَا ) نعت لوعدا .

ويجوز كون وعدا مصدراً المحذوف مؤكداً ، أى وعدناه وعدا .  
والمعنى السكبي الآية : بأن المعنى : ترد الناس نطفاً ، ثم عظاماً ، ثم لحماً ، ثم يدفع فيهم الروح كما كان ذلك أول ما خلقوا .

وقيل : المعنى : كما خلقناهم حفاة عراة غرلاً ، كذلك نبينهم .  
عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : وعظما النبي ﷺ وقال : لا أبها للناس إنكم تحشرون إلى الله عراة حفاة غرلاً ، كما بدأنا أول خلق نبيده .  
والأزل : من لا سلاح معه .

وقيل : المراد غير مختونين .

وقيل : علينا خبر المحذوف ، والجملة نعت ، أى علينا إنجازاً .

( إِنَّا كُنَّا قَائِلِينَ ) قادرين على فعل ذلك وغيره .

( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) كتب داود .

( مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) القرآن العظيم . والبدئية رتبة يقول : عيسى بعد سيدنا

محمد صلى الله عليهما وسلم . تريد أن شأن سيدنا محمد أسبق وأعظم من شأن سيدنا



عيسى . والبمءدة ذكربة ، كقول الأستاذ لهذه : قد أقرأتك الأجر ومهية ،  
بعد الألفية ، وهو قدّم له الأجر ومهية . كأنه قال : قد أقرأتك الألفية ، وإني  
أخبرك بعد ذلك ، أنك قد أقرأتك الأجر ومهية . أو البمءدة بمعنى الزيادة ، أي  
زيادة عن الذكر ، وعن الألفية .

وقيل : الذكر : للتوراة .

وقول : جنس ما أنزل الله على الأنبياء . والذكر : الفصح المحفوظ المنسوخة  
من منه .

وقيل : الزبور : كتاب داود ، والذكر : للتوراة .

وقالت فرقة : الزبور : ما بعد التوراة من الكتب ، والذكر : التوراة .

وقال ابن عباس : الزبور : للتوراة ، والذكر : ما قبلها .

وإنما صح إطلاق الزبور على غير كتاب داود ؛ لأنه من زَبَرَ يَزْبِرُ ، أي  
كُتِبَ .

وقيل : الزبور : كتاب داود ، والذكر : القرآن ، وبعد بمعنى قبل .

( أَنْ الْأَرْضَ ) أرض الجنة .

وقيل : بلاد الكفار والنولان عن ابن عباس .

وقيل : الأرض المقدسة .

( بَرِيَّتُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ) أمة محمد ﷺ ، أو الصالحون مطلقاً .

وسكن حزة باء عبادي ، وحذفها للساكن .

( إِنَّ فِي هَذَا ) أي القرآن .

وقيل : المراد في هذا المذكور من الآيات .

( لَبَّيْلَاغًا ) وصولاً إلى البنية .

وقيل : كفاية ؛ لما فيه من الأخبار ، والوعد ، والوعود ، والمواظب البالغة .

( اِقْوَمَ عَابِدِينَ ) همَّتْهم العبادة دون المادة .

وقيل : عاملين به .

وقيل : العابدون : المصلون الخمس من هذه الأمة .

وقيل : المراد بهذه العبادة : الصلاة ، والصوم المفروضان .

وعن ابن عباس : العابدون بمعنى العالمين . وأنت خير أن للمسلم لا ينفع

بلا عمل .

( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ) يا محمد ( إِلَّا رَحْمَةً ) مفعول لأجله .

( لِلْعَالَمِينَ ) الإنس والجن وغيرها دنيا وأخرى . وذلك أن ما جاء به سبب

لإصلاح الماد والميشة ، فهو رحمة ، وإن لم ينفع به الكافر ؛ فإنه إنما أدنى من

قبَل نفسه وكسلها ، كمين ماء عذب مشترك فيها . فبعض يحترق بها ، ويسقى ،

وبعض فرط . وكان الناس أهل كفر وجهالة . وأهل الكتاب في حيرة ؛ لوقوع

التفكير ، وطول المدة ، فُبُعث محمداً للحق من الباطل ، ورفع الله به المسخ والخسف

والاستئصال ، فهذه نعمة دينوية ، وقعت للكافر .

وقيل : المراد بالرحمة الرحمة الدينية . والمراد بالعالمين : المؤمنون .

( قُلْ إِنَّمَا بُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ) أي ما بوحى إلي إلا أنه

لا إله إلا هو . والمقصود الأصلي من بيته تصور على التوحيد ، وإنما الأولى

لقصر الصفة التي هي الإيحاء على الموصوف ، الذي هو الوجدانية ، والثانية لقصر

الموصوف ، الذي هو الإله على الصفة ، التي هي الوجدانية . فالوجدانية صفة

وموصوف .

(فَمَنْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون للعبادة لله ، موحّدون له ؛ فإن الوحي الوارد على هذه الطريق يوجب أن تخلصوا للتوحيد لله ، وأن تخلعوا الأبدان . وفي ذلك دليل على أن صفة الوجدانية ، يصح أن يكون طريقها للسمع والالفة نهما ، بمعنى الأمر .

ويجوز جعل ما الأولي اسم إن ، و «أما إلهكم إله واحد» خبرها ، فغائب يوحى ضمير ما ، بخلا ، على ماسر ، فغائبه المصدر المسبوك مما بعده . ويجوز جعل الثانية كذلك ، فحذف صدر الصلة ، لطولها بالإضافة ، أى أن الذى هو إلهكم . فإله خبر لأن ، كما كان - على ما مر - خبراً لإلهكم ، لكن فى ذلك جعل ما للعالم وحدة .

(فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن التوحيد والإسلام .

(مَقُلْ أَذِنْتُكُمْ) أعلمتكم ، من أذن بمعنى علم . دخلت عليه همزة النقل ، لكن كثر استعماله فى الإخبار والإنذار ، أى أذنتكم بما أمرى ربى ، أو بالحرب ؛ إذ قوليتم عن الإسلام والتوحيد .

(عَلَى سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول ، أى كائنين على استواء فى الإعلام . أعلمتكم ربى بلسانى ، كما أعلمنى بلسان جبريل ، بما أمرتكم به من التوحيد والإسلام ، أو الحرب ، أو على استواء فى علم ذلك ، ولست مختصاً به دونكم ؛ لقنأهبوا - فهو معهم ، كرجل بينه وبين أعدائه هدنة ، بأحسن منهم بقدر ، فنبيذ إليهم العهد ، وشهر الهدنة ، وأعلمهم جميعاً بذلك . والحال مقدرة ؛ فإن الاستواء إنما حصل بعد تمام الإعلام .

ويجوز تعليقه لمخزوف ، ونعت لمصدر محذوف ، أى إيذاناً ثابتاً على سواء ،

أو حال من القائل ، أي أعلمكم ، وأنا على عدل ، واستقامة رأي بالبرهان ،  
لا كذا

وقدر مضمير : آذنتكم أي على سواء .

( وإن أذري ) أي ما أدرى .

( أقرب ) مبتدأ ، وقامه المفعول من الخبر محذوف ، أي ما توعدون ، أو  
يقدر ضمير منقصل عائد لما

( أم بعيد ) مبتدأ ( ما توعدون ) فاعل أغناه عن الخبر .

ويجوز كون ما توعدون المذكور فاعلا لقرب ، وفاعل بعيد محذوف .  
وأولى من ذلك حمل قرب خبرا مقدما ، وبعد مطوفا عليه ، فطف مفرد على  
مفرد ، بخلافه على ما سبق ، فطف جملة عن أخرى ، وما مبتدأ مؤخر ، لسلامة  
من الحذف ولا سيما أن الدامل على الصحيح لا يحذف ، ولو دلل على إلفي  
مواضع مخصوصة . نعم يصح التنازع ، فيعمل المهل في ضمير ما ، وما فاعل للمهل ،  
أغنى عن خبره ، لكن في ذلك أيضا إشكال ، ظهر لي بعد ما قلت ذلك ؛ فإن  
الوصف إنما وقع ظاهرا أو ضميرا بارزا منفصلا ، يفنى عن خبره ، لا ضميرا ،  
مستترا .

وإن قيل : إن المهل عم في مدخل محذوف ، فقد علمت أن الفاعل  
لا يحذف .

وأجاز السكاني حذف الفاعل من المهل ، إذا كان ضميرا . راطلت بعد  
هذا على أن ابن هشام والصبان بحثا في المسألة كبحني ذلك ولكنهم سمعوا أقام  
الزبدان أم قاعدان ؟ بطف . فقال ابن هشام : قاعدان مبتدأ فيه ضمير مستتر ،  
مفنى عن الخبر ، توسعا في التواني فيجوز مثله في الآية ، لكنه ضعيف . والذي



توعدون هو غلبة المسلمين عليهم ، من الإيصاد ، أو الوعد ؛ لجواز استعمال الوعد في الشر بقريضة ، أو الذي يوعدون : البعث . والمراد : أنه لا محالة كان .

( إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ) ما لم تقولوه ، بل أبتغيهوه في قلوبكم ، أو ما ذكرتم بإسرار . وإذا كان يعلم سر القول ، فسر الفعل أولى ، بل ما عنده سواء . فقد علم الله أفعالكم وأقوالكم للنبوة ، فيجازيكم بها ، وقد علم أفعالكم على المؤمنين ، فيجازيكم عليها .

( وَإِنْ أَذْرَى نَسَلَهُ فِتْنَةً لَكُمْ ) ما أدرى لعل ما توعدون ، أو ما أدنقكم ، ولم يعلم وفاة اختبار لكم ، كيف تصنعون ؟

وقيل : الضمير لقآخر الجزاء .

وقال الحسن : الضمير لما هم فيه من النعم في الدنيا .

( وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ) تمتيع إلى وقت مقدر ، تقاضيه مشيئة ، ويكون الموعد فيه على طريق الحكمة .

والحين : وقت الموت ، أو النعمان من القبر . قيل : هذا مقابل لقوله : « نعمة لكم » ولكن لم يسلط عليه الترجى ، وهو مشكل ؛ لأنه إذا أعطى على خبر لعل ، فقد سلط عليه إلا إن أريد أنه خبر لمحذوف . والجملة معطوفة على نفس لعل وما بعده .

واعلم أن مجرّع لعل ومعمولها سدت مسد مفعولي أدرى . وقد أعد ابن هشام « لعل » من المطلقات ، في الشذور . وكذا الكلام في : « وإن أدرى » لكن التعليق فيه بالاستفهام .

( قُلْ ) يا محمد . وقرأ حفص قال : أي رسول الله ﷺ .

( رَبِّ ) يارب بحذف الياء ، والاستغناء عنها بالكسرة ، ولم تحذف

للساكن بعدها ، وإلا لثبت في الخط .



وقرى بضم الياء نكرة مقصودة ، أو مضاف للياء ، أبدلت للكسرة ضمة ،  
بعد حذف الياء ، تشبيها بالنكرة المفضودة .

( اَحْكُم ) بينى وبين مكذى .

( بِالْحَقِّ ) أسره الله باستعجال العذاب لقومه . فمذبوا يوم بدر وأحد  
والأحزاب وحذين والخندق ، ونصر لهم .

وفائدة ذكر الحق ، مع أنه تعالى لا يحكم إلا به ، تلويحا إلى معنى احكم بالعدل ،  
المقتضى لتعجيل العذاب وتشديده ، كقوله ﷺ : اللهم اشد وطاك  
على مضر .

وعن الحسن أن النبي ﷺ إذا دعا على قومه هلكوا .

وقيل : ذكر الحق إظماراً للرغبة .

وقرى رب أحكم بفتح الهمزة وكسر الكاف ، من الإحكام ، وهو الضبط

والتحفظ في الأمر .

وقرى ربى أحكم ، بإثبات الياء وفتح الهمزة والكاف وضم الهم . قرى

مبتدأ ، وأحكم خبره ، اسم تفضيل .

( وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ ) كثير الرحمة .

( الْمُسْتَعْمَانُ ) المطلوب منه المعونة ، خير ربنا ، والرحمن بدل ربنا ، أو بيان ،

أو خبر أدل ، أو نعت على أنه صفة .

( عَلَى مَا نَصِفُونَ ) أى على ما تصفونه به ، من اتخاذها لصاحبة والولد ،

وتصفونى بالسحر وغيره ، والقرآن بالشعر وغيره ، وتصفون أن للشوكة تكون

لكم ، وأن راية الإسلام تحقق أبا ما تم تحكن ، وأن الموعده به - لو كان حقا -

لأنزل ، فكذب الله أمانهم وأنوالهم ، ونصر رسوله ﷺ



وقرى بالمشكاة الذهبية .

وعن فقادة : كان عليه السلام إذا شهد فعلا قال : رب احكم بالحق .  
 اللهم بركة نبيك محمد عليه السلام وبركة للسورة أخزى للصارى ، وأهزمهم ،  
 واكسر شوكتهم ، وغلب المسلمين والموحدين عليهم . وصلى الله سيدنا محمد  
 وآله وصحبه وسلم .



تمت للقطعة المأثرة ، نصفها الأول ، من تفسير القرآن العظيم ، من كلام  
 رب العالمين ، وبتلوها تمام المأثرة التي أزلها سورة الحج ، من تصنيف الشيخ  
 العالم للفتية للتحرير : محمد بن يوسف اليسجنى الأباضى الوهبى المغربى ، أبقاه الله  
 تعالى وزاده علما . آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله  
 العلى العظيم .

وكان تمامها يوم ٢٥ من شهر ربيع الأول فى سنة ١٣١٠ هـ .



ايهلم الناظر فى هذا الكتاب أنه لا بد به من غلط لعدم وجود المصححين  
 من أصل نسخته التي هي بالخط المغربى فليفتقر الناظر وليسد خلله ويحسن إن الله  
 يحب المحسنين .

فوقه انشا الله تعالى

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

وحيه ان الله تعالى في هذا

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

=====

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

=====

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل

في هذا الجواب : راحة الله حيث اهل